



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

مكارم الاخلاق وادائها

الجزء الاول

د. محمد الشيباني
الشيخ فاضل بن عيسى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكارم الأُخلاق و رذائلها

كاتب:

آية الله العظمى السيد علي الخامنه اى

نشرت في الطباعة:

موسسه التاريخ العربي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
17	مكارم الأخلاق و رذائلها المجلد 1
17	هوية الكتاب
17	إشارة
21	مقدمة
23	وصية القائد بالكتاب
23	الكتاب و إصلاح ثقافة المجتمع
25	باب مكارم الأخلاق
25	المكرمة الأولى
25	بناء الذات
26	أولياء الله قدوة في السلوك
29	أخلاق النبي و أهل بيته عليهم السلام
29	أخلاق النبي الشخصية
30	طلاقة وجه النبي صلى الله عليه و آله
31	الأخلاق الحكومية للنبي الأعظم صلى الله عليه و آله
34	أهل البيت عليهم السلام منبع الأخلاق
35	مكارم الأخلاق
35	السير نحو مكارم الأخلاق
35	الحاجة للأخلاق:
38	أهمية الأخلاق العامة في المجتمع
39	تشويه الأخلاق
40	أثر مجالسة علماء الأخلاق
42	أثر أولياء الله في الأرض

- 55 الخلق الحسن .
- 55 تعريف حسن الخلق .
- 56 أهمية الخلق الحسن .
- 58 التخلق بالأخلاق الحسنة .
- 60 محاسن الأخلاق .
- 61 واجبتنا تجاه نشر الأخلاق .
- 63 سبب المعاناة الإنسانية .
- 65 كيفية تجسيد المعنويات و الأخلاق .
- 67 الإمام الخميني (ره) معلم الأخلاق .
- 69 ضرورة معرفة الأخلاق الإسلامية .
- 70 الأخلاق الحسنة توصل الى المقامات الإنسانية العالية .
- 71 محاسن الأخلاق و تزكية النفس .
- 72 ترسيخ الأخلاق في المجتمع .
- 73 البعد الأخلاقي للثقافة العامة .
- 73 الثقافة و الأخلاقيات العامة .
- 74 الأطر القانونية للأخلاق .
- 74 الانضباط الإجتماعي .
- 76 أثر الثقافة على شخصية الأفراد .
- 77 أثر الثقافة على أخلاق المجتمع .
- 81 أثر فصل العدالة الإجتماعية عن الأخلاق .
- 82 كيف نصلح الثقافة العامة .
- 84 دور الثقافة و الأخلاق في تقرير مصير الشعوب .
- 85 تحريف الثقافة تحريف للإنسانية .
- 86 الرؤية المادية للعقيدة و الأخلاق .

88 العقيدة و الأخلاق في الرؤية الإسلامية
91 الفرق بين الإقتدار المعنوي و المادي
92 حتمية زوال الحضارة الغربية لأنها علم بلا أخلاق
95 الأخلاق الإجتماعية
95 الأخلاق شرط الحياة السعيدة
97 الإصلاح الإجتماعي الأخلاقي
98 الاستغفار و الإصلاح الاجتماعي
100 التلازم بين السلطة و الأخلاق في الإسلام
101 دور الأخلاق في كافة الشؤون
102 القيم الأخلاقية لا تشكل حاجزا أمام الحرية
106 العمل الإجتماعي الهادف
109 إفتقاد الأنظمة للهداية الإلهية
111 العلم و الأخلاق
111 البعد الإنساني و الأخلاقي و القيمي للمعلم و العامل
113 أهمية العلم و الأخلاق
114 أثر تجرد العلم عن الأخلاق
117 عدم تقليد الغرب
117 لا عار في أخذ العلم من الغرب
118 أخذ العلم من الغرب لا يعني ترك استثمار الطاقات
119 أثر المعنوية و الأخلاق على العالم
121 التقوى خير الزاد
121 آيات التقوى
125 معنى التقوى
126 أهمية التقوى
130 الوصية بالتقوى

130	وصية أمير المؤمنين عليه السلام بالتقوى
133	التقوى في كلام أمير المؤمنين عليه السلام
134	أقسام التقوى
136	فوائد التقوى
137	ترك فوائد التقوى يؤدي للسقوط
138	من فوائد التقوى النجاح بالامتحان الإلهي نموذج في قصة نوح عليه السلام
142	عود على بدء
143	الطريق الوحيد للنجاة هو التزوّد بالتقوى
144	أسباب الحاجة للتقوى
144	الغفلة أسوأ أمراض المجتمع
146	يجب المحافظة على نظام الإسلام بالتقوى
148	التوفيق مشروط بالتقوى
149	التقوى ضمان تطبيق الإسلام
151	آثار التقوى
151	إشارة
151	1 - الفرقان و الوضوح:
151	2 - الرزق:
155	3 - إستشعار حلاوة الحياة:
156	4 - التقوى تمنع الفساد:
156	إشارة
158	كيف نكافح الفساد
159	5 - معرفة المساوىء:
161	6 - العزّة:
162	7 - العدالة:
162	إشارة

- 163 متى تتعم الدنيا بالعدالة والتقوى ؟
- 164 8 - إصلاح الأعمال:
- 165 9 - التقوى ضمانة من الإنحراف والزلزل:
- 165 10 - المغفرة والهداية:
- 165 اشارة
- 166 التقوى مصدر الهداية
- 167 11 - إزالة الشدائد والنواقص:
- 169 12 - التكامل الإنساني:
- 169 اشارة
- 172 الإسلام يجمع بين التكامل المادي والمعنوي
- 175 تأثير التقوى على جميع شؤون الحياة ..
- 177 التقوى في الإدارة
- 177 اشارة
- 178 أثر التقوى على الأمور الإدارية
- 179 حاجة المسؤول للموعظة ..
- 180 كل منا يخطيء
- 181 وسائل الإجتنب من الإنحراف والمعاصي
- 184 قصد القربى وهدفية العمل ..
- 187 أثر الكماليات على التقوى في الإدارة
- 188 التقوى وسيلة وأسلوب للعلاج
- 189 التساهل نقيض التقوى ..
- 190 أثر التخلي عن التقوى ..
- 190 سبب الإنحرافات ترك التقوى ..
- 193 مشاكل العالم ناجمة عن ضعف التقوى ..
- 195 أثر مجالسة أهل التقوى ..

196	شعارنا سيادة التقوى و القيم المعنوية
197	تجسيد صورة التقوى
199	التقوى طريق الله تعالى
200	التقوى غاية الصوم
201	شهر رمضان يقربنا من التقوى
202	ثمره شهر رمضان هي التقوى
202	أثر شهر رمضان على القلوب
204	بعض الأعمال المؤدية للتقوى
204	اشارة
204	الصيام
205	قراءة القرآن
205	تجسد اللذة الظاهرية عذابا
207	تهذيب النفس
207	النفس العدو الأكبر
208	أهمية تهذيب النفس
213	تقوية النفس
216	أثر الإتصال بالله تعالى على تهذيب النفس
219	أثر الإبتلاءات على تهذيب النفس
219	اشارة
220	الإبتلاء سلّم لتقدم الإنسان
221	إن جميع مصائب الدنيا سلّم لتقدم الإنسان و الأمة
223	أثر الجوع و مقاومة الأهواء على تهذيب النفس
224	أثر المسجد على تهذيب النفس
227	أثر الصلاة في تهذيب النفس
230	أثر الصلاة على العلاقة المعنوية مع الرب

233 مقامات و مراتب الصلاة
233 اشارة
234 الصلاة المقبولة
237 محاسبة النفس
237 أهمية محاسبة النفس
241 المراقبة و المحاسبة
244 أثر محاسبة النفس
244 اشارة
244 يجب على المرء مراقبة ذاته
247 أثر مراقبة النفس
249 أهمية مجاهدة النفس
249 اشارة
250 الجهاد الأكبر هو جهاد النفس
251 السير و السلوك و أثرهما
251 الكل يسير نحو الله تعالى
253 الإنسان الكامل و السير نحو الله تعالى
257 ضرورة إرساء العدالة و السلوك الأخلاقي
258 الإخلاص في السلوك الديني
261 كيف نبلغ درجة الكمال و السلوك المعنوي
263 التربية و التزكية و أثرهما
263 أهمية التربية
264 التربية في مرحلة الشباب
268 التربية و العروج المعنوي
270 التربية الروحية و التربية الفكرية
275 التربية أمر مستمر

276	التزكية و الطهارة
279	التزكية و التربية
279	التزكية و العلم
281	الدعاء و آثاره
281	تعريف الدعاء
282	أهمية الدعاء
285	الحاجة للدعاء
285	الدعاء تحدّث الى الله تعالى
287	أبعاد الدعاء
287	اشارة
287	البعد الأول: الدعاء علة ضمن قانون العلية
290	البعد الثاني الدعاء بحر من المعارف
291	البعد الثالث الدعاء هدف لا وسيلة
291	اشارة
291	أثر الارتباط بالله تعالى
293	الدعاء ارتباط بمركز القدرة
293	اشارة
293	1 - الارتباط يزيل الإحساس باليأس:
294	2 - الارتباط يمنع من الطغيان:
295	معطيات و فوائد الدعاء
295	اشارة
295	1 - الطلب و التضرع من الله تعالى لا إلى غيره
295	اشارة
297	دور الدعاء الإعجازي
298	2 - الدعاء هو لتوفير الأسباب المادية

300	3 - إحياء ذكر الله تعالى في القلوب:
301	4 - تقوية وترسيخ الإيمان في قلب الإنسان:
301	5 - نفث روح الإخلاص في النفس ..
302	6 - ترسيخ وتمية الفضائل الأخلاقية في النفس ..
302	7 - إيجاد المحبة لله تعالى ..
302	8 - بثّ روح الأمل في وجود الإنسان ..
303	9 - قضاء الحوائج ..
304	10 - تعميق العلاقة مع الله تعالى ..
305	أهداف الدعاء ..
305	الهدف من الدعاء ..
307	لماذا نسأل الحاجات الصغيرة ..
307	نموذج قرآني لحب الأنا ..
310	المعارف الإلهية في الدعاء ..
313	هدف الدعاء إظهار الخشوع والتذلل أمام الله ..
315	شروط إستجابة الدعاء ..
315	اشارة ..
315	[الشروط التي وردت على لسان الأنمة عليهم السلام]
315	اشارة ..
315	1 - طهارة القلب ..
316	2 - الدعاء مع المعرفة ..
316	3 - الإجتنب عن المعاصي والتوبة منها ..
317	4 - حضور القلب وعدم الغفلة ..
319	5 - عدم طلب المستحيل ..
319	إستجابة الدعاء مقيدة بالقوانين الطبيعية ..
320	الوعد الإلهي بإستجابة الدعاء ..

- 322 نموذج قرآني للوعد الإلهي
- 323 شروط الوعد الإلهي
- 324 وعود الهيئة أخرى
- 324 إقتران الوعد الإلهي بالعمل
- 325 الوعد مشروط بالثبات والصبر
- 327 النصر يستتبع كيد الأعداء
- 328 قصة وعبرة من الوعد الإلهي
- 330 أدعية الأئمة عليهم السلام أفضل الأدعية
- 331 أوقات الدعاء
- 332 الدعاء في ليلة القدر
- 333 الذنوب وآثارها
- 333 أنواع الذنوب
- 333 النوع الأول: ظلم النفس
- 333 النوع الثاني: الذنوب التي يرتكبها الشخص، ويلحق من خلالها الضرر المباشر بالآخرين
- 334 الإصلاح والتوبة من الذنوب
- 337 أشد الذنوب
- 338 وقت الاعتراف بالذنب
- 339 نموذج للاعتراف بالذنب
- 340 أثر الذنوب
- 341 الاستغفار
- 341 أهمية الاستغفار
- 342 الاستغفار عن ندم
- 342 فوائد الاستغفار
- 343 أثر الذنب على الإنسان
- 345 الأثر المعنوي والمادي للذنوب

346	نعمة المغفرة من الذنب
347	موانع الإستغفار
347	اشارة
347	1 - الغفلة:
347	اشارة
348	أثر الغفلة
349	2 - الغرور يمنع الإستغفار:
351	غفران الذنب لا يعني سهولته
352	خطر إستصغار الذنوب
353	الإستغفار عن الذنب الأخلاقي
354	معنى استغفار أهل البيت عليهم السلام
356	سبب إستغفار النبي الأعظم صلى الله عليه وآله
357	فرص الإستغفار
359	الاستغفار و التوبة
361	أنواع الإستغفارات
361	الإستغفار من الخلافات
363	الإستغفار من حب الأنا
364	خطر حب الذات
365	الإستغفار من الغفلة
365	الإستغفار من المذلة
367	الهداية الإلهية
367	هداية الإنسان و سعادته
369	سير العالم نحو الهداية
371	الإسلام مشعل هداية
373	هداية الأمة باتجاه الفضائل الأخلاقية

375	طريق القرآن هو طريق التقوى
375	كل ما لدينا بفضل الإسلام و القرآن
377	القرآن الهادي الحقيقي لسعادة الإنسان
379	الخطوات اللازم اتباعها للعمل الكامل بالقرآن
383	الهداية و الضلال
389	فهرس الموضوعات
411	تعريف مركز

مكارم الأخلاق و رذائلها المجلد 1

هوية الكتاب

مكارم الأخلاق و رذائلها

كاتب: خامنه اى، على، رهبر جمهوری اسلامی ایران

مؤلفين آخرين

جامع: عاشور، على

تعداد جلد: 2

لسان: العربية

الناشر: مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - لبنان

سنة النشر: 1428 هجرى قمرى 2008 ميلادى

ص: 1

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 2

مكارم الأخلاق و رذائلها

نویسنده: خامنه ای، علی، رهبر جمهوری اسلامی ایران

سایر نویسندگان

گردآورنده: عاشور، علی

ص: 3

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعده:

إن شخصية القائد أدام الله عزّه وسيرته الذاتية مشعل هداية و نور لمن أراد السير والسلوك نحو الله سبحانه وتعالى، فقد تعرّض سماحته للكثير من المفاهيم المهمة والقضايا الحساسة في خطابه وبياناته ولم تنظم في كتاب مستقل، إذ مسؤولية تولّي أمور المسلمين وتبّع شؤونهم وحماية مصالحهم ومقدساتهم لها همّها الكبير.

وحاولنا من خلال مراجعة مجموعة من محاضرات ولي أمر المسلمين حفظه المولى التي ألقاها في مناسبات مختلفة وعلى عدة سنوات (18 سنة و نيف)⁽¹⁾، أن نستخرج منها عدة عناوين أخلاقية مختلفة، وقد تم تنظيمها بشكل و ترتيبها ثم تهذيبها لتصبح كتابا مهنيا يستفيد منه القارئ كلّ على حسب حاجته و مشربه.

وحاولنا قدر الإمكان إخراج الكتاب عن كونه مجموعة محاضرات و بمناسبة عدة الى كونه كتابا علميا مهنيا يحمل طابع التأليف و التحقيق، و ذلك بحذف كل ما لا ربط له بالموضوع المبحوث، أو تقديم بعض الكلام و تأخير البعض، أو تهذيب بعض المطالب، مع الحفاظ على مصدر المحاضرة في الهامش.

نشكر كل من ساهم في نشر هذا الكتاب و نخصّ بالذكر سماحة الشيخ محمد طحيني الذي أفادنا بملاحظاته القيّمة حول الكتاب.

ص: 5

1- والتي كانت تطبع مترجمة على شكل بيانات خطابية في قم المقدسة من قبل دار الولاية للثقافة و الإعلام طيلة هذه السنوات.

ونسأل الله تعالى أن يحفظ السيد الولي وأن يلهمنا الصفاء في متابعة إعداد هذا الكتاب إنه ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين ونشكره على ما أنعم علينا من فضله الدائم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين.

ص: 6

الكتاب و إصلاح ثقافة المجتمع

الكتاب الهادف يجب أن ينشر من أجل إصلاح الثقافة العامة، وكذلك الأفلام يجب أن تنتج لإصلاح الثقافة الإسلامية العامة. وعلى كل إذاعة أن تعمل دوماً من أجل الثقافة العامة، كما يجب على العلماء وأئمة الجمعة والخطباء والمبلغين والكتاب المحترمين - في أية مسؤولية كانوا - أن يبذلوا جهودهم ومساعدتهم من أجل هذا الأمر المهم، فمجموعة تقوم بتحليل الأمور، وأخرى تتدبر في آيات الكتاب العزيز، ومجموعة تتولى شرح وبيان كلمات المعصومين عليهم السلام.

كما يجب أن يكون عموم توجّه الصحافة نحو إصلاح الثقافة العامة، وعلى المؤسسات المختصة بشؤون التبليغ والإعلام كمنظمة الإعلام الإسلامي والمؤسسات التابعة لها أن تبذل جهودها في إتجاه إصلاح الثقافة العامة أيضاً.

إنّ الشعوب المسلمة تمتلك الأرضية في هذا المجال، وميزة المشاريع الأساسية أن تبقى مركزة في نفوس الناس و تنتقل من جيل إلى جيل و تصبح جزء من فطرة أبناء المجتمع، و حتى لو أن الناس انفصلوا عنها برهة من الزمن فإنهم - وبأدنى حركة - سيعودون مباشرة الى فطرتهم و الى تلك الخصال الإسلامية التي اكتسبوها.

و يجب البحث و اكتشاف الأهم و الأقوى و الأكثر أصالة في المجال الأخلاقي لبيتدأ به كأولوية، و من ثم العمل على نشره و تركيزه، كما يجب السعي الى أن تكون كافة

النشاطات في هذا المجال متمركزة، ويجب على أصحاب الفكر والقلم والشعر والفن أن يدعوا ويروجوا لهذه الأولويات الأخلاقية، كما تقع المسؤولية في هذا المجال على عاتق العلماء الأعلام في شتى أنحاء العالم الإسلامي وبمختلف مذاهبهم وأطرافهم.

إن الأهداف الإسلامية والتعاليم النبوية تشمل كافة الامور الفردية والاجتماعية ولا يوجد نقص في أي موضوع ثقافي أو أخلاقي، فالإسلام دين الكمال والرقى والتقدم، ولو تم إنجاز هذا المشروع (إصلاح الثقافة العامة في المجتمع) فسيتمكن المسلمون في أي بقعة من الوصول الى أهدافهم الحقيقية تلك(1).

و أمّا الأخلاق الإلهية والمكارم الأخلاقية فقد وضّحتها وفصلتها الشريعة الإسلامية المقدسة، سواء ما يتعلق منها بالإنسان ذاته كالصبر، والشكر، والإخلاص، والقناعة، أو ما يتعلق منها بصلاته مع الآخرين كالتسامح، والتواضع، والإيثار، وتكريم الناس، أو ما يتعلق منها بعموم المجتمع الإسلامي.

لأخلاق الإسلامية مجال واسع. وهي تلك الامور نفسها التي تركّزت معظم جهود الأنبياء عليهم السلام والأولياء والشخصيات الكبرى في الأديان الإلهية، وكذا في الإسلام تركزت جهود الرسول الأعظم والأئمة الأطهار عليهم السلام على بنائها. ولا شك أنّ هذه الامور لا تنال في ظل الحكومات الجائرة إلاّ بشق الأنفس، كما ذكرنا من قبل...

يجب أن نبدأ نحن والخطباء والمثقفون والكتاب ومن بيدهم وسائل الإعلام، وغيرهم لتعليم وإشاعة الأخلاق بين الناس؛ ليكون الله أيضا عوننا لكم، وليرضى قلب صاحب الزمان عنكم وعنّا، وتكون الهداية الإلهية معنا ياذن الله، ولتحظى روح إمامنا الكبير الخميني (رحمة الله عليه) من هذه الحركة الأخلاقية بالفيض والرحمة(2).

ص: 8

1- من كلمة ألقاها في: 11 صفر 1416 هـ

2- من كلمة ألقاها في: 27 رجب 1417 هـ

بناء الذات

الخطوة الأولى و المهمة في طريق بناء الذات هي أن ينظر المرء إلى نفسه و أخلاقه و سلوكه نظرة انتقاد فيرى عيوبه بدقة و وضوح ثم يسعى للخلاص منها؛ و هذا ما يسعنا إنجازة، فهو تكليف ملقى على عواتقنا.

تراحموا فيما بينكم كي يرحمكم الله، و على من كانت أيديهم مبسوطة أن لا يمدوها عدوانا على مصالح و ثروات الآخرين، و لا يستغل من توفرت لديهم الفطنة و الذكاء و الإمكانيات و القوة و المسؤولية و شتى القدرات، أن لا يتلفوها للعدوان على من سواهم.

لنجعل من أنفسنا عبيدا لله مكلفين بمدارة سائر عباد الله و الإحسان إليهم و البر بهم و إلتزام الإنصاف أزاءهم، إذ ذاك سيغمرنا الباري بوابل رحمته و فضله فيطهرنا و تنهمر علينا مواهبه، و هذا - بطبيعة الحال - تكليفنا جميعا، بيد أن مسؤولية أصحاب القدرة و المنصب و الثروة و ذوي الكلمة النافذة بين الناس تفوق من سواهم في قبال هذا العبء الثقيل؛ عبء بناء النفس و كبح جماح الشهوات عن التعدي على

أولياء الله قدوة في السلوك

إن التشبه بالأكابر والانتساب إلى الأولياء من عمل أذكىء العالم. كل امرئ يبحث عن اسوة له، لكن التوفيق لا يحالف الجميع في انتهاج منهج الصواب عند البحث عن الاسوة.

لو سألت بعض الأشخاص في هذا العالم عن الشخصية التي أثارت انتباهه و اجتذبتة إليها، تجده يقتفي أثر اناس وضيعين و تافهين أمضوا أعمارهم في عبودية هوى النفس و لا يتقنون سوى ما يغتر به المغفلون و هو لا يتعدى إلهاء بعض السذج و الغافلين فتصبح أمثال هذه الشخصيات قدوات للناس العاديين في هذا العالم.

البعض يقتدي بشخصيات سياسية و تاريخية و ما شابه ذلك و يتخذها اسوة له لكن أذكى الناس من يتخذ أولياء الله اسوة و قدوة له؛ لأن من أبرز الخصائص التي يتسم بها أولياء الله أنهم على درجة من الشجاعة و القوة و الإقتدار بحيث يصبحون أسبدا على نفوسهم لا عببدا أذلاء لها.

ينسب إلى أحد الفلاسفة و الحكماء القدماء أنه قال للاسكندر المقدوني: أنت عبد عبدي.

فتعجب الإسكندر من قوله و غضب عليه. فقال له: لا تغضب؛ فأنت عبد شهوتك و غضبك؛ إذا طلبت شيئاً أو غضبت، اضطربت و لم تصبر، و هذه عبودية للشهوة و الغضب، أما أنا فسخرتهما حتى صارا عبدين لي.

قد تكون هذه القصة حقيقية، و قد لا تكون كذلك. إلا أنها صحيحة بالنسبة لأولياء الله و الأنبياء العظام عليهم السلام، و معالم طريق الهداية الإلهية للبشرية، و من الأمثلة عليها

ص: 10

يوسف، وإبراهيم، وموسى عليه السّلام.

وهناك أمثلة متعددة لذلك في حياة أولياء الله. وأذكى الناس هو من يتخذ هؤلاء الأكابر وهذه الشخصيات الشجاعة المقتدرة اسوة، و يكسبون لأنفسهم عن هذا الطريق أسباب الإقتدار والعظمة باطنيا ومعنويا.

وفيما بين هؤلاء الأولياء والأكابر أنفسهم توجد شواخص مميزة. ولا شك أنّ أبا عبد الله الحسين عليه الصلاة والسّلام من أبرز هذه الشواخص.

حقا يجب القول أنّ نور الحسين بن علي وأهل بيته عليهم السّلام يسطع كالشمس لا علينا نحن الناس الترابيين الصغار فحسب بل وعلى كل عوالم الوجود وأرواح الأولياء والأكابر، والملائكة المقربين، وعلى جميع عوالم الوجود المتداخلة في بعضها، المعروفة أو المجهولة بالنسبة لنا. ومن مشى في هدي نور هذه الشمس فقد جاء بعمل كبير سام(1).

ص: 11

1- من كلمة ألقاها في: 3 شعبان 1417 هـ

لقد اجتمعت فيه كافة صفات الإنسان الكامل، و لسوف أتحدث عن جانب من مميزاته الأخلاقية باختصار إلا أن المرء يحتاج إلى ساعات و ساعات ليدخل إلى العالم الأخلاقي الذي تفرد به الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله.

إن العديد من الكتب و المؤلفات تزخر بالقدر الوافر من الحديث حول أخلاق النبي الأكرم صلّى الله عليه و آله؛ و الذي سأورده هنا اقتباس من مقالة لأحد العلماء المعاصرين - و هو المرحوم آية الله الحاج السيد أبو الفضل الموسوي الزنجاني - بصورة مختصرة و مفيدة.

دعونا نقسّم أخلاق النبي باختصار إلى «أخلاق شخصية» و «أخلاق حكومية»، أي أخلاقه كإنسان و أخلاقه و مميزاته و سلوكه كحاكم. و هذا بالطبع غيظ من غيظ، لأن شخصيته تشتمل على الكثير من المميزات البارزة و الجميلة و التي ليس بوسعي الآن إلاّ الاقتصار على بعضها.

لقد كان النبي صلّى الله عليه و آله رجلاً- أميناً و صادقاً و صبوراً و حليماً، كما كان شهماً و حامياً للمظلومين على الدوام؛ فمن حيث الصدق كان سلوكه مع الناس قائماً على الصدق و الإخلاص و الوفاء. كما كان طيّب القول، و كان يتجنب الإساءة و التجريح. و كان عفيفاً و معروفاً لدى الجميع بالعفة و الحياء و النجابة في ذلك الجوّ الأخلاقي الفاسد

الذي كان يخيم على الحجاز قبل الإسلام، فلم يقترف الخبائث في مرحلة شبابه.

ثم إنه كان من المتميزين بنظافة الظاهر، حيث كان نظيف الملبس والرأس والوجه، وامتاز بحسن السلوك. كما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شجاعاً لا تقف من عضده كثرة العدو، وكان صريحاً لا يقول إلا الصدق، وكان زاهداً وحكيماً في حياته، كما كان رؤوفاً متسامحاً كريماً يتجنب الثأر والانتقام، وكان من صفاته الرحمة والمدارة، كما كان ذا أدب جم لا يمدّ رجله أبداً في محضر الآخرين ولا يسخر منهم. كما كان الحياء صفة، فكان يستحي من ملامة الناس ويطأ رأسه خجلاً وحياء، وواقفه في ذلك تشرق بها صفحات التاريخ.

وكان رحيماً و غاية في التسامح والعبادة. وكانت كل هذه الخصال متجسدة في شخصية الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في شتى مراحل حياته منذ صباه وحتى وفاته في الثالثة والستين من عمره. وسأبسط الحديث في بعض هذه الخصال.

وكما كان الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ معتمداً حيث كان يعمل بالتجارة في الجاهلية - كما ذكرنا - وكان يسافر إلى الشام واليمن ويسهم في قوافل التجارة ويشارك الآخرين.

ويقول أحد الذين شاركوه في زمن الجاهلية لقد كان أفضل شريك لي، فلم يكن يعاند ولا يجادل ولا يلقي بعبئه على كاهل الآخرين، ولا يتعامل مع الزبائن بسوء، ولا يبيع لهم بئس باهظ، ولا يكذب عليهم؛ فقد كان صادقاً أميناً. ولهذا أعجبت به السيدة خديجة وهي السيدة الأولى في مكة وكانت شخصية بارزة في الحسب والنسب والثراء.

طلاقة وجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وكان يعامل الناس معاملة حسنة؛ فقد كان دائماً طلق الوجه أمام الناس، ولم يكن يبدي لهم ما يعتمل صدره من هموم وأحزان. كما كان يسلم على الجميع، وعند ما كان يؤذيه أحد، فإنه لم يكن يشتكي مع ظهور آثار ذلك الأذى على ملامحه.

وكان لا يسمح لأحد أن يسبّ الآخرين في مجلسه، ولم يكن هو نفسه يسبّ أحداً أو يتحدث بما يسيء الآخرين.

وكان يداعب الأطفال، ويعطف على النساء، ويحنو على الضعفاء، ويمازح أصحابه ويجاريهم في سباق الخيل(1).

الأخلاق الحكومية للنبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وأما خلقه كحاكم، فقد كان عادلاً ومدبّراً؛ فالذي يقرأ تاريخ هجرته إلى المدينة، وتلك الحروب الشعواء بين القبائل، وتلك الغزوات الوحشية القبلية، وإخراج العدو من مكة إلى الفيافي، وتلك الضربات المتوالية، وذلك الصراع مع العدو المعاند، فإنه سيلاحظ مدى ما كان يتّصف به من تدبير شديد وحكيم وشامل بما يبعث على الدهشة، ممّا لا مجال لديّ الآن للإسهاب فيه.

كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شديد الرعاية والحفاظ على القانون، ولم يكن يدع أحداً ينتقض أحكام الشريعة أو يفرّط بالقانون، فضلا عن نفسه، وكان يعتبر نفسه خاضعا للقانون كما ينصّ القرآن على ذلك، فكان يطبق القانون على نفسه كما يطبقه على من هم سواه بلا أدنى تجاوز.

وعند ما غزا المسلمون بني قريظة فأسروا رجالهم وقتلوا خائنيهم وغنموا أموالهم ومتاعهم، فإن بعض أمّهات المؤمنين ومنهن زينب بنت جحش، وعائشة، وحفصة، قلن للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يا رسول الله، لقد غنمنا كل هذه الأموال من اليهود فاجعل لنا نصيبا فيها، إلا أنه لم يدعن لقولهن مع حبه واحترامه لهن، ومع أن أحدا من المسلمين لم يكن ليعترض عليه. فلما زاد إلحاحهنّ فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اعتزلهنّ شهرا كاملا على غير ما يتوقع منه. ثم لم يلبث أن نزلت آيات سورة الأحزاب الشريفة: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ

ص: 15

1- من كلمة ألقاها في: 7 صفر 1241 هـ - طهران.

كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ (1) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعْكُنَّ وَأَسَرَّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَرْضَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (2) فدعاهنَّ الرسولُ الأعظمُ صَلَّى اللهُ عليه و آله إلى الزهد و احترام القانون.

و من خلقه أيضا كحاكم صَلَّى اللهُ عليه و آله إنه كان يرفعى العهود، و لم ينقض عهدا له أبدا.

و عند ما نقضت قريش عهده فإنه ظل راعيا له، و كذلك كان الحال مع اليهود الذين نقضوا عهده غير مرة.

كما كان صَلَّى اللهُ عليه و آله حافظا للسر؛ فعند ما خرج لفتح مكة فإنه لم يعلم أحدا بوجهته، فعبأ الجيش بأجمعه ثم أمرهم بالخروج. و عند ما سأله: إلى أين؟ فإنه أجابهم: سيتضح ذلك فيما بعد. فلم يخبر أحدا بأنه قاصد مكة، لدرجة أن أهل مكة لم يعلموا بقدومه حتى اقتربه منها!

و من أهم مميزات سيرة النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله أنه لم يكن ينظر إلى أعدائه نظرة واحدة؛ فالبعض كانوا له أعداء ألداء، لكنه كان لا يمسهم بسوء إذا لم يجد منهم خطرا. و أمّا الذين كان يلمس خطرا فيهم فإنه كان يراقبهم و يقف منهم على حذر كعبد الله بن أبي.

فلقد كان عبد الله بن أبي منافقا من الطراز الأول، و كان يتآمر على الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عليه و آله، لكنَّ الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عليه و آله اكتفى بوضعه تحت الرقابة حتى آخر حياته.

و قد مات ابن أبي قبل وفاة النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله بفترة وجيزة، لكنه صَلَّى اللهُ عليه و آله تحمله حتى النهاية.

لقد كان أولئك من الذين لا يشكلون خطرا شديدا على النظام و الحكومة و المجتمع الإسلامي، و لكنه صَلَّى اللهُ عليه و آله كان شديدا على من يشكلون خطرا جسيما. إن ذلك

ص: 16

1- سورة الأحزاب: 32.

2- سورة الأحزاب: 28-29.

الرجل الرحيم المتسامح هو الذي أمر بقتل الخائنين من بني قريظة - وكانوا عدّة مئات - في يوم واحد، وهو الذي أخرج بني النضير وبني قينقاع وفتح خيبر، وذلك لما كانوا يمثلونه من خطر.

لقد عاملهم الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله برفق لدى قدومه إلى المدينة، لكنهم خانوه و طعنوه من الخلف و تأمروا عليه و هدّدوه.

إن الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله تحمل عبد الله بن أبيّ، و تحمل يهود المدينة، و فتح صدره لمن استجار به و من لم يؤذ من قريش، كما عفا عن أهل مكة عند الفتح و فيهم أبو سفيان و أمثاله من كبار رجال مكة، حتى إنه أعطى بعضهم شيئاً من الإمتيازات لأنهم لم يعودوا يشكلون خطراً(1).

ولكنه مع ذلك تعقّب فلول الأعداء الألداء الذين لمح فيهم الغدر و الخطر و الخيانة و قمعهم بشدّة.

وقد كان هذا خلقه صلّى الله عليه وآله كحاكم و قائد؛ فكان شديداً على الكفار رحيماً بالمؤمنين(2)، و خاضعاً و مطيعاً لأمر الله و عبداً له بمعنى الكلمة، و كان حريصاً على مصالح المسلمين.. و لم يكن ما تقدّم سوى خلاصة من أخلاقه صلّى الله عليه وآله(3).

ص: 17

1- كأبي سفيان حيث قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في حقه: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» انظر الوسائل: 18/11 باب 5، و البحار: 104/21-117.

2- قال تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ سورة الفتح: 28.

3- من كلمة ألقاها في: 7 صفر 1241 هـ - طهران.

إن سلسلة الأنبياء عليهم السلام هي أطهر سلاسل البشرية وأقدسها، وأشدّها نورا على طول التاريخ، و من بين العظماء والأطهار الذين يحظون بمعنوية إلهية وعرشية هو الوجود المقدّس لخاتم الأنبياء محمد المصطفى صلّى الله عليه وآله، فهو على رأس هؤلاء؛ وكذلك أهل بيته الأطهار - الذين صرّح بطهارتهم القرآن الكريم بقوله: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (1)** فهم من أطهر وأعظم الناس وأشدّهم نورا على طول التاريخ. من من النساء - على مدى التاريخ - مثل فاطمة عليها السلام و من من الرجال مثل علي المرتضى عليه السلام سجّله لنا التاريخ؟

إنّ عترة النبي الأكرم عليهم السلام في التاريخ، شمس مضيئة، استطاعت من حيث المعنوية أن تربط البشرية بعالم الغيب وبالعرش الإلهي فهم «السبب المتصل بين الأرض والسماء» (2).

إن أهل البيت عليهم السلام هم معدن العلم، و معدن الأخلاق الحسنة، و معدن الإيثار والتضحية، و معدن الصدق والصفاء، و منبع كل إحسان وجميل وإنارة تحلّى بها وجود الإنسان في كل عصر وعهد. وقد كان كلّ منهم شمسا مضيئة لوحده (3).

ص: 18

1- سورة الأحزاب: 33.

2- بحار الأنوار: 86/99.

3- من كلمة ألقاها في: 15 شعبان 1420 هـ - طهران - مصلى الإمام الخميني (قده).

فقد يتمتع مجتمع باناس متفكرين وعقلاء و من أهل الصفح والخير والإحسان والتعاون، من أهل الصبر والحلم عند النوائب والشدائد وذوي أخلاق حسنة في التعامل و من المضحّين، فهذا مجتمع إسلامي.

وقد لا يتمتع مجتمع باناس يتحلّون بهذه الصفات، كأن لا تكون علاقاتهم مبنية على التراحم والمروءة والإنصاف والأخلاق الحسنة، بل على الاستغلال، فيقبل أحدهم الآخر ما دام يوافق مصالحه وإلا فمستعد للقضاء عليه، فهذا مجتمع جاهلي(1).

الحاجة للأخلاق:

علينا أن ندعو الناس إلى الأخلاق الفاضلة مثل الإيثار، الرحمة، المحبة، الصبر والاستقامة في المهمات، والحلم، وكظم الغيظ، وعدم الخيانة، والأمانة وعدم الكيد للآخرين.

فالناس دائما بحاجة إلى هذه القيم، ولا يمكن أن نفرض أن الناس يمكنهم

ص: 19

الإستغناء عن هذه الامور في وقت من الأوقات. وإذا افتقد المجتمع القيم الأخلاقية هذه، فسيصبح مجتمعا غير صالح حتى وإن استطاع أن يصل إلى أعلى مدارج الرقي.

ومثل هذا المجتمع لا يطاق أبدا، وهذا ما نراه اليوم في بعض المجتمعات الغربية، هذه المجتمعات نجدها قد وصلت إلى مستوى عال من حيث العلم والمدنية والثروة، ولكن الحياة فيها جحيم لا يطاق.

في أمريكا هناك بعض المناطق التي يتعسر العيش فيها، الإنسان في تلك المناطق لا أمان له مطلقا، فلا يأمن على ماله ولا على عرضه ولا على حياته.

الشباب هناك لا يأمنون على حياتهم فهم دائما معرضون لمختلف الضغوطات النفسية والعصبية والتي تؤثر وبشدة على نفسياتهم و أرواحهم. هذا ما هو موجود بالفعل في إنجلترا و أمريكا وغيرها من الدول. هم يمتلكون كل شيء إلا أنهم يفتقدون إلى الحياة، وإلى السعادة. والسؤال لماذا؟

نقول لأن الأخلاق لم تواكب المدنية في حركتها التطورية المطردة.

الإنسان في المجتمعات الغربية يفتخر لكونه يسعى للحصول على المال والثروة.

أما في المجتمعات التي تحكمها المعنويات، فلا يوجد هناك أي مدعاة للتفاخر في مجال المادة والثروة؛ لأن الوحوش الحيوانية هي الاخرى أحدها يفتخر الآخر؛ لتبقى على قيد الحياة وتشبع بطنها. فما الداعي للتفاخر والتباهي، الافتخار هو أن يفتخر الإنسان بسعيه للحصول على الفضائل الأخلاقية، أن يفتخر بمساعدته للآخرين، بأن يفدي نفسه من أجل الآخرين. وهؤلاء الغربيون لا يرون في كل هذه القيم ما يدعو إلى الفخر والاعتزاز. وإذا رأوا من يفخر بهذه الامور، يسخرون منه ويعتبرونه إنسانا ساذجا.

إذن الأخلاق يحتاج إليها في كل مكان وفي كل زمان ولا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال.

و من الامور التي يحتاجها دائما الإنسان المؤمن صاحب الأخلاق هو الوعي

السياسي، ولا بدّ للشعب من أن يمتلك التحليل الصحيح و الذهنية السياسية الواعية حتّى لا ينخدع. فالإذاعات الأجنبية تسعى إلى إدخال ما تتسجحه من أكاذيب و أقاويل إلى أذهان الشعب و بطرق محبّبة، بحيث أنّ كلّ من يستمع إلى هذه الإذاعات لا بدّ و أن يتصوّر نسبة من الصحة و إن كانت قليلة (30 أو 50)، في حين أنّ بعض الأخبار تكون كلّها كذبا و افتراءا 100.

و لكنّهم يبتّونها بالصورة التي لا يعلم كذبها. و قد يكون الخبر صحيحا، و لكنّهم لا يقصدون الخبر بحدّ ذاته و إنّما يهدفون من وراء الخبر إيصال كلمة لها دلالتها الخاصة ضمن كلمات الخبر، أي أنّهم يريدون من وراء الخبر تفهيم كلمة معيّنة لها أثرها لدى السدّج من الناس الذين لا يمتلكون قدرة تحليلية للأخبار.

و من هنا بات من الضروري أن يزوّد المؤمن بالتحليل الصحيح كي لا تؤثر هذه الأساليب الخبيثة فيهم، لأنّه بالتحليل الصحيح يمكن أن نكتشف الزيف و الخداع الذي تمارسه هذه الإذاعات. إذن الوعي السياسي و التحليل السياسي أيضا من الامور التي نحتاجها في عملية التهذيب و السلوك.

و على أية حال لا بدّ من التأكيد على الجوانب المعنوية، على الدعاء و التضرّع، خصوصا في شهر رمضان، شهر الدعاء و شهر القرآن، و شهر الارتباط بالله، كما أنّه ينبغي التأكيد و التواصي على الجوانب الأخلاقية و التزكية و التهذيب، و هذه الجوانب نحتاجها في كلّ مكان و زمان، و لا يمكن تحديدها بزمان أو مكان معيّن و لا يمكن الإستغناء عنها.

كما أنّ تبين الحقائق التي من شأنها أن تكرّس حالة الوعي لدى الإنسان المؤمن و تزيد من مقدرته على استيعاب القضايا و المسائل السياسية أيضا لا يمكن الاستغناء عنها في كلّ الأحوال لتأثيرها على سلوكية الإنسان العامة (1).

ص: 21

إن الهوية الأخلاقية هي الهوية الحقيقية للمجتمع، أي أن مركز الثقل في المجتمع هو القطب الأخلاقي، وجميع الأمور الأخرى إنما تدور حول محورها.

فعلينا أن نولي الأخلاق أهمية كبيرة، وعلى الإذاعات والتلفزة وكافة وسائل الإعلام التخطيط في مجال نشر الفضائل الأخلاقية وتفهمها وبيانها، كالأخلاق السلوكية لأفراد المجتمع، والانضباط الاجتماعي، والنظم والتخطيط، والأدب الاجتماعي، والاهتمام بالأسرة، و رعاية حقوق الآخرين، وحفظ كرامة الإنسان، والإحساس بالمسؤولية والاعتماد على النفس، والتحلي بالشجاعة الذاتية والوطنية، والقناعة التي هي من أهم الفضائل الأخلاقية في المجتمع.

ولو أننا قد تعرضنا حالياً في بعض المجالات إلى المصائب، فمرد ذلك إلى غفلتنا عن السجية الحسنة.

وكذلك الأمانة والصلاح ومساندة الحق وابتغاء الجمال بمعنى اختيار الحياة الجميلة من الناحيتين الظاهرية والباطنية، وتجنب الاستهلاك، واختيار العفة، واحترام الأبوين والاستاذ.

هذه هي فضائلنا الأخلاقية، التي ركز عليها الإسلام وحثَّ عليها أهل البيت عليهم السلام، وعلى العلماء الأعلام وأصحاب الأقلام النيرة دعم هذه الفضائل في كافة البرامج التلفزيونية أو غيرها التي تعدونها وفي كل مسلسل وحوار وكلمة واجتماع ومكالمة هاتفية أو تقرير أو مقالة حتى لا يتم نقضها أو تضييعها(1).

ص: 22

لقد حاول الأعداء تهميش رسالة الحرية، والأخلاق والمعنويات، والمثل والفضائل والكرامة الإنسانية التي تنطوي عليها هذه الثورة الإسلامية، وكان هذا العمل مدروساً، وواصلوه من خلال دعاياتهم بشتى ضروبها وأصنافها؛ والغرض من ذلك هو سلب الرافد الفكري للشعب الذي يمثل في واقع الأمر المرتكز الذي تقوم عليه إرادتها وعزيمتها الراسخة، لتشعر الشعوب بفقدان أصلها.. و هل يقوى الإنسان على مواصلة الطريق الذي يسلكه دون إيمان وإعتقاد وقناعة به!؟

فعلى الجميع أن يأخذوا القضايا الثقافية والمعنوية على محمل الجد. ومظهر هذا الغزو هو تلك الإباحية التي تثار عن طريق التشكيك بالعقائد والتشجيع على السلوكيات المنافية للأخلاق في المجتمعات وإشاعة أنواع الفساد. إنها أمور يتوجب على كافة المسؤولين والعلماء إيلاؤها المزيد من الاهتمام، ولا يقتصر الأمر على المسؤولين في القطاع الثقافي(1).

ص: 23

إنّ ما رأيناه من الإتجاه الأخلاقي لدى الإمام الخميني هو اتجاه عملي و مؤثر جدا.

أحيانا يقوم الإنسان بتدريس المفاهيم الأخلاقية وبأسلوب مرتب لطلابه و مع أن هذا الأسلوب يعلّم المستمعين الأخلاق إلاّ أنه ليس معلوما أنهم يصبحون أخلاقيين من خلال هذا الأسلوب.

و أحيانا أخرى و من خلال الصحبة فقط مع أصحاب الملاكات الأخلاقية يجد الإنسان نفسه شيئا فشيئا قد اتجه في الإتجاه الصحيح من هذه الناحية، أنا و من خلال تواجدي 14 عاما مع الإمام في النجف لاحظت هذا البعد حيث تنتقل الفضائل الأخلاقية من الإمام الى طلابه من خلال أعمال الإمام و سلوكياته فبعد مصاحبته تجد نفسك بشكل طبيعي و غير محسوس قد أصبحت السيطرة على الأهواء النفسانية من قبيل الابتعاد عن الغيبة و الافتراء و الكذب ملكة في نفسك، و هذا معنى الحديث (كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم)⁽¹⁾.

هذه القدرة التي كان يتحلّى بها الإمام و التي كانت بحق أوقع في النفوس من المراقبات و الرياضات الأخلاقية نشأت لديه أثناء سنوات الشباب عند ما أهتم بهذا الجانب و لقد أعانته هذه الملكات الروحية و الأخلاقية التي تحلّى بها كثيرا في إدارة الثورة، فمثلا عدم الخوف مطلقا في مقابل العدو و التي هي من الصفات البارزة في شخصيته كانت ناشئة من اعتقاده الراسخ بأن (لا مؤثر في الوجود إلاّ الله). و ينتقال هذه الروحية لأنصار الإمام و المحيطين صار من السهل عليهم الصمود و عدم التراجع أمام الصعاب و العقبات.

ص: 24

وأتذكر هنا أنه في الأيام الأولى لاستقرار الإمام عليه الرحمة في النجف وفي أحد المجالس ذكر للمرحوم والذي كان مكان نفيه في تركيا عبارة عن بقايا جزيرة قد أتت عليها المياه العميقة من كل جانب..

فقال له الوالد: ألم تخف أن يقوم الجلاوزة الذين كانوا معك برميك في الماء وإغراقك.

فرد عليه الإمام: أبدا لم يكن ذلك شيء مهم.

ثم أضاف: في الليلة التي اعتقلوني في قم وأرسلوني الى طهران وبينما نحن في الطريق تغير مسير السيارة التي كانت فيها واتجهت وسط الصحراء الى جهة غير معلومة عندها أيقنت أن لدى هؤلاء أمرا بتصفيتي جسديا في وسط الطريق وفي هذه اللحظة راجعت نفسي و سألتها: يا ترى هل دخل شيء من الخوف في قلبي؟ إلا أنني وجدت الجواب حينها أنني لم أخف قط.

هذه الروحية بقيت تلازم الإمام عليه الرحمة الى آخر حياته ولكن بشكل أتم وأكمل، مثلا في بداية الحرب المفروضة أصبحت المنطقة التي يسكنها الإمام في جمران محلا لجولان الطائرات العراقية ومع ذلك فإن الإمام لم يتحرك أبدا من مكانه الذي هو فيه بجانب النوافذ الزجاجية الخطرة بل إنه لم يطفأ مصباح غرفته طوال الليل في حين أن الكثيرين وبعضهم الآن يدعي الشجاعة، بادروا الى النزول في الأقيسة، وهذه الحالة من عدم الخوف وباقي الملكات الروحية والأخلاقية معلولة لبناء الذات والمجاهدات الأخلاقية التي تربي عليها خلال سنوات متمادية وهي قدوة لنا جميعا(1).

فإذا كان الحديث عن الحرية والكرامة الإنسانية، وإذا كانت حقوق الإنسان في المجتمعات مطروحة، وإذا كان العدل ورفع الحيف لا يزال شعارا خلافا في الدنيا،

ص: 25

1- من كلمة ألقاها في: 17 /شوال/ 1425 هـ الموافق: 1383/9/11 هـ ش.

وإذا كانت مكافحة الفساد والمفسدين والظلم والظالمين، وإذا كان الإيثار والتضحية في سبيل الحق موضع اهتمام الإنسان، فإنّما يعود الفضل في ذلك إلى الأنبياء وعباد الله الصالحين الذين قدّموا هذه المفاهيم للتاريخ ووضعوها في متناول البشرية.

وعليه فإنّ عباد الله الصالحين يغيّرون وجه التاريخ، ويحوّلون المستحيل إلى ممكن، من خلال توكلّهم على الله و خشيته.

إذا لا يمكن تغيير الإنسان والإنسانية عن طريق الرجاء المادّي والخوف البهيمي.

إنّ خشية عباد الله ورجاءهم ليست كخشية عبّيد الدنيا ورجائهم، إذ أنّهم يتمسكون بالله ويتوكلون عليه، وتتلخص خشيتهم من معصيته، ويرون جميع القوانين الطبيعية - التي تمسك يد القدرة الإلهية بأطرافها - في خدمة أهدافهم، ويتحرّكون بالتوكل على الله، ولذلك يستطيعون تغيير العالم.

وقد كان إمامنا العظيم في زمرة هؤلاء العظام. إنّ عباد الله الصالحين يهيمنون على القلوب وذلك عن طريق اتصالهم بالله تعالى.

إنّ ولاية عباد الله الصالحين ولاية معنوية وباطنية، وإنّ ولايتهم الظاهرية إذا تحقّقت فهي استمرار طبيعي لولايتهم المعنوية والباطنية.

إنّ الله سبحانه وتعالى يلهم عباده الصالحين وأنبياءه وأوصيائه قدرته وإبداعه فيسلّطهم على القلوب.

أثر أولياء الله في الأرض

إنّ السلطة الحكومية وإن كان فيها شيء من الجمال إذا لم تكن متفرّعة عن الولاية المعنوية، لا تعدو أن تكون لونا من التمويه والكذب.

ومن هنا كانت حكومة عباد الله الصالحين والربّانيين مختلفة عن غيرها من الحكومات.

وقد عرض علينا الإمام نموذج ذلك، وشاهدناه عن كثب.

إننا حينما ننظر إلى أنفسنا، نجد أن المسافة بيننا وبين الأنبياء عليهم السلام وأولياء الله وعباده العظام عميقة وبعيدة المنال، إلا أن الإمام العظيم أرانا - في فترة غياب الأنبياء عليهم السلام وانقطاع الوحي - من خلال تواجده وفكره وسلوكه نموذجاً حياً للولاية الروحية.

و حالياً يمثل سلوك الإمام وفكره وهدفه وسيلة نجاة الشعب الإيراني و الأمة الإسلامية(1).

وقال علي بن موسى الرضا عليه السلام: «وسئل عن خيار العباد؟»

فقال عليه السلام: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا عفوا»(2).

خيار العباد لله تعالى هم الذين تتوفر فيهم هذه الصفات:

1 - إذا قاموا بعمل الخير والإحسان فرحوا واستبشروا.

2 - إذا ارتكبوا سيئة أو قاموا بعمل غير صالح تابوا واستغفروا منه.

فإن واحدة من آفات وعيوب الإنسان أنه لا يراقب أعماله بل يقف حيادياً مقابل أعماله السيئة أيضاً. وعلى عكس ذلك الإنسان الذي يراقب أعماله وإذا ارتكب عملاً سيئاً تذكّر واستغفر ربه و تاب إليه، فإن هذه من صفات المتقين كما قال الله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا (3).

3 - إذا أعطاهم الله نعمة أو أحسن إليهم الناس بمال وغيره شكروا ذلك و حمدوا الله تعالى.

4 - إذا نزلت بهم الإبتلاءات و الحوادث صبروا و استقاموا، فلا يتوقفون و لا

ص: 27

1- من كلمة ألقاها في: 1384/3/14 هـ ش. - الموافق 26 /ربيع الثاني/ 1426 هـ - الموافق 2005/6/4 م. - طهران.

2- تحف العقول، صفحة: 445.

3- سورة الأعراف: 201.

يتراجعون عن الخط الذي ساروا فيه لأجل تلك البلاءات ولم تكن مانعا ولا عائقا عن إكمال مسيرهم.

5 - إذا غضبوا عفوا و تجاوزوا هذا إذا كان الغضب لأنفسهم أثناء حياتهم اليومية وعلاقتهم مع الناس، لا الغضب لله وفي سبيل الله تعالى (1).

وعن أحمد بن عمر الحلبي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أي الخصال بالمرء أجمل؟

قال عليه السلام: وقار بلا مهابة، و سماح بلا طلب مكافأة، و تشاغل بغير متاع الدنيا. (2)

يسأل الراوي الإمام الصادق عليه السلام عن أي الخصال هي أجمل للمرء؟

فأجابه الإمام عليه السلام: الوقار من دون مهابة أي أنه في نفس الحال الذي يكون وقورا لا يخافه الناس.

و السماح و العفو مع الآخرين من دون أن يطلبوا منه ذلك. طبعاً العفو و السماح ليس منحصر بالمال بل يشمل ما إذا كان يلبي مطالب كل من يطلب منه شيئا سواء كان مالا أم مساعدات إجتماعية أخرى فإنه يقضي طلباتهم بسهولة من دون أن يتوقع منهم جبران ذلك.

و التشاغل بالأمور النافعة غير الدنيوية على الدوام و لا يكون عاطلا عن العمل.

طبعاً الإنشغال بالأمور المعيشية الدنيوية لا إشكال فيه إذا كان ضمن الحد المعقول من قبيل تنظيم أمور العائلة و التوسعة على الأهل و العيال و إنجاز أموره الخاصة.

قال الله تعالى الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. و لكن هذا لا يعني أن يصرف و يبذل كل همّه و جهده في تحصيل الأمور الدنيوية و التجملات و توفير المال

ص: 28

1- كلمات مضئية: 5.

2- الخصال/باب الثلاثة/ح 36./

وقال الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام للشيعة: أوصيكم بتقوى الله و الورع في دينكم و الاجتهاد لله و صدق الحديث و أداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برّ أو فاجر، و طول السجود و حسن الجوار، فهذا جاء محمد صلى الله عليه و آله.

صلّوا في عشائهم و اشهدوا جنائزهم و عودوا مرضاهم و أدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه و صدق في حديثه و أدّى الأمانة و حسن خلقه مع الناس قيل هذا شيعي فيسرني ذلك...»(2)

عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام كان مهمّا جدا، فإنّ الشيعة آنذاك كانوا كثيري العدد و منتشرين في جميع الأقطار الإسلامية. و لذلك أوصاهم عليه السلام مضافا إلى مراعاة الموازين الدينية بالمحافظة على الخصوصيات الشيعية و هي كما قال:

التقوى و الورع و الاجتهاد و الجدّ في سبيل الله و أداء الأمانة (سواء كانت مالا أم أسراراً أم حرماً و نوايس). من دون فرق بين أصناف الناس سواء كانوا أبرارا أم فجّارا.

و طول السجود (لأنّه من مظاهر التواضع و الخضوع لله تعالى) و حسن المعاملة مع الجيران. فإنّ هذه التوصيات كلها جاء بها رسول الله صلى الله عليه و آله.

و كذلك يوصيهم بحضور جماعة أهل السنّة و عيادة مرضاهم و تشييع أمواتهم و أداء حقوقهم إليهم.

و على هذا فإن قام أحدكم بذلك بأن ورع في دينه و صدق في حديثه و أدّى الأمانة لأهلها و كان خلقه حسنا مع الناس، فإنّ الناس سوف تقول عنه هذا هو الشيعي في مقام المدح و الإطراء عليه و هذا الأمر يدخل السرور على قلب الإمام عليه السلام(3).

ص: 29

1- كلمات مضئية: 9.

2- تحف العقول، صفحة: 487.

3- كلمات مضئية: 6.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا علي، ثلاث خصال من مكارم الأخلاق: تعطي من حرمك و تصل من قطعك و تغفو عمَّن ظلمك»(1).

المكارم جمع مكرمة، و المراد بها هنا الاخلاق العالية الرفيعة، فإنَّ بعض الصفات حميدة و ذات قيمة، و لكن بعضها الآخر مضافا الى ذلك تتصف بالعظمة و الرفعة.

و منها هذه الصفات الثلاثة:

1 - تعطي من حرمك:

فمثلا إذا طلبت قرصنا من شخص فامتنع و أبي عن إقراضك ثم جاء هو بعد ذلك و طلب منك إقراضه تعطيه و إن كان قد حرمك.

2 - تصل من قطعك:

كما إذ قطع بعض أقاربك و أرحامك صلتهم و لم يتعاملوا بعاطفة و مودة معك، و لكن أنت لا تبادلهم بالمثل بل تصل رحمهم و لا تقطع علاقتك بهم.

3 - تغفو عمَّن ظلمك: فمثلا إذا حكم عليك شخص ظلما و من دون حق، أو تكلم عليك بكلام باطل فتقابله بالعفو و التسامح، و لا تنتقم منه و لا تعامله بالمثل.

فهذه من مكارم الاخلاق العالية(2).

و روي عن أمير المؤمنين عليه السَّلَامُ: «أورع الناس من وقف عند الشبهة».

ص: 30

1- الخصال/باب الثلاثة/ح 121.

2- كلمات مضيئة: 18.

وَأَعْبَدَ النَّاسَ مِنْ أَقَامِ الْفَرَائِضِ.

وَأَزْهَدَ النَّاسَ مِنْ تَرْكِ الْحَرَامِ.

وَأَشَدَّ النَّاسَ اجْتِهَادًا مِنْ تَرْكِ الذُّنُوبِ»(1)

وردت في المعارف الإسلامية بعض المفاهيم والعناوين من قبيل الورع والزهد، وقد اهتمَّ الشارع المقدَّس بها وحرص وشجع وحثَّ عليها أيضًا.

ولكن قد يظن البعض أن إدراك وفهم هذه العناوين أمر صعب وشاق ومشكل، إلاَّ أنَّ الروايات بيَّنت ووضَّحت المراد منها كما في هذه الرواية على النحو التالي:

أورع الناس هو الشخص الذي يتوقَّف عند مواجهة الشبهات فلا يدخل فيها.

وَأَعْبَدَ النَّاسَ هُوَ الشَّخْصُ الَّذِي يَأْتِي بِالْوَأْجِبَاتِ وَالْفَرَائِضِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَأَزْهَدَ النَّاسَ هُوَ الشَّخْصُ الَّذِي يَتْرُكُ وَيَجْتَنِبُ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَأَشَدَّ النَّاسَ اجْتِهَادًا وَأَكْثَرَهُمْ سَعْيًا وَجَهْدًا هُوَ الشَّخْصُ الَّذِي يَتْرُكُ الذُّنُوبَ»(2)

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: «ثلاث خصال من كُنَّ فيه أو واحدة منهن كان في ظلِّ عرش الله عز وجل يوم القيامة يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه:

رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لها.

ورجل لم يقدِّم رجلا ولم يؤخِّر أخرى حتَّى يعلم أنَّ ذلك لله فيه رضى أو سخط.

ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه، فإنه لا ينفي منها عيبا إلاَّ بدا له عيب، وكفى بالمرء شغلا بنفسه عن الناس»(3).

هناك ثلاثة خصال إذا وجدت كلها أو واحدة منها في الإنسان كان مستظلا بظل

ص: 31

1- الخصال، باب الواحد، ح: 56.

2- كلمات مضيئة: 6-7.

3- الخصال/باب الثلاثة/ح 3.

العرش الإلهي يوم لا ظل إلا ظل الرحمة والأمان الإلهي. وهي:

1 - الشخص الذي يعطي الناس كل الأمور التي يتوقع أن يعطوها إياه إذا سألهم عنها، فيقوم بأدائها لهم كما يحب أن يؤديها له. فمثلا إذا كان يتوقع من الناس أن يسعفوه ويساعدوه في قضاء حوائجه عند ما تضيق به السبل أو كان يتوقع منهم الإحترام و حفظ حقه و حرمة، فالواجب عليه أن يقوم بمثل هذا بحقهم.

2 - الشخص الذي لا يقدم على عمل إلا إذا رأى أن هذا العمل هل فيه لله رضا أو سخط؟ فإذا إطمأن بأن الله يرضاه أقدم عليه وإذا كان يسخطه إجتنبه.

3 - الشخص الذي لا يعيب على الآخرين أي عيب إلا بعد أن يزيل و ينفى هذا العيب عن نفسه أولا.

و الفائدة و الثمرة المترتبة على هذه الصفة هي أن الإنسان لن يعيب الآخرين بعيب أصلا و لن يتتبع عيوبهم، أو أنه سوف ينشغل بإزالة العيوب عن نفسه و تطهيرها منها.

و بتعبير الإمام عليه السلام أن كل عيب يزيله و ينفيه عن نفسه سوف يلتفت بعده الى وجود عيب آخر فيه فيسعى لإزالته و هكذا، فينشغل بعيوبه عن عيوب الناس. (1)

و عن سفيان الثوري قال: «لقيت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصني.

فقال لي: يا سفيان لا مروءة لكذوب، و لا أخ لملوك(2)، و لا راحة لحسود، و لا سؤدد لسيء الخلق.

فقلت: يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) زدني.

فقال لي: يا سفيان، ثق بالله تكن مؤمنا، و ارض بما قسم الله لك تكن غنيا، و أحسن مجاورة من جاورته تكن مسلما، و لا تصحب الفاجر فيعلمك من

ص: 32

1- كلمات مضية: 8.

2- في بعض المصادر: لملول.

فجوره، و شاور في أمرك الذين يخشون الله عزّ وجلّ». (1).

المروءة مشتقة من مادة «مرء» والمراد بها الفتوة والرجولة والشجاعة.

والإنسان الكذوب لا مروءة ولا شجاعة لديه.

والأشخاص الذين يتصدرون دفة الحكم والسلطنة والقدرة أي الملوك والسلاطين لا يوجد لهم أخ، لأن الذين يتقربون إليهم هدفهم من ذلك ثروتهم وسلطتهم وليس غرضهم الصداقة والمودة لهم.

والحسود ليس لديه راحة لأنه يوجد في داخله ما يبعث على العذاب والألم والحسرة.

والشخص الذي تكون أخلاقه سيئة في معاشرته للناس لن يصل الى السيادة أبدا ولا يعيش مرتاحا على الإطلاق.

وأما الثقة بالله تعالى فالوثوق والاطمئنان والاعتماد على الله تعالى يساوي الإيمان.

لأن المؤمن الحقيقي هو الذي يعتمد و يثق بالوعد الإلهية الواردة في القرآن الكريم كاستجابة الدعاء مثلا أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ (2) أو النصر الإلهية وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ (3).

و إذا لم يستجب دعاؤه في مورد ما فلا يشك في الوعد الالهي بل يبحث و يفتش عن المانع الذي حال بينه وبين الاجابة.

و أما الرضا بما قسم الله له و التسليم به فهذا يجعله غنيا عن الناس فلا يمدّ يد الحاجة إليهم و لا يستعطيهم لأنه يشعر بالكفاف. طبعاً هذا لا- يعني أن الإنسان لا يسعى و لا يجد في حياته بل يجب عليه الجدّ و الكد و السعي و لكن يقنع بالعطاء الإلهي و لا يأكله الحرص و الطمع و لا يمد عينه نحو مال الآخرين.

ص: 33

1- الخصال/باب الثلاثة/ح 222.

2- سورة غافر: 60.

3- سورة الحج: 40.

و أما مجاورة الجار فلا بد أن تكون حسنة و لطيفة فيتعامل مع جاره بالإحسان و المودة، و أما الفساق و الفجار فهؤلاء يجب الاجتناب عن صحبتهم لأنهم يعلمون الفسق و الفجور.

و إذا أراد المشورة في أمر ما فعليه أن يشاور التقي الورع الذي يخاف الله تعالى لأنه لا يشير عليه إلا بما يراه خيرا و صلاحا(1).

و عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «ما من خطوة أحبّ الى الله عزّ و جلّ من خطوتين: خطوة يسد بها المؤمن صفا في سبيل الله، و خطوة الى ذي رحم قاطع.

و ما من جرعة أحبّ الى الله عزّ و جلّ من جرعتين: جرعة غيظ ردها مؤمن بحلم و جرعة مصيبة ردها مؤمن بصبر.

و ما من قطرة أحبّ الى الله عزّ و جلّ من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، و قطرة دم في سواد الليل، لا يريد بها عبد إلا الله عزّ و جلّ (2).»

في الميزان الإلهي، يوجد خطوتان أفضل و أحبّ الى الله عزّ و جلّ من سائر الخطوات التي يخطوها الإنسان، و هما:

1 - الخطوة التي يخطوها المؤمن للذهاب الى الجبهة و الحرب ليكمل صفوف المجاهدين في سبيل الله، و الظاهر في الرواية هو الجهاد العسكري إلا أنه يمكن شمولها للجهاد الثقافي و السياسي أيضا.

2 - الخطوة التي يخطوها المؤمن من أجل صلة رحم أقاربه و أرحامه الذين قطعوا صلتهم معه.

و كذلك الحال توجد جرعتان في الميزان الإلهي، هما أفضل و أحبّ إلى الله عزّ

ص: 34

1- كلمات مضبئة: 9-10.

2- الخصال/باب الاثني/ح 60.

و جلّ من سائر الجرعات التي يتجرّعها الإنسان و هما:

1 - جرعة الغيظ التي يتجرّعها المؤمن عند ما يتعرض لحادثة تغضبه و تغيظه، فيقوم بشربها و ابتلاعها بصبره و تحمّله.

2 - جرعة الصبر على المصاب الذي يحلّ به.

و كذلك توجد قطرتان هما أفضل و أحبّ إلى الله عزّ و جلّ من سائر القطرات التي تنهمل من الإنسان و هما:

1 - قطرة دم تراق منه في سبيل الله.

2 - قطرة دمع يريقها في سواد الليل من أجل الله تعالى و لا- يريد بها إلا- الله عزّ و جلّ ، سواء كانت خوفا من الله تعالى أم حبا له أم استغفارا و توبة(1).

و قال أبو عبد الله عليه السّلام لأحد أصحابه و يدعى معاوية: «يا معاوية من أعطي ثلاثة لم يحرم ثلاثة: من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة.

و من أعطي الشكر أعطي الزيادة.

و من أعطي التوكّل أعطي الكفاية.

فإنّ الله عزّ و جلّ يقول في كتابه: «و مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (2) و يقول «لَيْنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» (3) و يقول «أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (4). (5)

كل شخص أعطي هذه الامور الثلاثة لم يحرم ثلاثة خصال أخرى معها، و هي:

1 - الذي يوفّق للدعاء فإن الإستجابة تكون من نصيبه، لقوله تعالى:

«أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ».

ص: 35

1- كلمات مضیئة: 13.

2- سورة الطلاق: 3.

3- سورة إبراهيم: 7.

4- سورة غافر: 60.

5- الخصال/باب الثلاثة/ح 56.

2 - الذي يوفّق لشكر النعم لإلهية سوف تزداد و تكثر النعم عليه، لقوله تعالى:

«لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ».

3 - الذي يتوكّل على الله عزّ وجلّ سوف يكفيه، لقوله تعالى: «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (1).

و عن علي بن الحسين عليه السّلام قال: «كان آخر ما أوصى به الخضر موسى بن عمران عليه السّلام، أن قال له: لا تعيّرنّ أحدا بذنب، وإنّ أحبّ الأمور الى الله عزّ وجلّ ثلاثة: القصد في الجدة و العفو في المقدرة و الرفق بعباد الله.

و ما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله عزّ وجلّ به يوم القيامة.

و رأس الحكمة مخافة الله تبارك و تعالى» (2).

آخر وصية أوصاها الخضر عليه السّلام الى النبي موسى عليه السّلام كانت ما يلي:

- لا تشمت بالشخص الذي يرتكب الذنوب و المعاصي و لا تعيّر به بذلك.

- إنّ أحبّ الأمور الى الله تعالى ثلاثة:

1 - الإعتدال و القصد في الإنفاق عند القدرة و التمكن المالي، إنّ عدم الإسراف في حال الضيق و الفقر أمر طبيعي و أما حينما يكون مقتدرا ماليا فالواجب عليه أيضا أن لا يسرف و لا يتعدّى الحدود، لأنه قد يتوهم و يعتقد أنّه حينما يحصل على الثروة و المال فلا مانع من الإسراف و التجاوز عن الحدود.

2 - العفو و التسامح حينما تكون لديه المقدرة و السلطة على الإنتقام.

3 - الرفق و المداراة بعباد الله تعالى.

طبعا هذه المسألة لا تشمل المنافقين و المعاندين لأن الله يقول بشأنهم أشدّاء

ص: 36

1- كلمات مضيئة: 32.

2- الخصال/باب الثلاثة/ح 83.

عَلَى الْكُفَّارِ (1).

فكل شخص يتعامل بالرفق و المداراة مع عباد الله تعالى فإن الله عزّ وجلّ سوف يتعامل معه برفق و مداراة يوم القيامة، لأن الإنسان يحتاج الى المداراة في ذلك اليوم، و كما ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي «اللهم ارحمني إذا انقطعت حجّتي و كلّ عن جوابك لساني و طاش عند سؤالك لبي» (2). (3).

ص: 37

1- سورة الفتح: 29.

2- مصباح المتهجد: 593.

3- كلمات مضيئة: 14.

تعريف حسن الخلق

قيل لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ما أفضل ما أعطي المرء المسلم؟ قال: الخلق الحسن».

وقال أيضا «حسن الخلق نصف الدين»⁽¹⁾.

قد ورد في بعض الروايات المرتبطة بحسن الخلق وأريد منه هناك الصفات الحميدة الحسنة كالشجاعة والكرم والحلم ونحوهما وأما في هذه الرواية فالمراد من حسن الخلق التعامل مع الناس بأخلاق وتصرفات حسنة.

وهذا في الحقيقة هو المظهر العملي للأخلاق الحميدة في الإنسان.

فالإنسان يجب في معاشرته مع الناس أن يتعامل معهم بأخلاق حسنة وأن يتصرف معهم بطريقة حسنة و مسلكية صحيحة، فيكون صابرا متحملا متجاوزا عنهم وإذا رأى تصرفا سيئا من الناس استوعبه وتحمله، ويظهر لهم من النوايا الحسنة والخيرة ويتواضع لهم.

وهذا في الحقيقة أمر مهم جدا سواء للشخص نفسه لأن هذه الأخلاق الفاضلة والحميدة سوف تنمو وتتطور في نفسه أكثر، أم للطرف المقابل الذي سوف يتأثر بهذه الأخلاق أو يرد له أن يتأثر بها.

ص: 39

1- الخصال، باب الواحد ح: 106، ح: 107.

و يتأكد هذا المطلب أكثر بالنسبة للأشخاص العاملين في حقل التبليغ للإسلام و المعارف الدينية فإنّ الواجب عليهم أن يلتفتوا إلى هذا الأمر و يهتمّوا به كثيرا(1).

أهمية الخلق الحسن

من وصايا الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام لهشام: «يا هشام، مكتوب في الإنجيل:

طوبى للمتراحمين أولئك هم المرحومون يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس أولئك هم المقربون يوم القيامة، طوبى للمطهّرة قلوبهم أولئك هم المتّقون يوم القيامة، طوبى للمتواضعين في الدنيا أولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة»(2).

يقول الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام أنه مكتوب في الإنجيل ما يلي:

طوبى و هنيئا للذين يرحمون الناس و يعاملونهم بلطف و رحمة، فإنّ أولئك سوف يكونون يوم القيامة في رحمة الله تبارك و تعالى.

و طوبى و هنيئا للذين يصلحون بين الناس فيسعون لرفع الإختلافات و النزاعات و الكدرات بينهم، فإنّ أولئك في عالم الآخرة يكونون في جملة المقربين.

و طوبى و هنيئا للذين طهّروا قلوبهم و نظّفوها من الرذائل و التلوّثات الأخلاقية من قبيل الضغينة و الحقد و الحسد و البخل و حبّ الدنيا. فإنّ أولئك في الآخرة يكونون في صفّ المتّقين و الورعين.

و التقوى بمعنى المراقبة للذات لها بعدان فتارة تكون بمعنى المراقبة لأعمال الجوارح و أخرى تكون بمعنى المراقبة للقلب و هي أعلى مراحل التقوى.

و طوبى و هنيئا للذين يتواضعون بحيث يرون أنفسهم دائما أقلّ من الآخرين و لا

ص: 40

1- كلمات مضيئة: 23.

2- تحف العقول، صفحة: 394.

ينظرون للناس نظرة احتقار، فإنّ أولئك يكونون يوم القيامة على كراسي الملك و السلطان(1).

و من مواظب النبي صلّى الله عليه وآله: «خياركم أحاسنكم أخلاقاً، الذين يألفون و يؤلفون»(2).

أفضل الناس هم الذين يكون تعاملهم مع الناس أفضل و أحسن من الجميع، و الذين يكون وجههم باعثاً لرغبة الناس في الإلفة و الأانس بهم فيألفونهم لذلك.

و ليس معنى الرواية تفضيل الذين لا يقومون بتكليفهم الشرعي و لكنهم على معاملة حسنة مع الناس على الذين يقومون بوظائفهم الشرعية و لكنهم ليسوا ذوي وجه حسن مع الناس.

بل معنى الرواية تفضيل المؤمن الذي يقوم بوظائفه الشرعية و هو على خلق حسن على المؤمن الذي يقوم بوظائفه الشرعية و لكنه ليس على خلق حسن(3).

ص: 41

1- كلمات مضيئة: 22.

2- تحف العقول، صفحة: 45.

3- كلمات مضيئة: 27.

إذا سادت الأحكام الإلهية وظهر نظام قائم على الإسلام وتحققت العدالة الاجتماعية، فقد انجز - لهذا الحد - هدف متوسط، أو قطع في الحقيقة شوط من الطريق.

و المرحلة التالية هي أن يجد الناس - الذين يعيشون في ظل هذا النظام بأمن و رخاء و ينعمون بعدل الحياة - فسحة و فرصة للتخلق بالأخلاق الحسنة، مشتاقين و ساعين إليها.

يجب أن يتخلق الناس بالأخلاق الحسنة. و من الطبيعي أن التخلق بالأخلاق الحسنة يوجب التسامي و التكامل المعنوي و النفسي و المعرفة الأفضل، و هذا من مراحل الإنسان الكامل - و نحن غير قادرين على إدراك ذلك بشكل صحيح، و إنما يسمع الإنسان أشياء من الأكابر و أهل المعرفة - المرحلة المتعلقة بنا حالياً هي مرحلة الأخلاق.

و لقد كان حقاً ما قاله الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»⁽¹⁾ و هذا الحديث منقول من طرق الفريقين؛ نقله الشيعة و السنة.

كلمة «إنما» ذات مغزى كبير. أي أنّ جوهر بعثتي لهذا الغرض. هذا هو الهدف، و ما سواه مقدمة. لاتمم مكارم الأخلاق بين الناس و لدى أبناء المجتمع لتبلغ الأمة مرحلة الكمال و النضج، و يتحلى الجميع بمكارم الأخلاق لنبلغ مرحلة الإنسانية.

يجب أن يكون كل منا إنساناً. يجب أن نقوي و نكمل الأخلاق الإنسانية في ذواتنا.

ص: 42

وهذه هي الخطوة اللاحقة، وهي ذات أهمية كبرى. فإذا بقينا بعيدين عن الأخلاق في مجتمع إسلامي وفي نظام يقوم على مبادئ الإسلام، وبقينا نلهث وراء النزوات والأنانية والشهوة، وكل منا يسعى للحصول على مزيد منها ليأكل أكثر ويعيش حياة أكثر رفاهية، و يتكالب على هذا وذاك، وإذا استدعى الأمر يستولي على حق الآخرين، وإن لم يكن إيثار ولا تضحية، فأية حكومة هذه؟! وأي إسلام، وأي مجتمع إسلامي!؟

هذا هو أساس القضية. «بعثت لاتمم مكارم الأخلاق».

إعلموا يا أعزائي أنّ عالم اليوم بحاجة إلى هذا. ومما يؤسف له أنّ العالم المادي محروم من هذه الخاصية بالمرّة!

وأما الأخلاق الإلهية و المكارم الأخلاقية فقد وضحتها وفصلتها الشريعة الإسلامية المقدسة، سواء ما يتعلق منها بالإنسان ذاته كالصبر، و الشكر، والإخلاص، و الفناعة، أو ما يتعلق منها بصلاته مع الآخرين كالتسامح، و التواضع، و الإيثار، و تكريم الناس، أو ما يتعلق منها بعموم المجتمع الإسلامي.

لأخلاق الإسلامية مجال واسع. وهي تلك الامور نفسها التي تركّزت معظم جهود الأنبياء عليهم السلام والأولياء والشخصيات الكبرى في الأديان الإلهية، وكذا في الإسلام تركّزت جهود الرسول الأعظم والأئمة الأطهار عليهم السلام على بنائها.

ولا شك أنّ هذه الامور لا تنال في ظل الحكومات الجائرة إلاّ بشق الأنفس، كما ذكرنا من قبل.

في الأنظمة التي يقوم أساسها على الباطل والظلم وعلى المادية - كحكومات الطواغيت في العالم - من الطبيعي أنّ مثل هذه الأشياء لا يمكن بلوغها بسهولة، ولكن يمكن تحقيقها في ظل النظام الإسلامي بكل سهولة، وهذا ما يحتاجه العالم اليوم (1).

ص: 43

1- من كلمة ألقاها في: 27 رجب 1417 هـ

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ذللوا أخلاقكم بالمحاسن، وقودوها إلى المكارم، وعودوا أنفسكم الحلم»⁽¹⁾.

التذليل بمعنى التأهيل والإعداد والتربية.

في أخلاق الإنسان الطبيعية (الإنسان الذي لم يخضع للتربية) هناك عدم انسجام وتلائم وعدم توافق وتطابق بين أخلاقياته، وتكليف الإنسان تجاهها هو تصفية وتهذيب أخلاقه من الصفات غير المتناسبة وتوجيهها نحو الإتجاه المتعادل. فمثلا صفة القوة والبطولة يوجهها نحو الشجاعة ولا يتركها لتحوّل إلى صفة التهؤور الذميمة.

وهذا العمل يتم من خلال معرفة الصفات ووضع البرنامج والممارسة والمجاهدة لأن القرارات السريعة والمؤقتة لا تعطي نتيجة.

نعم هناك عامل آخر إذا وجد في الإنسان فإنه يحدث فيه انقلابا عجيبا في أخلاقياته، وهذا العامل هو المحبة الإلهية، فإن قلب الإنسان إذا اتجه نحو الحق سبحانه وتعالى أوجد ميلا ورغبة لديه لأن يقطع طريق مئة سنة بليلة واحدة.

ثم في المقطع الأخير يتحدث عن الحلم وتعويد النفس عليه.

والحلم ليس معناه عدم الغضب فقط، بل يكون بمعنى السعة والتحمل أيضا فالإنسان في مقابل ما يعرض عليه من أسباب الغضب أو أسباب الغرور والعجب أو الفرح والسرور المزيّنين الخاليين من أية فائدة، يجب أن يكون كالبحر الذي تهدأ

ص: 44

بالوصول إليه الأنهار الصاخبة المتلاطمة لأنه يضمّها وبيتلعها في نفسه كلها جميعاً(1).

واجبنا تجاه نشر الأخلاق

على مجتمعنا القيام بحركة أساسية كصيغة مكملّة للشورة الإسلامية الكبرى، وهذه الحركة الأساسية ذات مرحلتين: إحداهما إقرار النظم وإشاعة الأخلاق الإسلامية، كقيم كبرى بين أبناء مجتمعنا، أي أن يكون لها أهميتها وشأنها؛ بعد أن كانت قد سقطت عن درجة القبول في عهد الحكومات الطاغوتية التي حكمت بلادنا الإسلامية. فالشخص الصادق في أقواله يعدّ ساذجاً لدى قصيري النظر، إنّه صادق، فيقول ما يعلم، ولكنهم يعتبرون من لا- يقول الصدق، ويقلب الحقائق ويتحايل، يعتبرونه ذكياً فهيماً. هذا هو قلب القيم. هكذا كان الوضع على مدى حكم الطواغيت وحكومات الملوك الظلمة الجائرين الفاسدين المعادين للأخلاق.

ومّا يؤسف له أنّ البنية الأخلاقية في بلادنا قد تلقت ضربات كثيرة.

لقد ساعدت الحركة الثورية على إرساء الاسس الأخلاقية والركائز الداخلية والروح الأخلاقية في مجتمعنا وأعدت لها الحياة، ولكن لا بدّ من بذل الجهود. هذه هي الخطوة الأولى.

أمّا المرحلة الثانية فهي أن تنقلوا هذه القيم الأخلاقية إلى العالم؛ فعالم اليوم بحاجة لها.

والإنسانية تعاني اليوم على الصعيد العالمي من فقدان الأخلاق، وبإمكان الإسلام والمسلمين تقديم أفضل هدية أخلاقية للشعوب ولل البشرية.

مع الأسف إنّ أكبر جرائم الاستكبار العالمي اليوم هي الكذب، والخداع، والتحايل، وإشاعة نزعة الباطل من خلال سلوكهم في العالم. و
أنتم ترون اليوم

ص: 45

أشخاصاً في الحكومات المتجبرة في العالم - وعلى رأسها أمريكا - ارتكبوا أكثر حالات الإرهاب في أرجاء العالم.

لقد ارتكبوا القتل والاعتقال والانقلابات وغيرها من الممارسات البشعة في كل بقعة من العالم وخاصة في أمريكا اللاتينية وفي الكثير من بقاع العالم الأخرى. وفي إيران شاهدنا بأنفسنا ما فعلوه هنا، وهكذا الحال في المناطق الأخرى.

لقد دافعوا عن أبشع الإرهابيين في العالم، ومنحوهم اللجوء، وبادلوهم علاقات الود، وكرّموهم، وقدموا لهم - ولا زالوا - المعونات المادية. وساندوا وقدموا أكبر العون لإسرائيل، وهي دويلة قائمة على الإرهاب ومبنية على الغضب والظلم والعدوان، وهم يدعمونها علانية، ولا يدعمون أصدقاءهم العرب بقدر ما يدعمون إسرائيل. وأمريكا لا تساند الدول التي تعتبر صديقة تقليدية لها مثلما تساند إسرائيل.

وفي الواقع إنّ صديقها الحقيقي هو إسرائيل وهي تفضّلها على جميع الدول، في حين أنّ إسرائيل دولة قائمة على الإرهاب.

لقد اعتمد هذا الكيان منذ أول يوم ظهر إلى الوجود، أساليب الإرهاب، و اغتيال المعارضين، والكذب، والظلم، وتدمير الإنسان، والقتل الجماعي والكثير من مساوئ الأخلاق.

هذه هي مساندتهم للإرهاب. وفي الوقت نفسه نرى أمريكا اليوم ترفع لواء مكافحة الإرهاب!!

لاحظوا، هذا هو الكذب والخداع، وهذا هو الابتعاد عن الأخلاق، وافتقار البشر للأخلاق! وهذا أشد مرارة وإيلاما من أي شيء آخر في العالم هو أن يرى المرء ألد أعداء الفضائل يدعون القيم والفضائل.

العالم بحاجة إلى الرسالة التي تنادون بها، والحقيقة التي تحملونها، والطريق الذي تسلكونه، وإلى القرآن، وإلى البعثة التي تحضون بها، إلاّ أنّه لا يمكنكم أن تنقلوها وتعلموها الآخريين إلاّ بعد أن تعلموها وتعرفوها أنتم أنفسكم، فنكون قد تعلمناها

مسبقا و عملنا بها.

يجب أن نبدأ نحن و الخطباء و المثقفون و من بيدهم وسائل الإعلام، و غيرهم لتعليم و إشاعة الأخلاق بين الناس؛ ليكون الله أيضا عوننا لكم، و ليرضى قلب صاحب الزمان عنكم و عتًا، و تكون الهداية الإلهية معنا بإذن الله، و لتحظى روح إمامنا الكبير الخميني (رحمة الله عليه) من هذه الحركة الأخلاقية بالفيض و الرحمة(1).

سبب المعاناة الإنسانية

إنّ بؤرة معاناة الإنسانية اليوم هنا، و المصائب التي يعاني منها عالم اليوم من قبيل الطغيان السياسي و تسلط الطواغيت على مقدرات الإنسان تعود في جذورها إلى علل أخلاقية، كما أنّ حالة الشقاء التي تعيشها الشعوب ناجمة من جهلها على الأغلب.

و الإسلام يقضي على مثل هذه العلل و الأسباب.

على المسلمين أن يحيوا هذه المضامين و نحن في الجمهورية الإسلامية استطعنا وضع أقدامنا على طريق الإسلام، و السير في الإتجاه المؤدي إليه، و إشاعة أحكام الإسلام في المجتمع و السعي جهد الإمكان لتطبيقها في واقع الحياة. و نجحنا في عرض القيم الإسلامية كأسمى و أنبل قيم في الجمهورية الإسلامية، و تمكّنا من نشر كلام الله بين أبناء الشعب و توجيه الأئمة نحو الله. و هذا طبعًا من فعل الثورة، و لا يمكن لشخص أن يدّعي هذا لنفسه. ثورتنا انتجت - بفضل الله - مثل هذا العطاء في نظامنا. و وقفنا لهذا بعون الله، و علينا مواصلة هذا الطريق بجد؛ إذ لمسنا مكاسبه بهذا القدر، و جعل الله لنا فيه العزّة.

لقد أمتهن شعبنا و بلدنا و مجتمعنا على مدى سنوات طويلة على يد الحكام الطواغيت، و سحقت كرامته و عانى من التخلف، و لم يكن أبناء الشعب على معرفة

ص: 47

بحقوقهم، ورجال الدولة ما كانت تربطهم بأبناء الشعب أية صلة، ولم يكن للنظام الحاكم أي موقف صلب أمام القوى المتجبرة في العالم، بل كان نظاما تابعا بالكامل.

ولم تكن للمعارف الإلهية أهميتها اللازمة في ذهن وفي رأي الناس، ولم تكن التربية والتعليم يسيران على أساس الإسلام. وظل هذا الشعب يعاني على مدى سنوات طوال من حكم الطواغيت على هذا البلد، من الفقر والفاقة والذل.

ولكن الله تعالى منّ علينا بفضل الالتفات إلى القيم المعنوية للإسلام، وبفضل الاهتمام برسالة الإسلام السياسية، بالنجاة من تلك المعاناة. ومعنى هذا أنّ الإسلام لا يريدنا أن تحتفظ فئة من الناس بالعقيدة في أذهانها وتؤدي واجباتها الخاصة في ضوئها، ويبقى النظام الإجتماعي تحت تسلط أعداء الله؛ فالإسلام جاء لصياغة حياة الناس.

ونحمد الله أن هذه المهمة قد أنجزت في ظل النظام الإجتماعي للإسلام، ولمس شعبنا نتائج ذلك وذاق طعم ثمارها الطيبة.

ينبغي علينا اليوم السير بإتجاه تغيير ذاتنا وإتجاه المثل التي ينادي بها الإسلام، لتغيير أنفسنا كأشخاص، أي أن يبدأ كل فرد بذاته. صحيح أنّ الحكومة مكلفة أمام الشعب بواجبات خطيرة في مجال التعليم والتربية، لكن هذه الواجبات لا تمنع أن يعمل كل واحد منا على تزكية ذاته جهد المستطاع.

يجب علينا إصلاح ذاتنا وتهذيب أخلاقنا وتطهير باطننا تقرباً إلى الله، وأن يعمل كل واحد منا بصفته الفردية على مجاهدة ذاته، وأن تتلو آيات الله بتدبر، وندني قلوبنا إلى الله بالإكثار من ذكره تعالى.

هذا الواجب يجب أن يؤديه كل منا، إذ سيكون أداؤه عوناً لنا على إنجاز ما علينا من واجبات إجتماعية وأخلاقية على خير وجه.

كما على سائر أبناء الشعب أن يعتبروا هذه المهمة الفردية وهذا الواجب الأخلاقي الفردي، واجبا مهما بالنسبة لهم. هذا فضلا عن الواجبات الإجتماعية الملقاة على

عائق الجميع، و ما من أحد إلا و هو مكلف بواجبات إجتماعية.

أشعر أننا بحاجة لبذل المزيد من الجهود لتهديب و تزكية نفوسنا و نفوس الآخرين، و أن البناء المعنوي الجديد للنظام الإسلامي يستلزم أداء هذه المجاهدة الكبرى.

أسأل الله أن يفضل علينا لنتمكن من إشاعة الأخلاق و الفضائل المعنوية المقرونة بالإخلاص و المحبة في جوانب حياتنا و في ربوع بلادنا الإسلامية؛ بالتمسك بالعناية الربانية و بمضامين الآيات القرآنية الكريمة و كلمات الرسول الكريم صلى الله عليه و آله و الأئمة المعصومين عليهم السلام، و أن تتمكن بمؤازرة كل واحد من أبناء هذا البلد من توفير مستلزمات هذا النهج الذي استطاع الإسلام بواسطته إحراز كل ذلك النجاح المؤزر و تلك الانتصارات و الإنجازات الباهرة، و تمهيدته لأنفسنا و لشباب بلدنا عبر البرمجة الدقيقة المدروسة، و سنتمكن بعون الله من مواصلة هذا الطريق بعزم و نشاط أكثر(1).

كيفية تجسيد المعنويات و الأخلاق

تعتبر نهضة الإمام الحسين بن علي عليه السلام تجسيدا للمعنويات و الأخلاق، و ما عدا الجانب الإجتماعي و السياسي و التحرك الثوري و المواجهة الصريحة بين الحق و الباطل، ثمة ميدان آخر للصراع في هذه النهضة هو نفوس الناس و سرائرهم و بواطنهم؛ فحيثما تراكمت نقاط الضعف و المطامع البشرية و الضعة و الشهوات و الأهواء النفسية في كيان الإنسان صدته عن المبادرة للخطوات الكبرى، و هذا ميدان حرب أيضا و هي حرب مضنية للغاية؛ و حيثما يقتفي المؤمنون المضحون من الرجال و النساء أثر الحسين بن علي عليهما السلام إذ ذلك تتضاءل في أعينهم الدنيا و ما فيها من متع و زخارف في قبال الشعور بالتكليف، و تنتصر المعنويات الكامنة

ص: 49

1- من كلمة ألقاها في: 27 رجب 1418 هـ

المتبلورة في أعماق البشر و سرائرهم على جنود الشيطان القابعة في باطنهم - وهم جنود العقل و الجهل الذين تذكرهم رواياتنا(1) - و هكذا كانت غلبة العقل على الجهل في بواطن ثلة من العظماء الأماجد الذي خلدوا كأنموذج عبر التاريخ(2).

ص: 50

1- انظر محاسن البرقي: 196/1، و الكافي: 21/1 ح 14.

2- من كلمة ألقاها في: 14 محرم 1423 هـ - محافظة خوزستان (معسكر دو كوهه).

في عام 1340 هـ ش. توفي آية الله البروجردي الذي كان مرجع التقليد في عهده، وطرحت أسماء مجتهدين كبار من قبل أصدقائهم للتصدي لأمر المرجعية، وتبين في تلك الأثناء أنّ الدروس الأخلاقية التي كان يلقيها الإمام الخميني الراحل لم تكن مجرد كلام أو محض معلومات يلقيها على أسماع الآخرين، بل إنه أول من يعمل بتلك الدروس التي يراد منها تهذيب الأنفس، وثبت للجميع أنّ هذا الرجل زاهد بالمنصب والرئاسة - عند ما تواضع في مرجعيته - حتى وإن كانت تلك الرئاسة مرجعية أو زعامة روحية ومعنوية، وأنه لا يسعى من أجل المقام والمنصب والجاه، بل ويحاول ما استطاع منع الآخرين من السعي لأجل هذه الغاية(1).

كان الإمام الخميني مظهرًا للتجديد العلمي والتبحر في الفقه والأصول. وكنت قد شاهدت من قبله استاذًا بارعًا في مشهد، وهو المرحوم آية الله الميلاني، الذي كان من الفقهاء البارزين. وكان زعيم الحوزة العلمية في قم آنذاك هو المرحوم آية الله العظمى البروجردي الذي كان استاذًا للإمام الخميني. وكان هنالك أيضًا أساتذة كبار آخرون. إلا أنّ الوسط الدراسي الذي كان يجتذب إليه القلوب الشابّة المتلهفة الدؤوبة المتحفزة نحو تفعيل الطاقات، هو درس الفقه والأصول الذي كان يلقيه الإمام الراحل، وأخذنا نسمع تدريجًا من الطلبة الأقدم منّا بأنّ هذا الرجل فيلسوف كبير أيضًا، وكانت دروسه الفلسفية أول دروس فلسفية في قم، غير أنه يرجح في الوقت الحاضر تدريس الفقه.

ص: 51

1- من كلمة ألقاها في: 19 صفر 1420 هـ - طهران - مرقد الإمام (قده).

وسمعنا كذلك أنّ هذا الرجل كان معلّمًا للأخلاق، وكان هنالك أشخاص يحضرون دروسه في الاخلاق، وقد أبدى اهتمامًا جادًا بتقوية الفضائل الأخلاقية لدى الشباب، وهذا ما لمسناه عن كثب أثناء دروسه عبر سنوات طويلة. وإلى هذا الحد كانت شخصية هذا الرجل - الذي يزخر باطنه بالخصائص المجهولة - معروفة بالنسبة إلى أكثر الناس آنذاك بصفته استاذا عالما و مربيا فاضلا و مهذبًا لأخلاق الطلبة و التلاميذ(1).

ص: 52

1- من كلمة ألقاها في: 19 صفر 1420 هـ - طهران - مرقد الإمام (قده).

إن دروس الأخلاق لا تقي بكل مسؤولياتنا في التخلق بالأخلاق الحسنة؛ فعلى كل منا أن ينازع ما بداخله من رذائل و مثالب بقلبه وعمله وأن يهتم بتهديب نفسه بشكل متواصل.

فأقرأوا دعاء (مكارم الأخلاق) الشريف - وهو الدعاء العشرون من أدعية الصحيفة السجادية - باستمرار، حتى تعرفوا ما هي الأمور التي سألتها الإمام السجاد عليه السلام من الله تعالى في هذا الدعاء. إننا نجهل الكثير من هذه الأدعية كفصل مهم من باب الأخلاق الحميدة.

إن المفاهيم والمضامين الواردة في الدعاء الخامس من الصحيفة السجادية «يا من لا تقضي عجائب عظمته»⁽¹⁾ والذي تقول بدايته «اللهم أغننا عن هبة الوهابين بهبتك، و اكفنا وحشة القاطعين بصلتك»⁽²⁾ تعتبر كلها دروسا لنا. فلنتعرف كلمات الأئمة عليهم السلام و أدعية الصحيفة السجادية هذه الأدوية الناجعة التي تشفي أمراضنا الأخلاقية و تضمند جراحنا وآلامنا.

اعرفوا قدر الدعاء و التوسل و التضرع و التوجه إلى الله و ما يضيفي به من نور على نفوسنا.

لقد كان إمامنا العظيم - كما سمعت من كبارنا - يتعبد منذ شبابه في حرم السيدة المعصومة.

ص: 53

1- الصحيفة السجادية: 29.

2- الصحيفة السجادية: 46.

وقد نقل لنا المرحوم الميرزا جواد الطهراني في مشهد قبل الثورة بعدة سنوات فقال: ذهبت إلى قم للدراسة في الحوزة، و كنت في كل يوم أذهب فيه إلى الحرم أرى وجهها نورانيا، و رجلا وقورا، و شابا نورانيا، و سيدا نورانيا، و قد غرق في العبادة، فانجذبت إلى نورانيته و تعبده، و سألت عنه، فقالوا إنه الحاج السيد روح الله الخميني.

و كان هذا في ذلك الزمان عند ما لم يكن إمامنا العظيم - هذه الشخصية البارزة - قد بلغ الثلاثين من عمره. نعم، فهذه هي نتائج تلك العبادات و التوجهات و الارتباط و الاتصال بمعدن نور الغيب الإلهي و الأولياء الإلهيين. فاعتنموا هذه الاشراقات في قلوبكم الشابة و قدروها حق قدرها(1).

الأخلاق الحسنة نوصِل إلى المقامات الإنسانية العالية

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

إنّ المجتمع الذي لا يتعامل أفراده بالأخلاق الحسنة، لا يمكن له بلوغ الأهداف السامية لبعثة الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله؛ لأنّ الأخلاق الحسنة هي التي توصل الإنسان إلى المقامات الإنسانية العالية، و لا يقتصر معنى هذه الأخلاق على إظهارها عند التعامل مع الناس و حسب، بل يتعدى إلى تنمية الصفات الحسنة و الأخلاق الفاضلة في قلوبنا و أرواحنا و ترجمتها على مستوى أعمالنا.

و إنّ المجتمع الذي يبتلي أفراده بالتحاسد، و العداوة، و الخداع، و الحرص على الدنيا و البخل بمالها، و التحاقد، لا يمكن له أن ينال السعادة، و يصل إلى مستوى المجتمع الإنساني المطلوب، حتى و إن طبّق فيه القانون بصورة دقيقة، أو تقدم من الناحية العلمية و وصلت به الحضارة الظاهرية إلى منتهى ذروتها.

إنّ المجتمع الذي لا يأمن أفراده بعضهم البعض، و يكون كل فرد فيه

ص: 54

1- من كلمة ألقاها في: 7 رجب 1421 هـ - المدرسة الفيضية/قم المقدسة.

معرضاً للحسد وللضغينة والحقد والمؤامرات والطمع بما يملك من قبل الآخرين، لا يشعر بطعم الراحة.

أما إذا كانت الفضائل الأخلاقية في المجتمع حاکمة على قلوب وأرواح الأفراد، وتعاطف الناس بعضهم مع البعض الآخر، وتحلوا بروح الصفح والعفو والتسامح، ولم يحرصوا على مال الدنيا، أو يبخلوا بما يملكون، ولم يتحاسدوا فيما بينهم، ولم يتبعوا عثرات بعضهم البعض، وتحمّلوا بالصبر والسماحة؛ فإن ذلك سيؤدي بأن يشعر أفرادهم بالطمأنينة والراحة والسعادة - وإن لم يكن متقدما تقدما كبيرا على الصعيد المادي - هذه هي النتيجة المتوخاة من الأخلاق، وهذا ما نحن بحاجة إليه؛ لذا علينا أن ننمي الأخلاق الإسلامية في قلوبنا يوما بعد الآخر، فمما لا شك فيه أن قانون الإسلام الشخصي والاجتماعي هو وسيلة لسعادة البشر؛ إذا ما طبّق في المكان الذي خصص له، إلا أن تطبيق هذه القوانين يحتاج إلى الأخلاق الحسنة أيضا(1).

محاسن الأخلاق و تزكية النفس

وهو ما أكدت عليه الآيات الشريفة وبيّنه الحديث النبوي الشريف المعروف لدى جميع الفرق الإسلامية، وهو قوله صلّى الله عليه وآله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

تصوروا ذلك المجتمع الذي تسوده الخصال الحميدة والخلق الكريم، والسجايا النبيلة كالإحسان والأخوة والتسامح والعدل والعلم والحق والانصاف، بعيدا عن الصفات الرذيلة والخلق المقيت، كيف يعيش في سعادة ويتقلب في نعيم(2).

ص: 55

1- من كلمة ألقاها في 1385/1/6 هـ. ش الموافق 25 /صفر/ 1427 هـ. ق الموافق: 2006/3/26 م - طهران.

2- من كلمة ألقاها في: 27 رجب 1418 هـ

إننا نحتاج الى أمرين من أجل ترسيخ الأخلاق في المجتمع: أحدهما التمرين والمجاهدة من قبلنا، والآخر الدروس الأخلاقية التي لا بد أن يتلقاها المجتمع بجميع طبقاته، من قبل المجاميع والمؤسسات المتكفلة للقيام بهذه المهام، كوزارة التربية والتعليم، والمؤسسات التربوية والتعليمية الأخرى والجمعيات الثقافية.

ينبغي لنا أن نجعل فهرسا خاصا لإدراج الصفات الرذيلة والقبیحة، و من ثم عرضها على سلوكنا وأخلاقنا للتعرف على وجود شيء منها في نفوسنا أم لا، والعمل على إزالة الموجود منها، وكذلك إعداد فهرس آخر للصفات الحسنة، والسعي للحصول عليها من خلال التربية والتعليم.

من الطبيعي أن الأمر الذي يقود للتقدم في هذا المجال هو المحبة، المحبة لله و لرسوله، و المحبة لحملة الأخلاق و معلميهما - أي الرسل و الأئمة المعصومين عليهم السلام - هذه المحبة هي التي تجعل الإنسان يتقدم بسرعة في هذا الطريق، و ينبغي لنا أن نعمق هذا الحب في أنفسنا يوما بعد آخر، «اللهم ارزقني حبك و حب من يحبك و حب كل عمل يوصلني الى قربك»(1).

علينا أن ننمي في قلوبنا حب الله، و حب أحبائه الله، و حب الأعمال التي يحبها الله تعالى، فهذا جانب من تعليمات الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله الذي جسّد الأخلاق الإسلامية الكاملة(2).

ص: 56

1- جامع السعادات: 121/3.

2- من كلمة ألقاها في 1385/1/6 هـ. ش الموافق 25 /صفر/ 1427 هـ. ق الموافق: 2006/3/26 م - طهران.

إنّ العامل الثقافي المعتمد عليه هو غير العامل الذي تتصدى له الوزارات المختصة بالشؤون الثقافية مباشرة، لأنّ تلك الوزارات أو المراكز الثقافية في الواقع متصدية للعلم أكثر من الأبعاد الثقافية الأخرى، و العلم جزء من الثقافة، لكن الأخلاق و البعد الأخلاقي للثقافة لها الأثر الأوفر في ضمان المستقبل، و هذا ما لا- تتكفله تلك الوزارات أو المراكز و الأندية الثقافية، لو فرضنا من باب المثال في الجمهورية الإسلامية فوزارة الثقافة و الإرشاد متكفلة بها بمقدار أكثر ثم وزارة التربية و التعليم و من بعدهما و إلى حدّ ما وزارة التعليم العالي، في حين أن المجلس الأعلى للثورة الثقافية يتكفل الجانب العلمي أي العلوم البحتة أكثر من الجوانب الأخلاقية العملية، لهذا فإنني عند ما أنظر - من بعيد - لجهودكم الموقّعة و المباركة أيها السادة الأكارم أعضاء المجلس الأعلى - أتصوّر أنّه يلزم عمل حثيث لضمان الجوانب الأخلاقية و الثقافة العامة.

و عند ما نقول الأخلاق، فلا يتبادر إلى الذهن الأخلاقيات الفردية ليقال: أن نجلس و نعظ الناس، كلا المقصود هو الأخلاقيات العامة.

على سبيل المثال إننا طرحنا مع بدء هذا العام شعار ضمير العمل و الانضباط الإجتماعي، فهذان نوعان من الأخلاق.

الإنضباط الإجتماعي

لقد قال وزير الطرق و المواصلات في مقابلة معه قبل أيام: إنَّ حوادث المرور في بلدنا تعادل عشرة أضعاف الحد الوسط لسائر الدول في العالم. فكم مؤلم هذا، و كم يموت من الشباب و تتلاشى اسر، و كم تموت شخصيات رفيعة في هذه الحوادث، ثم قال: إنَّ السبب الرئيسي يرجع إلى العامل الثقافي.

فهذا حديث وزير وزارة غير مختصة بالشؤون الثقافية، إنَّه وزير الطرق، إنه يقول - في إحصائية - إنَّ طرقنا ليست السبب الأكبر في الحوادث، بل السبب الرئيسي هو قلة الوعي المروري.

فلو وجد الانضباط الإجتماعي لما حدثت كل هذه الحوادث، ولو وجد الانضباط الإجتماعي، لما حدثت هذه المخالفات و المفسد المالية التي حدثت في أماكن مختلفة.

و كأنني أرى بناء جميلا و رفيعا في زاوية ما من البلاد، - و افرضوا في مؤسسة ما - و قد أكلت أرضة جميع الجدران و الأعمدة بعيدا عن عيوننا و دون أن نعلم، و إذا بضربة واحدة ينهدم هذا البناء، فالفساد ينفذ هكذا في بعض الأماكن.

إنَّ الفرق بيننا و بين الأنظمة الفاسدة هو في الأركان و الاسس، فالأنظمة الفاسدة أساسها خاطئ و غير ثابت، أمَّا نحن، فأركاننا راسخة و مستحكمة برسوخ الإسلام، و لكن توجد بين الجدران و الأركان الفرعية شبكات فساد، و لو كان الانضباط

الإجتماعي لما وجدت هذه، وإن كانت هناك دقة في العمل. و مقصودي أن لو تتبعنا أخلاق المجتمع - طبعاً لا أقصد الأخلاق الفردية - و أطرناها باطر قانونية و حقوقية، نكون قد أرسينا دعائم السير نحو تلك الحضارة.

فإن كان هدفنا إيجاد ضمانات قانونية أو شبه قانونية للأخلاقيات الإجتماعية في هذه البلاد أو غيره و متابعتها - لا تقل ضمير العمل، فالجميع يقول ذلك، بل أن نعمل شيئاً لإيجاد ضمير العمل هذا، نريد أن يصبح ضمير العمل عامّاً -، فهل يمكن ذلك دون السعي؟ و هل يمكن ذلك بالنصيحة فقط؟ كلا من دون شك، و من يمكنه أن يتصدّى للقيام بهذا العمل؟ و هل هناك غير المجلس الأعلى للثورة الثقافية؟ أي أن المجلس الأعلى للثورة الثقافية يحمل على عاتقه هذه الرسالة العظيمة، و يمكن لهذا المجلس القيام بهذه الوظيفة نظراً لوجود - و لله الحمد - شخصيات بارزة و جلييلة و رفيعة المنزلة و القدر و ذات مقامات فكرية و علمية و إسلامية فيه.

و أود التركيز على الضمانة الثقافية العامة و الإسلامية و الثورية لتكون ضمانات لهذه البلاد، فليس بإمكان أي بلد بلوغ مرحلة أرقى دون السعي الحثيث و المستمر و دون الإخلاص في العمل و عدم الاعتناء بالزخارف الدنيوية و المادية إلى حدّ ما، فقد كان المخترعون و المكتشفون في العالم قليلي الاعتناء بزخارف الدنيا، و لو لم يكونوا كذلك لما حصل كل هذا التقدّم العلمي، و بدون المجاهدة لا تبلغ الأمم القمم.

فيجب تبين السلوكيات الإجتماعية التي تهَيّ الأرضية اللازمة للسير نحو المدينة المنشودة - و التي تؤد الوصول إليها و إيصال الدنيا إليها -

فيجب تبين هذه السلوكيات و القيام بحركة عظيمة لأجل إدخال هذه السلوكيات في حياة الناس، أيّ تبديل السلوكيات السيئة الحالية - طبعاً ذلك المقدر السيئ، فالطيبة موجودة و لله الحمد - بسلوكيات طيبة و مفيدة و مؤثّرة، و يجب القيام بحركة اخلاقية و حركة ثقافية عظيمة في البلاد الإسلامية.

و إنني ألفت الأنظار إلى الجانب الأخلاقي أكثر، و لا أودّ أن أقول إنّ الثقافة أخلاق،

و لا يمكن القيام بذلك إلا بتصدي جماعة لهذه الحركة، وقد يلزم إضافة واجبات إلى أعمالكم و حذف اخرى، و تغيير تنظيم و ترتيب العمل و إضافة أفراد آخرين.

يجب أن ننتهز هذه الفرصة للقيام بأهم عمل أي القيام بثورة ثقافية حقيقية و بمعنى أكثر تحوّل أخلاقي، و إلا نكون قد قصّرنا في عملنا و سيحاسبنا الله (1).

أثر الثقافة على شخصيّة الأفراد

الثقافة العامة نوعان:

الأول: الامور البارزة و الواضحة جدّا و التي تتمثل أمام أعيننا و ترتبط بمصير المجتمع. و لا يمكن القول بأنها لا ترتبط بمستقبل و مصير المجتمع، بل لها تأثير بعيد المدى على حركة و حياة الشعوب، كالأزياء و هيتها التي تعتبر جزء من الثقافة العامة للمجتمع و من مصاديق هذا النوع من الثقافة. فما الذي يجب أن نرتديه؟ و كيف نرتدي؟ و ما هو النموذج الذي يتبعه الرجال و النساء في أزيائهم؟ هذه كلّها من المصاديق و النماذج البارزة للثقافة العامة للمجتمع.

و من مصاديق ذلك أيضا هندسة البناء و نوعية البيوت التي انشئت قديما و حديثا، و طريقة معيشة الساكنين في كلا النوعين من البيوت، و حتى شكل الأبواب و الشبابيك و طريقة اتصال الغرف فيما بينها. كلّ هذه الامور لها تأثير خاص على ذهن و أخلاق و خصال و تربية الأشخاص.

و على هذا فإن تأثير هذا النوع من الثقافة على مصير المجتمع هو تأثير بعيد المدى لأنّ كلا من الزي و السلوك و طريقة الجلوس على المائدة و اسلوب الكلام لها أثر في تكوين شخصيّة أفراد المجتمع، و لا يمكن إنكار هذه الحقيقة.

ص: 60

النوع الثاني: وهناك نوع ثان من الثقافة العامة له تأثير أني ومحسوس، بالرغم من أنه نفسه غير محسوس بصورة واضحة.

و القسم الأكبر من هذا النوع من الثقافة تكوّنه الأخلاق الفرديّة و الاجتماعيّة لأبناء المجتمع.

افترضوا أنّ أفراد مجتمع ما يدركون أهمية أوقاتهم. ولكنك حينما تدخل إلى هذا المجتمع فسوف لا تدرك بسرعة هل أن أبناء ذلك المجتمع يعرفون أهميّة الوقت أم لا؟ إلا أن تأثير معرفة أهمية الوقت على مصير و مستقبل المجتمع أمر في غاية الأهمية.

وكذلك الأمر بالنسبة لمسألة الإخلاص في العمل أي أنّ أفراد المجتمع حينما يتقبلون مسؤولية القيام بعمل ما فإنّهم يعتبرون أنفسهم مسؤولين قبال ذلك و يكون لهم شعور وجداني تجاه المسؤولية، و لا يكتفون بمجرد إسقاط المسؤولية عن عاتقهم، بل إنهم يقومون بإنجاز العمل الموكل إليهم بإتقان و كمال.

أو افترضوا أنّ شعبا على استعداد لخوض المخاطر و عدم إثارة الراحة، و على استعداد لدخول ساحات المواجهة أيضا، فمن المسلم أنّ هذه الخصلة ستترك آثارها على حياة ذلك المجتمع.

و كذلك لو كان هناك مجتمع صبور و محبّ للضيف، أو أنّه معتاد على احترام كبار السنّ فإنّه بذلك يبرز أخلاقه الاجتماعيّة الإيجابية.

و كل هذه العناوين تعتبر جزء من أخلاق مجتمع ما و ترتبط بموضوع الأخلاق الفرديّة و الاجتماعيّة و تأثيرها كبير جدّا في حياة الشعوب، و بإمكانها أن تغيّر مصير و مستقبل شعب ما.

إنّ عامة الامور التي استطاعت الشعوب الأوروبية من خلالها تحقيق التقدّم في

حياتها قد أكّد عليها الإسلام وأوصى بها.

فليس من الصدفة أنّ شعوبا (في أوروبا) كانت تعيش في منتهى الجهل والظلام والخرافات والتخلّف، ولم تكن تعرف ما هو الكتاب ولم يكن لديها مكتبات، وكانت محرومة من مبادئ العلوم والمعرفة، إلّا أنّها استطاعت فجأة وخلال قرن من الزمن أن تخرج من ذلك المستنقع - طبعاً في الجوانب الماديّة فقط - وللأسف فإن هذه الحركة التي قامت بها أوروبا ترافقت مع ما يسمّى بالتنوير الفكري، حيث أدّى ذلك عملياً إلى إلغاء الدّين من حياة الناس وأعطى قيمة أكبر لفكرة أصالة الإنسان في الفلسفة والسلوك.

وهذا هو النقص الذي عانى منه الأوروبيون، ولو أنّهم لم ينحوا المعنويات جانباً لكانت حياتهم اليوم - بلا شكّ - أفضل من السابق بأضعاف المرات، ولتضاعف نور العلم في تلك المنطقة مئات بل آلاف المرات.

ولكنّهم - على كلّ حال - ركّزوا على جوانب إيجابيّة في الحياة استطاعوا من خلالها الخروج من تلك المستنقعات التي كانوا يعيشون فيها.

وأنتم إذا ما طالعت تاريخ أوروبا فسيكون بإمكانكم العثور على تلك الجوانب والنقاط الإيجابية، ومعرفة كافة الأخلاق الإيجابية التي بإمكانها إنقاذ المجتمع من حضيض البطالة والفقر والذلّ والتخلّف، وبلوغ قمة التقدّم الماديّ كان الإسلام قد أعارها أهميّة كبيرة وأوصى بها بصورة مؤكّدة، وكلّ من يراجع المفاهيم الإسلاميّة سوف يعترف بصحّة هذا الموضوع.

أمّا المميزات التي نشعر أنّ أوساط مجتمعنا تعيش نقصاً فيها: فإن لها جذوراً في تاريخنا.

فمنذ أن بدأت حركة التنوير الفكري في بلادنا وشعرت مجموعة من الناس بضرورة التبعية للغرب وأخذ الجوانب الإيجابيّة منه.

وبدلاً من كسب تلك الأخلاق الإيجابيّة والدعوة لها، أخذ المتتورون يروّجون

و يدعون لامور قشريّة تافهة وعديمة الأهميّة، كالحرية الجنسية والاختلاط بين الرجال والنساء وعدم الاهتمام بالامور المعنويّة وإلغاء الدين والتشهير بعلماء الدين، ومنحوا الأهميّة لامور تافهة كالأزياء والأثاث وما شابه ذلك.

وهي امور إمّا قليلة الأهمية أو ليس لها أهمية أو أنّها امور ضارة من الأساس.

ونحن حينما نطرح موضوع الهجوم الثقافي ونصرّ عليه، فهذا لا يعني أن الثقافة يجب أن لا تضيف إلى نفسها شيئاً من الخارج، بل على العكس يجب أن يكون هناك تبادل بين الثقافات، إلاّ أنّ هذا الأمر لم يحدث في إيران(1).

إذن يوجد في الإسلام جذور كافة هذه المعنويات والأخلاق الفاضلة ولكن لم يتم - للأسف - الاهتمام بها. وفي الماضي كانت الحكومات الاستبدادية والحكام المستبدون ورجال الدين المزيّفون ووعاظ السلاطين يدعون للنماذج السلوكية المنافية للأخلاق وإضعاف الأخلاق الفاضلة لدى المجتمع.

وما تبقى من تلك الأخلاق الفاضلة هو شيء قيم جداً، فإنّصار الثورة الإسلامية والصمود في الحرب المفروضة والمقاومة أمام التهديدات الغربية والشعور بالعزة والاستقلال أمام القوى الكبرى في العالم كلها نعم كبيرة جداً، وهي امور ناشئة من بقايا تلك الثقافة الإسلامية التي أخذت مكانة ثابتة في نفوس أبناء الشعب.

ونحن نشكر الباري عزّ وجلّ على أن الفرصة لم تتح لأعداء الدين لإلغاء هذه الأخلاق القيّمة والقضاء عليها.

وهذا القدر المتبقي من تلك القيم الفاضلة هو الذي أوجد هذه العزة وهذا التقدم وهذه الحركة الشعبية في ميدان المواجهة، وأنهى العلاقات الاستبدادية والاستغلالية التي كانت قائمة في العهود السابقة، وسينتهي إلى نتائج أفضل في المستقبل.

ونحن إذا استطعنا أن نجعل أخلاق المجتمع وثقافته أخلاقاً وثقافة إسلامية، وإذا

ص: 63

1- كما تجده مفصّلاً في كتاب حاكميّة الإسلام.

استطعننا تربية المجتمع على الأخلاق الإسلامية ونحيي في نفوس أبناء شعبنا تلك الخصال التي خلقت من جماعة صغيرة - في صدر الإسلام - مجتمعا عظيما مقتدرا، فإننا سنوفق للحصول على أهم النتائج وأطيب الثمار.

إن وجود هذه الحالة في صدر الإسلام كان ناشئا من القيم والأخلاق التي غرسها الإسلام في نفوس الناس، ولذا فقد اهتم المسلمون بالعلم والعمل وبذلوا المساعي والجهود وقاموا بالتجديد في كافة المجالات.

إن معرفة طبيعة الإنسان والتاريخ، ومعرفة طرق العيش والتعامل الحسن والأخوي كلها امور ترتبط بالثقافة، ولا يستطيع أي جهاز مقتدر إيجادها ما لم يتمكن من تصحيح ثقافة ونظرة الناس.

ص: 64

و تدخل في هذا المضممار مسألة العدالة الاجتماعية أيضا. فلو أن العدالة الاجتماعية فصلت عن الثقافة السليمة فستكون عدالة مفروضة، و هو الشيء الناقص و الخاطي الذي كان موجودا في الدول الشيوعية، و قد رأيتم ما ذا ارتكبوا من أعمال باسم العدالة الاجتماعية و خلقوا الفوضى في كافة المجالات و لم يعطوا أهمية لشعوبهم.

إنّ الدول الشيوعية كانت دولا عظيمة و قد كانت شعوبها تهدف إلى ضمان و تحقيق العدالة الاجتماعية، إلا أن الطبقات المرفهة في الحكومة و الدولة أوجدت قيصرا جديدا و أوصلت إلى السلطة ستالين الذي كان أكثر فسادا و ظلما و قسوة من الأنظمة السابقة. و العدالة الاجتماعية تصبح هكذا حينما تنفصل عن الأخلاق و الثقافة السليمة.

العدالة الاجتماعية أمر إجتماعي محض و يرتبط بالحكومة و السياسة و اسلوب الحكم في المجتمع، و هي من ثمرات و نتائج ثقافة سليمة متركزة في أذهان كل فرد من أبناء المجتمع، و هي أمر لا- يمكن فرضه على الناس. و كذلك الأمر بالنسبة لكافة الإنتصارات في جميع الميادين.

و إن من يريد نقل الثقافة الإسلامية الى هذا المجتمع أو ذلك و يعيد للمجتمع المسلم تلك القيم التي سلبت منه فيجب عليكم القيام بعمل كبير جدا.

و قد ورد في دعاء مكارم الأخلاق: «و استصلح بقدرتك ما فسد مني»⁽¹⁾

ص: 65

و مصداق هذه الفقرة هو ما يجب القيام به من إعادة ثقافة الإسلام الحقة و تعاليم النبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ التي جاء بها و هو إنما جاء ليتمم مكارم الأخلاق.

و إصلاح تلك الأجزاء التي فقدت و فسدت في حياتنا نتيجة للظلم و الاستبداد و الإنحراف، و الأساليب المنحرفة، و تدخل الأجنبي و غير ذلك هو أمر بحاجة الى عمل ضخم جدا.

كيف نصلح الثقافة العامة

فالكتاب الهادف يجب أن ينشر من أجل إصلاح الثقافة العامة، و الأفلام يجب أن تنتج لإصلاح الثقافة الإسلامية العامة. و على الإذاعة و التلفزيون أن تعمل دوما من أجل الثقافة العامة، كما يجب على العلماء و أئمة الجمعة و الخطباء و المبلغين المحترمين - في أية مسؤولية كانوا - أن يبذلوا جهودهم و مساعيهم من أجل هذا الأمر المهم، فمجموعة تقوم بتحليل الامور، و اخرى تتدبر في آيات الكتاب العزيز، و مجموعة تتولى شرح و بيان كلمات المعصومين عليهم السلام.

كما يجب أن يكون عموم توجه الصحافة نحو إصلاح الثقافة العامة، و على المؤسسات المختصة بشؤون التبليغ و الإعلام كمنظمة الإعلام الإسلامي و المؤسسات التابعة لها أن تبذل جهودها في إتجاه إصلاح الثقافة العامة أيضا.

إنّ الشعوب المسلمة تمتلك الأرضية في هذا المجال، و ميزة المشاريع الأساسية أن تبقى مرتكزة في نفوس الناس و تنتقل من جيل إلى جيل و تصبح جزء من فطرة أبناء المجتمع، و حتى لو أن الناس انفصلوا عنها برهة من الزمن فإنهم - و بأدنى حركة - سيعودون مباشرة الى فطرتهم و الى تلك الخصال الإسلامية التي اكتسبوها.

و يجب البحث و اكتشاف الأهم و الأقوى و الأكثر أصالة في المجال الأخلاقي لبيتدأ به كأولوية، و من ثم العمل على نشره و تركيزه، كما يجب السعي الى أن تكون كافة النشاطات في هذا المجال متمركزة، و يجب على أصحاب الفكر و القلم و الشعر و الفن

أن يدعوا و يروّجوا لهذه الأولويات الأخلاقية، كما تقع المسؤولية في هذا المجال على عاتق العلماء الأعلام في شتى أنحاء العالم الإسلامي و بمختلف مذاهبهم و أطيافهم.

إنّ الأهداف الإسلامية و التعاليم النبوية تشمل كافة الامور الفردية و الإجتماعية و لا يوجد نقص في أي موضوع ثقافي أو أخلاقي، فالإسلام دين الكمال و الرقي و التقدم، و لو تم إنجاز هذا المشروع (إصلاح الثقافة العامة) فسيتمكن المسلمون في أي بقعة من الوصول الى أهدافه الحقيقية تلك(1).

ص: 67

1- من كلمة ألقاها في: 11 صفر 1416 هـ

دور الثقافة و الأخلاق في تقرير مصير الشعوب

إن الهمّ الثقافي و الاهتمام بقضية الثقافة قد يكون حالة من الحساسية الشخصية أحيانا، وقد يكون أيضا ناتجا عن النظرة إلى الثقافة. و لعل الحساسية الشخصية و كذلك الأهداف و المقاصد الفردية قد لا تكون ذات بال و لا قيمة، بل إن المهم هو أن نعرف ما هو تأثير الثقافة على مصير البلاد في الواقع، و كيف أن الاهتمام بالمسألة الثقافية و الشعور بالحساسية أزاءها يمكن أن يقوم بدور مشهود في صناعة المستقبل الذي نهواه و نعمل من أجله.

و برأينا فإن عقائد و سلوك الفرد أو المجتمع تمثل القسم الأعظم من الثقافة. و إن السلوك الإجتماعي الذي يشكل جزءا من الثقافة العامة و الوطنية ينبع من هذه العقائد.

و في الحقيقة فإن العقائد و الأخلاقيات هي التي تعمل على إيجاد سلوكيات الإنسان و تبلورها.

إن الأخلاقيات الإجتماعية تعمل على انبثاق و إيجاد السلوكيات الإجتماعية، و كذلك الأخلاقيات الفردية، و لهذا فإن المقولة الثقافية تشتمل على السلوكيات أيضا في أحيان كثيرة، غير أن أساس الثقافة و أصلها عبارة عن العقيدة و انطباع كل إنسان عن واقعيات و حقائق العالم و الوجود و كذلك الأخلاق الفردية و الأخلاق الإجتماعية.

و لسوف أستعرض فيما يلي عددا من نماذج الأخلاق الإجتماعية و القومية التي تقرر مصير شعب أو أمة؛ فمنها مثلا العزم و الإرادة، و الكبرياء الوطنية، و الاحساس بالقوة و العنفوان، و الشعور بالقدرة على الإقدام و العمل و البناء، و كذلك الانضباط، و النشاط، و التعاون و المشاركة.

و لو افترضنا أن أمة تمتلك هذه الأخلاقيات إلى جنب ما تمتلكه من إيمان

وعقيدة، لوجدنا كيف أنها تشدّ أزرها في بلوغ أهدافها وطموحاتها. ولهذا فإننا نعتقد بأن مقولة الثقافة لا يمكن مقارنتها بشيء آخر من حيث تأثيرها على مستقبل بلد أو أمة، و من هنا تأتي أهمية مقولة الثقافة وإصلاحها.

تحريف الثقافة تحريف للإنسانية

ولذلك فإن كل ما يبعث على قلق الإنسان أزاء مستقبل بلد ما وأهدافه وآماله هو بعينه ما يبعث على القلق بخصوص القضايا الثقافية. وعلى هذا الأساس فإن هذا الهم الثقافي نابع من القلق حيال إنسانية الإنسان وحيال الأهداف الإنسانية السامية وحيال تلك الأشياء والمقاصد التي نريد بلوغها في الحقيقة والتي نسعى ونعيش من أجلها.

وبالتالي فإننا لو افترضنا أن نتاجا ثقافيا غير صحيح ينتشر في بلد ما - كالفكر غير الصحيح، والأخلاق غير السوية، والسلوك غير المناسب، والوسائل الثقافية غير الموضوعية، والإعلام غير السليم، والكتاب غير المفيد، والأساليب الفنية غير اللاتقة - والذي من شأنه المساس بالعقائد وإضعافها عن طريق الخرافات والأفكار والأساليب غير الصحيحة والمنحرفة، فلا بد وأن ننظر إلى هذا النتاج أنه نتاج معاد للإنسانية، وأنه لا بد من مواجهته بهدف الدفاع عن الإنسانية، وأن على الجميع أن يشعروا بالمسؤولية في هذا الصدد. فهذه هي وجهة نظرنا حول الثقافة.

إن الثقافة - بمعنى العقيدة و الأخلاق - ليست لها هذه المنزلة في الرؤية المادية لقضايا العالم؛ أي أن العقيدة و الأخلاق لا تحظى بهذه الأهمية التي تحظى بها عندنا بالنسبة لأولئك الذين ينظرون إلى قضايا العالم و شؤون البشرية و أمور الحياة نظرة مادية صرفة.

ولهذا فإن الغرب المادي يتخذ موقفا على صعيد العقائد و الأخلاق غير الموقف الذي يتخذه في مجال السلطة و المال و الذي تتجسد من خلاله المصالح المادية و الملموسة؛ فحيثما يشعر الغرب بأن ثمة مجالا للوصول إلى السلطة و كسب الثروة و الأرباح أو المنافسة فإنه ينزل إلى الميدان بكل ما لديه من قوة دون أي تساهل أو تسامح أو مداراة، و هذا ما لا يفعله في مجال العقيدة و الأخلاق - أو على أقل تقدير في مقام الإدعاء - حيث يدعي التسامح و عدم التعصب؛ أي أنه لا يقيم لها وزنا؛ فلكل شخص أن يختار عقيدته أو أخلاقه بالشكل الذي يريد، و إن كنا نرى أحيانا أن الغربيين يبدون الكثير من العصبية في المجال الثقافي؛ أي عند ما يكون الأمر متعلقا بمصالحهم السياسية أو التوسعية أو السلطوية بشكل أو بآخر، فإنهم حتى على الصعيد الثقافي يدخلون الميدان بعنف و عصبية دون إبداء شيء من المرونة أو التسامح.

و لكن القاعدة العامة عندهم هي عدم إظهار الحساسية أو إتخاذ موقف ما عند ما يتعلق الأمر بقضايا العقيدة و الدين و الثقافة و الأخلاق. و هذه هي العلمانية؛ أي الفكر المحايد و غير المبدئي في مجال العقيدة و الأخلاق و ما إلى ذلك. هذه هي الرؤية المادية الغربية.

وبالطبع فإن الغربيين ليسوا هكذا جميعا، بل إن في الغرب أيضا فكرا معنويا وإلهيا وعرفانيا يعلن عن نفسه في بعض الأحيان، ولا سيما في أيامنا هذه، ولكن هذا هو مبنى الفكر المادي السائد في الغرب بصفة عامة.

ص: 71

إن الأمر يختلف تماما عند ما يتعلق الحديث بالإسلام، حيث إن النظرة إلى القضايا العقائدية و الأخلاقية في الإسلام ليست نظرة غير مبالية أو غير مكترثة و لا مسؤولة؛ فالإسلام يعطي شطرا من نشر العدالة لقضية العقائد و الأخلاق، أي أن الذي يتجاهل الحيلولة دون إنحراف شخص ما، مع تمكنه من ذلك، يكون قد أجحف بحقه، كما أن الذي يستطيع هداية شخص ما أو توعيته و إرشاده على الصعيد الأخلاقي ثم يتوانى عن ذلك، يكون قد ظلم ذلك الشخص و أجحف في حقه.

و هناك عدة روايات حول تفسير قوله تعالى: مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا (1).

روى حمران بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام سألته عن قول الله مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ إِلَى قَوْلِهِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: منزلة في النار إليها انتهى شدة عذاب أهل النار جميعا فيجعل فيها، قلت: و ان كان قتل اثنين؟ قال: ألا ترى أنه ليس في النار منزلة أشد عذابا منها، قال عليه السلام: يكون يضاعف عليه بقدر ما عمل.

قلت: (فمن أحياها).

قال عليه السلام: نجاها من غرق أو حرق أو سبع أو عدو. ثم سكت ثم التفت إلى فقال:

ص: 72

تأويلها الاعظم دعاها فاستجابت له. (1)

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: «من أخرجها من ضلال إلى هدى فقد أحيها، و من أخرجها من هدى إلى ضلالة فقد قتلها» (2).
أي الذي يهدي إنسانا.

فهداية إنسان واحد كأنها هداية للإنسانية جمعاء، وذلك لأن الجوهر الإنساني واحد في هذا الإنسان كما في كافة البشرية؛ فعند ما تقومون بمد يد العون للجوهر الإنساني متمثلا في شخص واحد و تفيضون عليه من قبس الهداية - سواء على صعيد الدين أو في مجال الأخلاق - تكونون قد منحتهم العون و المساعدة للجوهر البشري بأجمعه، ولهذا فإن الدرجة و القيمة واحدة في الحالتين.

إن هذا يدل على أن هداية البشر و العمل على خلاصهم ليس بالأمر الهين على كل إنسان؛ فحتى عند ما يقول تعالى فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (3) فإن الإمام عليه السلام يصرح في بعض الروايات بأن هذا الطعام هو الطعام المعنوي؛ أي طعام الدين و الأخلاق.

و النظر إلى الطعام معناه إعطاء الأهمية لما يتناوله الإنسان أو ما يعطيه للآخرين لكي يتناولوه.

و هذا يدل على أهمية الغذاء الروحي و المعنوي و أثره على بناء الشخصية.

و هناك رواية أخرى تقول بأن أمير المؤمنين علي عليه السلام كان يستعد للسفر إلى اليمن من أجل تولي أمر القضاء - و يبدو أن ذلك كان في أواخر حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله - فذهب إلى النبي صلى الله عليه و آله و يسأله الوصية و النصيحة؛ و عندئذ قال له الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله:

ص: 73

1- انظر البحار: 36/24، و البرهان: 464/1. و تفسير الصافي 439/1، و تفسير القمي: 167/1، و تفسير العياشي: 313/1 ح 78.

2- انظر تفسير البرهان: 464/1، و تفسير القمي: 167/1، و تفسير العياشي: 313/1 ح 78.

3- سورة عبس: 24.

«يا علي، لئن يهدي الله بك رجلا خيرا مما طلعت عليه الشمس»(1).

و هذا يعني أن الإنسان لو قدّموا له كل ثروات العالم و منحوه كافة أنواع السلطة و السيطرة و حاز أسمى المناصب المادية فإن ذلك كله لن يرقى إلى مرتبة أن يهدي الله به شخصا واحدا.. و هذا أمر طبيعي، لأن الثروة و السلطة و المنصب كلها عرض زائل و ليست لها قيمة حقيقية، و لكن هداية إنسان واحد لها كل هذه الأهمية الكبرى عند الله تعالى(2).

ص: 74

1- أعيان الشيعة: 647/3.

2- من كلمة ألقاها في: 21 رمضان 1241 هـ - طهران.

إن كل شعب يحتاج لأن يتقوى من أجل الدفاع عن المبادئ السامية، وأن تعريف القوة وفق المنطق الديني و المعنوي يختلف كثيرا عن تعريف القوة في المنطق المادي، فالمنطق المادي يرى القوة في الأ-جهاز و الآلات، في السلاح النووي و الكيماوي و الجرثومي و في مختلف المعدات المادية المتطورة، و هذه ليست القوة بأجمعها، فالجانب الأعظم من القوة يتمثل بوجود الذين يعملون على إستخدام هذه القوة. فإذا تميزت أية مجموعة بحقانيتها و عملها من أجل الحق، و تجاهد في سبيل مبادئ و قيم سامية، و هي على إستعداد لأن تسخر وجودها و قدراتها و قابلياتها في هذا الجهاد، فهذه هي القوة الحقيقية، و إن المجموعة التي تعمل من أجل الحق و القيم الحققة تأبى إستخدام القوة بصورتها الحيوانية، و لا ترتكب الظلم و الإستكبار و لا تمتهن البشر و لا تتجاوز أو تعتدي على أراضي الغير، و لا تسلب الأمم و الشعوب ثرواتهم و إمكانياتهم و تضمها إليها. إن هذه هي أخلاق القوة المعنوية.

إن القوة المادية لم تعرف الأخلاق و لا علم لها بها، و إن القوى المادية لا تستخدم من أجل الحق و القيم الحققة، و إن منطلق أصحاب القوة المادية هو منطق الغاب، فنظرا لإمتلاكهم القوة المادية فإنهم يرون الحق مختصا بهم، و هذا أمر خاطئ و معادلة باطلة(1).

ص: 75

إن الإنحرافات هي السبب في اضمحلال الحضارات؛ فعند ما تبلغ الحضارات ذروتها فإنها تؤول للانحطاط جراء نقاط الضعف و الفراغات و الإنحرافات؛ و هو ما نشاهده اليوم في الحضارة الغربية التي تقوم على علم بلا أخلاق، و ماديات بلا معنويات و لا دين، و سلطة بلا عدالة.

ففي فلسطين المحتلة مثلا و حيث يحولون دون الفلسطينيين من العيش في بلادهم أو الحياة بيسر و كرامة في وطنهم، و عند ما يضطر أحد المواطنين الفلسطينيين للقيام بحركة أو إلحاق ضرر بأحد الصهاينة الأجانب الغرباء الغاصبين، فإنهم يعبتون كل وسائلهم الإعلامية في الغرب من أجل إبراز هذا الحدث...! و لو حدث أن قتل أحد الصهاينة فإنهم ينشرون صورة أبيه و أمه و ابنه و أخته، و يعبرون عن بكائهم و حزنهم في المجلات الأمريكية و سواها من الصحف العالمية!

و لكن عند ما يقتل صبي أو شاب فلسطيني و هو في أحضان والده و على مرأى منه في فلسطين، و عند ما يطلقون الرصاص على النساء و الرجال و الأطفال و المسلمين و المصلين في المسجد الأقصى، فإن الأمر لا يقابل إلا بالصمت أو التعتيم! و حتى عند ما تضطر فإنها تنقله بصورة مقتضبة مشوهة، و بأسلوب منحاز و غير حيادي، و بالشكل الذي يصب في صالح الغاصبين المحتلين و ليس في صالح الشعب الفلسطيني المظلوم! هذه كلها من علامات تدهور و انحطاط الحضارة الغربية.

و بالتأكيد فإن ظهور الحضارات أو أفولها لا يأتي طفرة، بل إنه أمر تدريجي و تاريخي، و لكن هذه هي إمارات الاضمحلال.

لقد توصل العديد من المفكرين الغربيين إلى هذه الحقيقة اليوم، و ها هم يشيرون

و يحذرون من العواقب. و لهذا فإنه لا-داعي إلى الدهشة و التعجب فيما إذا ومض ضوء في مكان ما من العالم، كما ظهرت كافة الحضارات التاريخية، أو فيما إذا ظهر فكر جديد أو مشروع جديد للبشرية يقوم على أساسه نظام سياسي في إحدى جهات المعمورة فيجتمع عليه شعب من الشعوب، و يقوم بدعمه و ترسيخه، و يعمل في إطار الشروط الضرورية التي أوضحتها، و يستعيد خواص و صفوة و نخبة المجتمع فرصتهم و أدوارهم و يعملون طبقا لها؛ و حينئذ لا يكون من المستبعد أن تزدهر هذه الحضارة كبقية الحضارات و تسطع كالشمس المتألقة في كبد السماء و تمنح أشعتها و نورها لكافة أرجاء العالم، بل إنه لأمر حتمي(1).

ص: 77

1- من كلمة ألقاها في: 7 رجب 1421 هـ - المدرسة الفيضية/قم المقدسة.

إن تحقيق حياة سعيدة مناسبة للإنسان يتطلب تركية أخلاقية للفرد تغسله من الدناءة و الدنس، كما لا بد أيضا من حركة جماعية تفتح أمامه ساحات الحياة على تعامله مع الطبيعة و على مواجهته الحتمية مع حراس أنظمة الظلم و الإستكبار.

الإسلام يمنح الكون و الحياة محتوى و معنى، و بتعيينه الطريق السوي الصحيح للمسير يهدي الإنسان إلى حياة سعيدة حقيقية و إلى الصراط الإلهي المستقيم، و كل الأحكام و التعاليم الإسلامية و كل الخطوط الأساسية في المنهج السياسي و الإجتماعي و الإقتصادي للإسلام و جميع العبادات و القرارات الفردية و الجماعية تشكل أجزاء متلاحمة منسجمة لهذه الوصفة الداعية إلى السعادة و الحياة.

المجتمعات البشرية المختلفة، و هي تعاني اليوم من فراغ روحي و ضياع و حيرة و ويلات إجتماعية و فردية، و التي جرها طواغيت الثروة و القوة على الساحة العالمية؛ تحتاج إلى الإسلام و إلى تعاليمه و دروسه الكبرى، و الدعوة الإسلامية تحمل عناصر الجذب و النفوذ و الأمل ليس فقط للشعب الذي يحترق بنيران الفقر و الاستضعاف، بل أيضا و بنفس القدر للشعوب التي تتخبط في مستنقعات الفراغ و الحيرة و الفقر الروحي في البلدان الثرية و المتطورة؛ و ما تذكره الإحصائيات و الدراسات من تزايد التوجه إلى الإسلام بين فئات الشباب و بين كل المشتمزين من خواء الحياة المادية

في البلدان المتطورة الغربية دليل على هذا الجذب والنفوذ.

إذا كانت الأجواء وبفعل الذهنيات المنحرفة والأغراض المستفحلة قد أوحى يوماً بأن الإسلام محصور بالمسجد والمحراب ونافع للحياة الفردية والروحية وليس له رأي في ساحات السياسة والإقتصاد والنضال الإجتماعي والصعيد الدولي، وإذا كانت نظرية فصل الدين عن السياسة أداة بيد القوى الاستعمارية والسلطات الظالمة والحكومات الاستبدادية لخنق روح الإصلاح بين المسلمين وتجفيف معين النهضات الإسلامية، فإن قيام الجمهورية الإسلامية اليوم في إيران وتغلبها على كل المؤامرات والخصومات العسكرية والسياسية والإقتصادية، ووقوفها كالجبل الأشم أمام جبهة واسعة جهزها الكفر والإستكبار والاستبداد، وتبديدها لآمال أميركا والصهيونية ومن لفت لفهما ممن عبأ كل قواه للقضاء عليها أو لدفعها على طريق الإنحراف، وما سجلته من نمو وإقتدار متزايد خلال الأعوام العشرين، كل ذلك أحبط تلك الذهنيات المنحرفة والأهداف المغرضة، وأثبتت نظرية الإسلام السياسية والإجتماعية صحتها وواقعيتها على الصعيد العملي(1).

ص: 80

1- من كلمة ألقاها في: 1 ذو الحجة 1419 هـ لحجاج مكة المكرمة.

إن آخر ما يبلغه الإصلاح في أي تغيير إجتماعي هو الأخلاق. و الأخلاق هنا لا بمعنى السلوك، صحيح أن سلوك الناس في ما بينهم يطلق عليه عرفا اسم «الأخلاق» وهذا أيضا بطيء التغيير، ولكن ليس هذا هو مرادنا. إن آخر ما يناله التغيير هو الملكات الخلقية الراسخة الفردية و الإجتماعية. فلكل واحد من المجتمعات البشرية خصائصه الأخلاقية؛ فبعضها معروف بالتعصب، وبعضها الآخر معروف بالترف و الميل إلى الراحة، و ما إلى ذلك. و هذه تتغير ببطء. فإذا كان مجتمع ما يتّصف بمثل هذه الأخلاق القبيحة فإنّها تتغير بشكل بطيء جدا.

إذا أردتم التأثير على مخاطبيكم - سواء كانوا يدركون ما أشرنا إليه أم لا - يجب عليكم مواجهتهم بأخلاق حسنة، لتثبتوا لهم أنّ أخلاقنا قد تغيّرت. يجب أن نثبت أنّ الإسلام تغلغل و رسخ في أعماقنا و في سويداء قلوبنا. و إلا فإذا كان مجرد انتقال لإسم الإسلام و التظاهر به و بالجمهورية الإسلامية، فإن آخرين من قبلنا فعلوا ذلك، و فعله و سيفعله آخرون من بعدنا. و ليس لهذا الإدعاء أهمية تذكر. بل و قد ينطوي على ضرر أحيانا.

إذا أردتم أن تحققوا الجاذبة المعنوية للإسلام في مخاطبيكم - أي مسلم في العالم، حتى وإن كان مسلما غير عامل - و اجتذابهم إلى الإسلام الحقيقي، فعليكم أن تتمسكوا بالأخلاق الإسلامية و السلوك الإسلامي، و الحكمة و التسامح و بعد النظر و النضوج، و الإنسانية و حب الخير و المروءة(1).

ص: 81

الإستغفار و الإصلاح الاجتماعي يعتبر من أكثر مصاديق الاستغفار تأثيراً على حياة الإنسان، بل هو المفهوم و المحتوى و المضمون الواقعي للإستغفار، فيجب علينا أن نقوم بإصلاح مسيرتنا و هدفنا الاجتماعي على قدر ما نستطيع، و علينا أن لا نعتبر هذا الأمر أمراً صعباً، فمن خلال الإرادة يمكن أن تذلل الصعوبات.

تقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي: (و أنّ الراحل إليك قريب المسافة)(1). إنّ أهمّ الأمور هو الإرادة و الإقدام و شحذ الهمم... (و إنّك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك)(2).

إنّ الطريق الى الله تعالى قريب المسافة، و إذا ما وفقنا فإنّ توفيقنا هو دلالة على رحمة الله تعالى. إذا استطعتم أن تستغفروا من أعماق قلوبكم و تصلحوا أعمالكم، فسوف يشملكم الباري برعايته، و يقربكم و يحببكم إليه.

إنّ الله تعالى ينسب التوبة في القرآن الكريم الى ذاته المقدسة في كثير من الآيات المباركة كما في قوله تعالى: ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا(3).

فما هو معنى التوبة؟ التوبة تعني: الإلتفات و الإنابة، و بسببها يراكم الله تعالى بعطفه، من أجل أن تميل قلوبكم إليه.

إذا لم يحصل التعلّق من قبل المعشوق *** فمهما سعى العاشق فلا يصل الى غايته

ص: 82

1- مصباح المتهجد: 583.

2- المصدر السابق.

3- سورة التوبة: 118.

و جاء في دعاء أبي حمزة الثمالي أيضا: (معرفتي يا مولاي دليلي عليك و حبي لك شفيعي إليك و أنا واثق من دليلي بدلالتك و ساكن من شفيعي الى شفاعتك)(1).

إذا رأيتم أيادي الشباب و هي ترفع الى السماء في شهر رمضان المبارك داخل المساجد، و صوت (العفو) يدوي من الحاضرين، إعلموا أنّ الله تعالى يرعى هذا الشعب، و يعطف عليه؛ لأنّه يريد أن يرسل رحمته و لطفه (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك)(2)، فالله تعالى يريد أن يشمل برحمته و لطفه هذا الشعب(3).

ص: 83

1- المصدر السابق.

2- المصدر السابق: 61 ح 97.

3- من كلمة ألقاها في: 1384/8/8 هـ. ق الموافق: 26 /رمضان المبارك/ 1426 هـ الموافق: 2005 / 10/30 هـ - طهران.

إنّ السلطة إنما هي ظالمة غاصبة إذا ما خلت من الأخلاق.

يجب أن تكون سبل الوصول إلى السلطة و المحافظة عليها سبلا أخلاقية، فلا معنى في الإسلام للتشبث بأي وسيلة لبلوغ السلطة، و ليس ثمة حق لأي كان - فردا أو فئة - في اللجوء لأي سبيل أو وسيلة للإمساك بالسلطة، كما هو شائع في عصرنا هذا في الكثير من بلدان العالم، فالسلطة المتأتية أو التي تجري المحافظة عليها عن هذا السبيل إنما هي سلطة ظالمة و تقتقد الشرعية.

إن للأساليب أهميتها في الإسلام، شأنها في ذلك شأن القيم، فكما يهتم الإسلام كثيرا بالمثل فإن الأساليب تحتل نفس تلك الأهمية، و لا بد أن تتجسد هذه المثل عن طريق الأساليب أيضا.

و إذا ما أردنا لحكومتنا أن تكون إسلامية بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة فما علينا إلا السير في هذا الطريق دون مواربة، و يجب على كافة المسؤولين في شتى الحقول أن تنصبّ جهودهم في استثمار السبل الصالحة و الأخلاقية لإنجاز المهام الملقاة على عواتقهم و تحقيق أهدافهم، و قد يؤدي ذلك إلى بعض الإخفاقات و المتاعب في مجال بلوغ الحكم، غير أنه من المؤكد عدم صواب اللجوء للوسائل غير الأخلاقية من وجهة نظر الإسلام و أمير المؤمنين عليه السّلام، فهذا هو منهج علي و أهل بيته عليهم السّلام الذي يتعين علينا اقتفاؤه(1).

ص: 84

من الطبيعي أن تبليغ الدين و تبيين الحقائق، الذي يعد من واجب العلماء و دعاة الإسلام، يجب أن يتضمن كل هذه الأمور. فنحن حتى إذا بلغنا ذروة الرفاه الإقتصادي، و كسبنا أضعاف ما نحن عليه من إقتدار و مجد سياسي، لكن أخلاق الناس لم تكن أخلاقاً إسلامية، و لم نكن نتحلى بالصبر و الحلم و التفاؤل و حسن الظن، فسينهار العمل من أساسه. فأساس الأمور الأخلاق. و هذا كله مقدمة للأخلاق الحسنة «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

و غاية الحكومة الإسلامية أن يتربى الناس في هذه الأجواء؛ لتسامى أخلاقهم و ليكونوا أكثر قرباً من الله، و لتبنى نواياهم على القربة لله تعالى.

و السياسة أيضاً تستلزم وجود قصد القربة، فكل من يتحدث بشؤون السياسة و يحلل و يكتب فيها و يتخذ القرارات بشأنها لا بدّ و أن تكون لديه مقدرة على قصد القربة.

و لكن متى يعقد النية على القربة؟ حينما يدرس الإنسان الأمور و يبحث فيها، يجب عليه أن ينظر هل في ذلك لله رضى؟ إذا رأى في ذلك لله رضى يمكنه عقد نيته على التقرب إلى الله تعالى.

إذن يجب أولاً إحراز رضى الله. لاحظوا مدى وضوح المنهج، و كيف أنّ البعض لا يلتفت إليه! (1).

ص: 85

إنَّ حرّية الحياة، وحرية المعتقد، وحرية الكفاح السياسي مقيدة بهذه الحدود.

ويستخلص من هذا أنّ الحرية في العالم المادي الغربي لها حدودها وقيودها أيضا.

غاية ما في الأمر أنها قيود مادية...

أما القيم الأخلاقية فلا تشكل هناك أي حاجز أمام الحرية. فهناك - على سبيل المثال - في أمريكا حركة الشذوذ الجنسي، وهي من الحركات الناشطة وتتباها بسعة نشاطها وتنظم التظاهرات في الشوارع، وتشر ما تشاء من الصور في المجلات، وتشير بكل فخر إلى أسماء التجار والساسة الذين ينتمون إليها، من غير أن ينكر أحد منهم مثل هذا الإنتماء أو يشعر بالخجل منه.

والأدهى من ذلك هو أنّ بعض من يعلنون معارضتهم لهذه الحركة يواجهون هجمة شرسة من بعض الصحف والمجلات. وخالصة القول هي أنّ القيم الأخلاقية لا توجب لديهم فرض أي قيود على الحرية.

من الأمثلة الأخرى الشائعة في الدول الأوروبية هي أنّ حرية البيان تتقيد بعدم الدعاية لصالح الفاشية، ومن الواضح أنّ الدافع الكامن وراءه دافع مادي ومنفعة حكومية، في حين أنّ حركة العري - وهي حركة أخرى أيضا - لا تفرض عليها مثل هذه القيود. وهذا يعني أن حدود الحرية وفقا للنظرة الغربية وفي ظل جذورها ودوافعها الفلسفية، تتقيد بالحدود المادية لا الأخلاقية. غير أنّ الإسلام يقر قيودا أخلاقية لها. أي أنّه يعتقد بحدود معنوية للحرية فضلا عن تلك الحدود المادية.

ولا شك طبعا في وجوب تقييد حرّية كل من يقدم على عمل فيه اضرار بمصلحة البلد. وهذا أمر منطقي، إلا أنّ القيود المعنوية موجودة أيضا.

إذا كان الإنسان يؤمن بعقيدة ضالة فلا مؤاخذه عليه. وحينما نقول لا مؤاخذه عليه فذلك يعني أنه مؤاخذ أمام الله و أمام المؤمنين، إلا أنّ الحكومة غير مكلفة باتخاذ أي إجراء ضده. كان اليهود والمسيحيون واتباع بقية الأديان موجودين في المجتمع الإسلامي في زمن صدر الإسلام، وفي بلدنا في الوقت الحاضر، ولا مانع من ذلك. أما إذا حاول صاحب العقيدة الفاسدة إضلال الناس البسطاء - لا بدّ - من وضع قيود أمام حريته.

وهذا المثال ينطبق أيضا على من يتغني إشاعة الفساد السياسي أو الفكري أو الجنسي، و على أدياء الفلسفة ممن يدأبون على تدييح مقالات تقدر على سبيل المثال بالدراسات العليا للشباب و تحصي ما فيها من المعايير والنواقص. من الطبيعي أن مثل هذه المقالات عديمة التأثير بنسبة تسعين بالمائة، لكنها من المحتمل أن تؤثر على بعض الشباب الكسولين بنسبة عشرة بالمائة. و لا يجوز في مثل هذه الحالة السماح لمن يتبع أساليب الخداع و الأكاذيب لصرف الشباب عن مواصلة الدراسة.

الحرية لا تعني الأكاذيب و لا بث الإشاعات و الأراجيف.

إنّ مما يحز في النفس هو عدم الرجوع إلى الدراسات و المبادئ الإسلامية في ما يخص قضايا الحرية.

ورد في الآية 60 من سورة الأحزاب لَيْسَ لَمْ يُنْتَهِ الْمُتَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ (1) المتناقضون و الذين في قلوبهم مرض فنتان و إلى جانبهما فئة المرجفين الذين يثيرون الرعب و الخوف على الدوام في أوساط المجتمع الإسلامي الوليد الذي يجب أن يكون أفرادها في حالة استعداد روحي دائم للدفاع عنه، إلا أنّ فئة كانت تقع في النفوس كوقع الآكلة، و تثبط العزائم و الهمم.

ص: 87

وهؤلاء هم المرجفون الذين يحذرهم القرآن إنهم إذا لم يكفوا عن عملهم، ليغريّنك بهم ويؤلبك عليهم. وهذا حد للحرية. إذن الفارق الآخر الذي تتسم به الحرية في المنطق الإسلامي هو أنّ لها قيودا من القيم المعنوية.

وهناك فارق آخر أيضا وهو أنّ الحرية في منطق الفكر الليبرالي الغربي تتنافى مع التكليف؛ على اعتبار أنّ الحرية تعني التحرر من التكليف أيضا. في حين يذهب الإسلام إلى أنّ الحرية هي الوجه الآخر للتكليف، والناس أحرار لأنهم مكلفون. وإذا لم يكن هناك تكليف فلا ضرورة للحرية، وكانوا على طباع الملائكة؛ وكما قال الشاعر مولوي ما معناه: إنه جاء في الحديث أنّ الخلاق المجيد خلق العالم على ثلاثة أنماط، وأحد هذه الأنماط هم الملائكة الذين كلّهم عقل وعلم ولا يعرفون غير السجود لله.

بينما يتصف البشر بأنه مركّب من جملة غرائز ودوافع متناقضة يسير من بينها على طريق الكمال. وقد منح الحرية من أجل طي طريق الكمال هذا.

وهذه الحرية على ما لها من قيمة إنّما منحت له من أجل تكامله، مثلما أنّ حياته نفسها وهبت له في سبيل السير نحو الكمال. ما خلقتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (1) فهو تعالى خلق الجن والانس من أجل أن يبلغوا مرتبة العبودية، وهي مرتبة عالية جدا.

والحرية أيضا كحق الحياة، تمثل مقدّمة للعبودية.

بلغوا في الغرب في رفضهم للتكليف مرحلة رفضوا معها كل تفكير ديني وغير ديني، و كل عقيدة فيها تكليف، و حلال و حرام، و يجب أو لا- يجب. و يلاحظ حاليا في مؤلفات الكتاب الليبراليين الأمريكيين و من يحذون حذوهم، و من يتخذونهم بمثابة أنبياء لهم - مع أنهم ينتمون إلى أمم في بلدان أخرى، و يشكل بعض الأفراد في بلادنا -

ص: 88

1- سورة الذاريات: 56.

و للأسف - فئة منهم - إنهم يذهبون إلى أنّ الفكر الغربي الحر يتعارض مع مبدأ «يجب أو لا يجب» و مع كل مبدأ عقائدي. في حين يقف الإسلام على طرف نقيض من ذلك و يعتبر الحرية مواكبة للتكليف لكي يستطيع بواسطة هذه الحرية اداء تكاليفه على نحو صحيح، و ينجز أعمالاً كبرى، و يستطيع بلوغ التكامل(1).

ص: 89

1- من كلمة ألقاها في: 11 جمادى الأولى 1419 هـ ق - طهران.

فمثلا حاليا تنجز الأعمال في مصانع السلاح الأمريكية، و هناك عمال أيضا - سواء العامل البسيط أو الماهر أو رئيس العمال أو مدير العمل أو مدير المصنع أو المخططين الأساسيين في هذا المصنع - و لكن لأي شيء؟ إنها لإثارة الحروب و إعانة الغاصب - كإسرائيل - من أجل قصف هيروشيما بالقنابل الذرية فيما مضى، و اليوم لو لا خوف أمريكا من الرأي العام العالمي و خشية التآكل الداخلي و لو لا القيود و الروادع التي تقف بوجهها لكانت على استعداد لقصف أي بقعة من الأرض بالسلاح الذري، لأنها لا تستصعب سفك الدماء!

و كذلك أيضا بالنسبة إلى معهد العلوم الاستخباراتية أو الجاسوسية في منظمة ال (السي آي أي) الأمريكية، فهناك معلّم يدرّس و تلميذ يدرس. لكن هل يحظى هذا المعلم بنفس القيمة الكبيرة التي نوليها نحن المسلمون للمعلم؟ ليست ثمرة العمل و الجهود هناك و نجاح الطالب للمحافظة على المصالح الوطنية الأمريكية، فلو كان الأمر كذلك لما اعترضنا، فليسع الأمريكيون إلى إدارة أنفسهم و مصالحهم الوطنية في إطار بلادهم بشكل معقول، فلسنا بخلاء و لا نمنعهم من ذلك، و لكن هذا التعليم و هذه التربية حاليا من أجل خدمة أقدّر و أبشع الشخصيات السياسية في العالم، و من أجل محاربة المنظمات التحررية و البلدان التي تتطلع إلى الحرية و كل بلد يطالب بالاستقلال، من أجل الأنظمة الرجعية و ضد الأنظمة التقدمية. هذه هي هدفيتهم.

أعزائي العمال و المثقفون في البلاد! أردت أن الفت انتباهكم إلى هذه النقطة و هي أنّ مادة العمل ليست هي الحاسمة، و إنّما الحاسم و المهم هو روح العمل، فإن مجرد أن يتحرك ذراع و يدير عجلة لا يخلق إبداعا، إنّما المهم هو الإبداع المعنوي

و الأخلاقي، فينبغي معرفة لماذا تدور العجلة ولأي شيء؟ ولا يكفي مجرد تأسيس قاعة للدرس ليبدل المعلم فيها قصارى جهده متحرّقا لتربية الطالب وإشباعه بالمعلومات والمعارف ويعلمه الكلمة بعد الأخرى، فهذا كله لا يكفي لصنع إبداع، بل لا بدّ من التعرّف على المادة التي تدرس وما هي الغاية منها ولأي جهة يمارس التعليم والتربية؟ أعزائي هذا هو المهم.

في بعض بقاع العالم يتم حاليا تدريس العلوم للقضاء على القيم الإنسانية. فهناك من يتعلّم العلم لكي يقدمّ العون إلى المتربّصين خلف الحدود وفي البلدان الأجنبية ولأهداف شيطانية وهذا ليس إبداعا. وفي يوم ما وفي أرضنا المقدسة هذه، كان هناك من اكتسب العلم ليسوق المجتمع الإيراني وإيران نحو فساد أكثر وأفظع، وهذا العمل لا يملك أي قيمة واعتبار، إنّما المهم هو الهدفية وروح العمل.

إنّ كل حركة علمية وثقافية وعملية تنجز لصالح النظام والجمهورية الإسلامية وتطوير الصناعة والتقدم والإعمار في هذه البلاد هي عبادة، ولا فرق بين هذا المصنع وذاك وهذه المدرسة وتلك، فلو أنّ المعلم حاليا في إيران الإسلامية علّم الطالب كلمة بقصد تقديم خدمة إلى هذه البلاد - التي هي حاليا مهد الإسلام وساحة عظمة الأحكام الإسلامية وإشعاعها - فإن هذه الكلمة حسنة وإن صارت مائة كلمة غدت مائة حسنة وإن استوعب التعليم ليله ونهاره ملأت الحسنات أوقاته.

إنّ العامل الذي يعمل في مصنع أو يخطط أو يشرف أو يقدم أي مجهود آخر لأجل تطوير إيران الإسلامية - التي هي اليوم ساحة المظاهر المعنوية والإلهية - وتقدمها وإزدهارها ولكي تستغني عن الأجانب ولا تقلق من ناحية الحظر الإقتصادي الذي تفرضه هذه القوة العظمى أو تلك، فإن هذا العامل يحصل في كل لحظة من عمله على حسنة ويكون قد أتى بعبادة، وكل من يتعاون معه في هذا العمل سيشاركة في هذه العبادة دون أن ينقص ثواب العامل الأول. إنّ العطاء الإلهي بهذا الشكل، فأحيانا يشترك عشرة أشخاص بإنجاز عمل واحد لكنّهم يحصلون على عشر

حسناً، لا أن تقسم الحسنة الواحدة بينهم، بل إن لكل واحد منهم ثواباً مستقلاً عند الله تعالى.

قلما توجد في الدنيا قاعة درس وصالة مصنع أو مختبر أو جامعة يشملها الله برضاه، بل وحتى ساعات استراحة المعلم والعامل - الذي يستريح بقصد أن يكون قادراً على العمل في الغد - يكون مشمولاً برضا الله تعالى. وهكذا في أية بقعة من العالم يكون عمل الإنسان ذا محتوى وهدف وقربة لله تعالى ويكون نتيجة هذا العمل خدمة الناس ومصالحهم، فإن عمله مشمول أيضاً لرضى الله تعالى (1).

ص: 92

1- من كلمة ألقاها في: 12 ذي الحجة 1416 هـ

تطرح في هذه الأيام في شتى أنحاء العالم النظرية السياسية للإسلام ونظام الجمهورية الإسلامية، أي حاكمية الشعب الدينية(1)؛ فالجمهورية تعني حاكمية الشعب، والإسلامية تعني الدينية، وهناك من يتصور أننا إذ أطلقنا شعار حاكمية الشعب الدينية فقد جئنا بشيء جديد. كلا، فالجمهورية الإسلامية تعني حاكمية الشعب الدينية التي تتمثل في حقيقتها بتوجيه النظام وإدارته في ضوء الهداية الإلهية والإرادة الشعبية.

والمؤاخذة التي تطال الأنظمة في العالم هي إما أنها تفتقر للهداية الإلهية كما هو حال الديمقراطيات الغربية التي تحكمها الإرادة الشعبية ظاهريا لكنها تخلو من الهداية الإلهية، أو أنها تخضع أو تزعم أنها تخضع للهداية الإلهية لكنها تفتقر للإرادة الشعبية، أو تفتقد ههما معا، وهذا ما عليه الكثير من البلدان؛ أي لا يدخل رأي وإرادة الجماهير في شؤون البلاد ولا وجود للهداية الإلهية فيها.

أما الجمهورية الإسلامية - حيث تتطافر الهداية الإلهية إلى جانب الإرادة الجماهيرية في التأثير ببنية النظام - فلا ترد أية مؤاخذة أو إشكال حول هذه النظرية في المحافل الجامعية أو التحقيقية؛ لكنكم إن أردتم إثبات أحقية هذه النظرية أمام شعوب العالم فعليكم إثباتها عمليا، وهذا هو التحدي الأهم الذي يواجهه نظام الجمهورية الإسلامية.

ص: 93

1- وقد فصل سماحته هذه النظرية في كتابه «حاكمية الإسلام بين النظرية والتطبيق» في ثلاث مجلدات.

إن جهود أعداء الإسلام انصبّت على أن لا يحصل هذا الأمر، أي البناء في ظل نظام الجمهورية الإسلامية، ولأجل ذلك تأتي العراقيل بشتى ضروبها التي يضعها الأعداء بوجه بلادنا في مجال النفط وغيره من المجالات. إنهم يحاولون الحيلولة دون بلوغ الجمهورية الإسلامية المستوى الذي يطمحان إليه من الإعمار والبناء والتقدم والرفق والتتمية في ظل هذا النظام كي لا يغدو مثلاً يحتذى به من قبل سائر البلدان، ولئلا تلقى النظرية السياسية للإسلام رواجاً في العالم (1).

ص: 94

1- من كلمة ألقاها في: 25 شعبان 1422 هـ - كاشان.

البعد الإنساني و الأخلاقي و القيمي للمعلم و العامل

إن مشكلة المجتمع في كثير من الحالات تكمن في سوء الفهم، فعند ما ينظر للعامل - مثلا - في مجتمع ما على أنه أداة للإنتاج و يجري تجاهل شخصيته و كرامته الإنسانية فإن كل ما يعطونه من أجور لن تكون مقنعة بالنسبة له، أو إذا ما عدّ المعلم عضو شرف في المجتمع و اتخذ الدعم العام للمعلمين طابعا اقتصاديا ضمن البرامج و السياسات و القوانين و أهمل البعد الإنساني و الأخلاقي و القيمي للمعلم فتلك إهانة للمعلم.

فمن المؤكد أن المعيشة أمر مهم و لا بد من الاهتمام بها بيد أن الإنسان و شأن الإنسان لا ينحصر في المعيشة، فالمعلم في الإسلام يمثل منزلة سامية حقا، و إذا ما سادت الثقافة الإسلامية مجتمعا فحري بجميع الناس أن يعتبروا أنفسهم مدينين للمعلم لأن المعلم إنسان يعمل على تحويل ماهية الإنسان البسيطة إلى طاقة فعالة و بناءة و دفاقة و نافعة و متخصصة و عالمية و هذا أعظم فعل يمكن القيام به في عالم الطبيعة.

إن العامل إنسان قد حمل على كاهله أهم مقاطع الحركة في المجتمع إذ أن جانبا مهما من العمل و الجهد و الاعمار و الإنتاج يرتكز على القوى الإنسانية، أي العمل الذي يقوم به العامل، و إذا ما أدركت قيمة العامل في المجتمع فإن جميع الذين

يتنعمون بأيّ من خيارات المجتمع يعتبرون أنفسهم مدينين للعامل، وهذا ما يخلق لدى العامل والمعلم شعورا بالشرف والكرامة و الاحترام، وذلك في غاية الأهمية في المجتمع.

فإذا ما اعتقد السياسي و الذي يضع الخطط و المقنن بهذه الكرامة و الحرمة لشريحتي المعلم أو العامل فإنه سيسنّ القانون و ينظم السياسة التنفيذية بنحو يتم معه أداء حقوقهما كما هما أهله، فإذا ما نظرنا بعين الحقيقة فإن شريحتي العامل و المعلم الذين يعدّان البناء و المنتجين الحقيقيين في البلاد و المدرء الحقيقيين للمجتمع لهما الشرف - مئات المرات - على الذين يتربعون حول مائدة معدّة للأكل و همهم الاستهلاك فقط دون أن يقدموا خيرا للمجتمع أو لتطوره(1).

ص: 96

1- من كلمة ألقاها في: 11 /ربيع الأول/ 1425 هـ. طهران.

يمكننا بناء صرح العلم و الأخلاق - لا العلم المناوئ للأخلاق الموجود حالياً في العالم الغربي - و التقدم و العزة الحقيقية للإنسان في المجتمع و إرساء أسس العدالة فيه، و إن ما تشاهدونه من التقدم الذي حققناه في العلوم الذرية و الخلايا مما يعدّ من العلوم النادرة في العالم، و غيرها من العلوم، و الذي اعترف لنا به حتّى الأعداء، دليل على أن الأجواء إذا اقترنت بالفضائل الحسنة و سادتها الثقة بالنفس و آمن فيها الشعب بقدراته و باشر نشاطه بحرية بعيداً عن السيطرة الأجنبية، يغدو بالأمكان فيها بناء جميع أنواع الصروح، بحيث لو نظر كل شاب في هذه البلاد إلى الآفاق المائلة أمامه لوجدتها مشرقة.

إن العالم الغربي المعاصر يجد عجزاً في هذه الناحية، فإن البلدان التي تقع حالياً في قمة التطور العلمي و الصناعي و المادي، يشعر الشباب فيها باليأس و الإحباط و إنعدام الأمل، و لذلك تنفشي فيها مظاهر الإنتحار و الجرائم.

يمكننا توفير مناخ الأمل المصحوب بالتقدم المادي و المعنوي و إقامة العلاقات العادلة في البلاد، شريطة أن تعملوا أيها الشباب بما يليق بجيلكم في هذه المرحلة، فعليكم استيعاب دروسكم جيداً، و عليكم مراعاة الانضباط الإجتماعي بدقة، فإن الأجواء التي يسودها الإضطراب و المناخات التي ينعدم فيها الأمل، لا تصلح للتقدم و الرقي، و لحسن الحظ أرى شبابنا يتمتعون بالوعي و اليقظة، و إن إقامة المنظمات الطلابية الإسلامية و تواجد الشباب من التلاميذ و الطلاب، و طلبة العلوم الدينية في مختلف الأصعدة الإجتماعية و تفكيرهم للمستقبل - مما أرى بوادره - لخير دليل على حسن نشاط شبابنا المعاصر، و لكن مع ذلك يجب عليهم أن يتحلوا باليقظة، لأن بلوغ

القمة مع وجود الأوضاع الراهنة يحتاج إلى اجتياز مسافة، لا يمكن اجتيازها من خلال الركون إلى الدعة أو الإنشغال بالأمور التافهة التي يضعها العدو في طريقنا وطريق شبابنا، فعلى الجيل المعاصر إكمال وإتمام الأعمال التي بدأتها الأجيال المتقدمة.

إن أعداءنا الذين يأسوا من مواجهة شعبنا مباشرة، يحاولون التأثير عليه بشتى السبل، ويسعون إلى تعكير الأجواء، وبثّ اليأس في نفوس الشباب وإشغالهم بالأمور التافهة، وإبعادهم عن طلب العلم، وتشجيعهم على إثارة الإضطراب، فعليه لا بد من اليقظة، وإجتياز هذه المسافة من خلال التلاحم والعمل الدؤوب المصحوب بالتدبير والحنكة والتوكل على الله تعالى(1).

أثر تجرد العلم عن الأخلاق

إن المزج بين العلم والعاطفة الإنسانية أمر مهم وضروري في كل مكان، والسبب الذي جعل هذا العلم المتطور جدا في العالم الغربي عاجزا عن استنقاذ البشرية، يعزى إلى عدم اقترانه بالبعد الإنساني؛ فحيثما وجد علم مجرد عن الضمير والأخلاق والبعد المعنوي والمشاعر الإنسانية، فإن البشرية لا تنتفع به.

العلم إذا تجرد عن الأخلاق والقيم المعنوية يصبح قنبلة ذرية تفتك بالأبرياء، ويصبح سلاحا يصبّ إلى صدور المدنيين في لبنان و فلسطين المحتلة ومناطق العالم الأخرى، ويتحول إلى أسلحة كيميائية تلقى على (حلبجة) وعلى نقاط أخرى في العالم، لتقضي على النساء والأطفال والكبار والصغار، والإنسان والحيوان.

من أين جاءت هذه الأسلحة الفتّانة؟ أنتجتها مراكز العلم، قد جاءت من هذه البلدان الأوروبية، فهم الذين صنعوا هذه المواد ووضعوها تحت تصرف نظام لا

ص: 98

1- من كلمة ألقاها في: 1383/12/24 هـ الموافق 3/صفر/ 1426 هـ الموافق 2005/3/14 م.

يراعي ما ينبغي مراعاته! فكانت النتيجة هي ما شاهدتموه أو سمعتم عنه.

إنّ الأسلحة و جميع أنواع المنتجات العلمية غير قادرة اليوم على إسعاد البشرية، أو إسعاد الأسرة أو أن تهب الفتيان و الأطفال و النساء و الرجال لذة الحياة؛ لأنها لا تواكبها الأخلاق و القيم المعنوية.

نحن في ظل الحضارة الإسلامية و في ظل نظام الجمهورية الإسلامية المقدّس الذي يتّجه صوب تلك الحضارة، جعلنا نصب أعيننا أن نطوّر العلم جنباً إلى جنب مع القيم المعنوية.

و ما تلاحظونه من حساسية لدى الغرب أزاء تمسكنا بالقيم المعنوية، و وصمه إلتزامنا الديني بالتعصب و التحجّر، و اعتباره توجهاتنا نحو الأسس الأخلاقية و الإنسانية مناهضة منا لحقوق الإنسان، إنما يعود سببه إلى اختلاف مسارنا عن مسارهم.

فهم قد طوّروا العلم - و قد كان بلا شكّ عملاً عظيماً و على درجة من الأهمية - و لكن بمعزل عن الأخلاق و القيم المعنوية، فنتج عن ذلك ما نتج!

أما نحن فنريد أن يتطوّر العلم إلى جانب الأخلاق، و مثلما تكون الجامعة مركز علم، يجب أن تكون أيضاً مركزاً للدين و القيم المعنوية، و أن يتحلى خريج الجامعة بالتديّن مثل خريج الحوزة. و هذا ما لا يحبّذونه و لا يرغبون فيه.

و لهذا السبب استمروا سنوات طويلة يلفقون التهم ضد الإسلام و دأبوا على اجترار تلك التهم حتى باتت تشمئز منها نفوس السامعين! هكذا يتهمون الجمهورية الإسلامية بالتعصّب و التحجّر، و بالاصولية - على حد تعبيرهم - أي الجمود الذي لا مرونة فيه، هكذا يصفون الإسلام، في حين أنّ الجمود عندهم، و حياتهم هي البعيدة عن القيم المعنوية و عن الرحمة و الشفقة و الإنسانية، حتى إنّ جوّ الأسرة عندهم غير قادر على احتضان الأطفال! لاحظوا كم يوجد اليوم في الدول المسمّاة بالدول المتقدّمة صناعاً صبيان و أطفال بلا معيل، أو قد يوجد المعيل إلاّ أنّهم يفرون من

بيوتهم ويتسكعون في الشوارع ليلاً، ويرتكبون الجرائم و يقتلون، ويعتادون التدخين ويقعون فريسة لأنواع الاعتياد الضار، هذا بعض ما لديهم! وهذا هو الجمود الذي يدفع الشبان هناك إلى العصيان.

الأعمال التي كان يمارسها قبل ثلاثين أو أربعين سنة شبان بأسماء مختلفة - مثل بيتل وما شابه ذلك - وحتى هذا اليوم، يعود سببها إلى أنّ تلك المجتمعات غير قادرة على إشباع تلك العواطف الإنسانية، لأنها مجتمعات جامدة و متحجرة و ظالمة و متشددة.

أما الأجواء الإسلامية فهي على الضد من هذا، الجو الإسلامي تملؤه الرحمة و الاعتدال، و تشيع فيه القيم المعنوية و التقوى، و التقوى تعني فيما تعنيه أن تكون القلوب منسرحة لجميع العواطف و المشاعر الإنسانية السليمة، و يتوفّر إلى جانبها التعايش و الاستقرار المعنوي و سكينه القلوب الأمر الذي يقوي الإنسان للتدرج العلمي و التقني(1).

طبعاً إن الدين الذي عارضه المستنيريون في أوروبا لم يكن لائقاً بالحياة الإنسانية، فهو دين مشحون بالخرافات، يؤدي إلى الحكم بالقتل على غاليليو تارة، و إلى قتل آخر تحت التعذيب تارة أخرى، لمجرد توصله إلى اكتشاف علمي! حيث إن المسيحية الحقيقية قد طالها التحريف، و لا اعتراض على فصل السياسة عن الدين المحرّف، إنما الإشكال على فصل الأخلاق و المعنويات عن العلم و السياسة و نظام الحياة و الروابط الفردية و الاجتماعية، فالذي حصل هو إعطاء الحرية المطلقة للعقل و تعطيل الدين عن ممارسة دوره، و قد مضى القرنان الأخيران على هذا المنوال.

بل و أخذوا في العقود الخمسة الأخيرة يشككون حتى في العقل، و ينكرون ثوابته، و أخذوا يميلون إلى النسبية و التشكيك في جميع الأسس الأخلاقية و العقلانية و حتى

ص: 100

وعليه فإن هذه التجربة ليست جديدة بالتقليد، فمن الخطأ أن نقف في أثر الغرب في طريقه التي لم تؤدّ به إلى غايته.

عدم تقليد الغرب

ذات يوم وفي مستهل فتح بوابة الحياة الغربية على إيران - حيث كان التقدم والعلم والتكنولوجيا ولم يكن عند الإيرانيين شيء - بدلا من أن يفكر الساسة والنخب آنذاك بالتغيير الجذري كما صنع أمير كبير في عهد ناصر الدين شاه، ظهر شخص في عصر المشروطة ليقول: إن الأسلوب الوحيد لإنقاذ إيران يكمن في تقليد الغرب جسما وروحا، وقلبا وقالبا!

ثم عمد الإنجليز إلى تنصيب سلالة البهلوي، ثم حلّ الأمريكان محلّ الإنجليز، وقد كان رضا خان وابنه محمد رضا أفضل الخيارات الإنجليزية والأمريكية، لأنهما مارسا نفس الدور الاستعماري الذي يريده الغرب مع المحافظة على ظاهرهما الإيراني.

فمن الخطأ حاليا أن يحاول شبابنا سلوك الطريق الغربي.

لا عار في أخذ العلم من الغرب

نحن نأخذ العلم من أيّ كان، فقد قال لنا نبينا الأعظم صلّى الله عليه وآله: «اطلبوا العلم ولو بالصّين»⁽¹⁾؛ إذ كانت الصين آنذاك ذات حضارة عريقة ومتقدّمة، وبرغم ابتعادها عن الإسلام وبعدها، لذا قال النبي صلّى الله عليه وآله اطلبوا العلم والتجربة - أو ما يصطلح عليه حاليا بالتقنية - أينما وجدتموها.

ص: 101

وقد ذكرت في حضور بعض الجامعيين: لا نجد أيّ عار في أخذ العلم من الغربيين والأوروبيين، وإنما العار أن نستمر على بقائنا تلاميذ لهم.

أو نبقى كحوض ماء خاضع في ملئه و تفرغته لرغبة الآخرين، بل نريد أن نكون بمثابة الينبوع الذي يتفجر ماؤه تلقائيا.

أخذ العلم من الغرب لا يعني ترك استثمار الطاقات

نريد أن نستثمر طاقاتنا الذاتية، وإنني أرى إمكان استثمار هذه الطاقات في كل موضع تقع عليه عيني.

ولا ينحصر ذلك في التقدم الحاصل في الطاقة النووية، بل هناك أمثله أخرى كالخلايا الجينية التي أذهلت المراقبين الأجانب، وغيرها من الأمثلة الأخرى.

تفقدت أمس مجمّع «سر جشمه»، وقد سبق للإنجليز والأمريكان من بعدهم أن أرادوا استثمار هذا المجمّع، وقد عملوا على هذا الأساس وخططوا ولكن لم يتمّ تفعيله.

و حينما انتصرت الثورة قام مهندسون بتشغيله و استثماره، وأنجزوا أعمالا جيدة، ثم بادر مهندسوننا في العقد الثالث - منذ عام 1380 هـ ش - 2001 م تقريبا - إلى القيام بمشروع توسعته، و لا تزال أعمال توسعته قائمة على قدم و ساق، و هذا الإنجاز هو من أروع الإنجازات التي تقوم بها الحكومة الإسلامية حاليا.

إننا إذا تجاوزنا نهب الأجانب خيرات البلاد الوطنية، فهل يمكننا تجاوز مسألة إذلال الشعب الإيراني! إن أشدّ ما يحز في أنفسنا و يسوؤنا أنهم كانوا يذلّون شعبنا.

فهل هناك ذلّة أكبر من أن تجلس أمة بكامل طاقاتها لتأتي شردمة من الأجانب و تريح هذه الأمة جانبا لتباشر عملية الاستثمار بنفسها دون أن تجيز لأبناء الوطن حتى الاستفادة من تجاربها، و تكتفي بإعطاء الشعب نزرا يسيرا و تحتفظ لنفسها بالسهم الأوفر، و هذا ما كان يحصل بالنسبة إلى النفط و النحاس و الحديد و مختلف المصادر

الأخرى من إقامة السدود و المطاحن، و القطاعات الجامعية و العلمية في كثير من البلاد الإسلامية(1).

أثر المعنوية و الأخلاق على العالم

إنكم لو استطعتم أن تظهروا حقيقة الإسلام الصافية، و جوهره المتألق، و تجسّدوا قيمه الرفيعة في الأوساط العلمية لكان ذلك إنجازا كبيرا، و لكنكم قد مهّدتكم الطريق أمام النخبة للنزول إلى هذه العرصات.

إنّ تحصيل العلم و المعنوية، و العلم و الإيمان، و العلم و الأخلاق، هو ما يفتقر إليه العالم اليوم؛ و إنّ الجامعة الإسلامية توفر العلم مع الإيمان، و العلم مع المعنوية، و العلم مع الأخلاق بلا فصل أحدها عن الآخر.

إنها تمنح العلم و المعرفة استمدادا من الأخلاق و الإيمان.

إنّ الذين يقولون: التناقض بين العلم و الدين؛ لم يشاهدوا منطقة نفوذ العلم و الدين، فلكل منهما منطقة نفوذ معا، و المزج بينهما يعني أن يوجّه الإيمان سلاح العلم نحو الجهة المطلوبة؛ لأنّ سلاح العلم يمكن أن يستهدف الأخيار و الأشرار، و لكن الأمر يتوقف على من يمتلك هذا السلاح.

إنه سلاح العلم، و أما الإيمان فهو الذي يسير به في الإتجاه الصحيح.

فلو كان الإيمان يتحكم بالعلم في الدول الغربية لما اتجه الغرب نحو تصنيع القنبلة الذرية، ثم ما لبث أن وقف أمامها عاجزا لا يستطيع أن يسيطر عليها، أو يتركها تدمّر العالم.

إنّ هذا لم يكن ليحدث لو كان الإيمان توأما للعلم.

ص: 103

1- من كلمة ألقاها في: 1384/2/19 هـ ش الموافق: 30 /ربيع الأول/ 1426 هـ الموافق: 2005/5/9 م - كرماني.

ولما كانت هناك أصلاً ظاهرة الاستعمار والاستعمار الجديد - الذي هو وليد العلم - ولما عانت الدول والشعوب من التسلُّط والسيطرة والقهر ونهب الثورات خلال القرنين الماضيين.

إنَّ كل هذه الكوارث تعود إلى مسألة الفصل بين العلم والإيمان.

وما على النخبة في الجامعات الإسلامية إلا أن تسدَّ هذا الفراغ، وأن تجمع بين العلم والإيمان، بمعنى أن ترَوِّوا العلم بالإيمان، سواء أكان ذلك في نسيجة الداخلي، أو في نتائجه، أو في المجالات التي سيستخدم فيها(1).

ص: 104

1- من كلمة ألقاها في: 1384/10/29 هـ ش - 18 /ذي الحجة/ 1426 هـ ق - 2006/1/19 م.

ذكر سبحانه وتعالى في كتابه الكثير من الآيات التي تتحدث عن التقوى و آثارها الشخصية و الإجتماعية و إليك هي:

قال سبحانه وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (1).

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ (2).

وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (3).

وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (4).

وَ أُتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَّبِعُ اللَّهُ مَنْ أَلْمَنَ (5).

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أَنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ

ص: 105

1- سورة آل عمران: 102.

2- سورة القمر: 54، 55.

3- سورة آل عمران: 102.

4- سورة الطلاق: (2، 3، 4).

5- سورة المائدة: 27.

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (1).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (2).

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (3).

ذَلِكَ أَمْرٌ اللَّهُ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (4).

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ (5).

وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (6).

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (7).

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ... أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8).

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (9)

أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ

ص: 106

1- سورة الحجرات: 13.

2- سورة الأنفال: 29.

3- سورة الأعراف: 201.

4- سورة الطلاق: 5.

5- سورة الأعراف: 26.

6- سورة النساء: 131.

7- سورة الأعراف: 96.

8- سورة البقرة: 2، 5.

9- سورة آل عمران: 123.

تُرْحَمُونَ (1).

الشَّهْرِ الْحَرَامِ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصْدًا مِمَّنْ إَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا إَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (2).

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (3).

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (4).

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (5).

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (6).

وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (7).

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (8).

ص: 107

1- سورة الأعراف: 63.

2- سورة البقرة: 194.

3- سورة الفرقان: 74.

4- سورة طه: 132.

5- سورة القصص: 83.

6- سورة هود: 49.

7- سورة الزمر: 33.

8- سورة البقرة: 177.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مِمَّا آتَاهُمُ رَبُّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَجِعُونَ * وَاللَّاسِ حَارِهُمُ
يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ (1).

وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (2).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ (3).

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذُِكْرٌكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (4).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (5).

ص: 108

1- سورة الذاريات: 15-19.

2- سورة البقرة: 237.

3- سورة المائدة: 8.

4- سورة الأنعام: 153.

5- سورة البقرة: 183.

ما ذا تعني التقوى؟ إنها تعني تلك الشدة من المراقبة بحيث لا يحميد الإنسان عن جادة الحق في ممارساته الشخصية. وهذا ما تعنيه التقوى؛ أي أن يراقب المرء نفسه مراقبة تامة في تداوله للأموال، في التلاعب بكرامة الناس، في الاختيار والرفض، في التحدث حيث يحتاط أن لا- يقول ما يخالف الحق. تصفحوا نهج البلاغة فهو حافل بهذه المقولات. و مما يؤسف له الآن أن البعض درجوا على ارتكاب ما حلالهم تحت طائلة أن أمير المؤمنين عليه السلام كان كذلك و يفعل هكذا، ما هو دليلهم و من أين لهم هذا؟ إن أمير المؤمنين عليه السلام هو ذاك في نهج البلاغة، و هو ذاك في الروايات الواردة عنه و عن أولاده الطاهرين، فأين هذه الأمور التي يدعيها البعض قائلين إن عليا كان كذلك؟ كلاً، فعلي هو ذاك في نهج البلاغة؛ طالعوا نهج البلاغة من أوله إلى آخره، فهو حافل بالحث على التقوى و الدعوة إليها، و ما لم يكن الإنسان تقياً فلا قدرة له على إقامة دين الله، فأسوأ المرض تلوث الباطن، فتلوث قلب الإنسان بالمعصية لا يدع للإنسان فرصة إدراك الحقيقة، ناهيك عن أن يتحرك صوبها(1).

ص: 109

1- من كلمة ألقاها في: 13 رجب 1423 هـ - طهران.

قد لاحظت من خلال التدبر في القرآن وفي الروايات أخيراً أنّ المعيار الذي تؤكد عليه الآيات والروايات أكثر من أيّ شيء آخر - حتّى من الإسلام نفسه - هو مسألة التقوى، فالتقوى هي التي ترشد الناس - منذ بداية تدين الفرد أو المجتمع - إلى قبول دين الحق والاستجابة للأوامر الإلهية؛ ولذا يصف الباري عزّ وجلّ القرآن الكريم بأنّه هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (1).

فإذا كنّا نمتلك التقوى فإنّ القرآن سيكون هادياً لنا، و التقوى بالنسبة للإنسان المؤمن هي عبارة عن الرعاية الدقيقة للموازن الدينية. و من الممكن أن تكون التقوى موجودة لدى الإنسان غير المتدين، إلاّ أنّ تقواه تلك ليست تقوى دينية، ولكنها شيء حسن في حدّ ذاته، فالتقوى تعني: الاجتناب عمّا يكون سبباً لهلاك الإنسان والإضرار به وسقوطه، وهذا الاجتناب هو الذي يسمّى «تقوى».

و من البديهي أنّ الإنسان عند ما يريد الاجتناب عن شيء ما فإنّ اجتنابه ذلك مستند على اصول و معايير معيّنة و مرتكز على مبنى فكرياً يؤمن به؛ ولهذا قد تجد إنساناً آخر - وإستناداً إلى مبنى فكري آخر - لا يكتفي بعدم الاجتناب عن ذلك الشيء بل يمارسه و ينجذب إليه، إذن فالمبنى الذي تستند إليه التقوى عند الإنسان المتدين هو الدين. و التقوى الدينية تعني أنّ الإنسان أينما حلّ يجب عليه أن يكون مراقباً لنفسه؛ لكي يصونها من الإنحراف عن الطريق الصحيح، و يجب أن تكون تلك المراقبة شاملة لجميع الأعمال التي يمارسها الإنسان و لا سيّما الأعمال المهمة

ص: 110

والامور التي تعتبر معالم في حياة الناس، وبالأخصّ لمسؤولي الدولة فيما يمارسونه من امور ترتبط بإدارة شؤون البلاد.

فيجب على الإنسان رعاية الموازين الدينية في جميع تلك الشؤون، أن يرى ما هي الامور التي تنسجم مع الاسس الدينية وتجلب رضا الله سبحانه وتعالى، فيأخذ بها من دون أية مجاملة، ويلاحظ الامور المخالفة لرضا الباري عزّ وجلّ فيتركها، وهذا هو المعيار الأساسي.

وبالطبع إنّ رعاية التقوى بهذا المعنى هو عمل شاقّ ويستلزم الدقّة والحساسية المستمرة في مقابل الإنحرافات وتجاوز اللذائذ والأهواء النفسية وتجاوز الصداقات والمجاملات وتحمل بعض الضغوط والمتاعب.

وبالرغم من أنّ الإنسان سينال الموقّية والنجاح في نهاية هذا المطاف، إلا أنّ سلوك هذا الطريق يشوبه كثير من المشاق والصعوبات، ولأجل تدليل تلك الصعوبات أمام الإنسان فقد بيّن لنا الباري عزّ وجلّ في القرآن الكريم بعض نتائج وآثار الإلتزام بالتقوى؛ لكي نعرف أنّ تلك المتاعب والصعوبات ستكون لها ثمرة طيبة، ولكي نعرف أنّه عند ما تكون الموقّية هي النتيجة للإلتزام التقوى فلا بأس أن يكون ثمنها تحمّل تلك المشاق والمتاعب(1).

فالتقوى معناها أن يتحرّز على نفسه من ليس له سلطان إلا على نفسه، وأن يتحرّز على نفسه وعلى غيره من له سلطان على غيره أيضا. أما الذين يقفون على رأس السلطة فيجب عليهم التحرز على أنفسهم وعلى المجتمع كلّه لكي لا ينزلق نحو التهافت على الدنيا والتعلق بزخارفها، ولا يسقط في هاوية حب الذات.

وهذا لا يعني طبعاً الانصراف عن بناء المجتمع، بل يجب بناء المجتمع والاستكثار من الثروة، ولكن لا لأنفسهم، فهذا مستقبح. كل من لديه قدرة على زيادة

ص: 111

ثروة المجتمع والقيام بإنجازات كبرى، يكسب ثوابا عظيما، ولا يدخل عملهم هذا في إطار حب الدنيا. وإنما يصدق حب الدنيا فيما لو كان المرء يطلب النفع لذاته ويعمل لنفسه، أو يفكر في جمع الثروة لنفسه من بيت مال المسلمين أو من غيره.

وهذا هو التصرف القبيح.

يجب إذن الحذر من الوقوع في مثل هذه المنزقات، وإذا انعدم الحذر ينحدر المجتمع تدريجيا نحو التخلي عن القيم و يبلغ مرحلة لا تبقى له فيها سوى القشرة الخارجية، وقد يأتيه على حين غرة و يفاجئه ابتلاء شديد - كالابتلاء الذي تعرض له ذلك المجتمع حين اندلاع ثورة أبي عبد الله عليه السلام - فلا يخرج منه ظفرا(1).

و من وصية لأمير المؤمنين عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله قال: أوصيكما بتقوى الله، و ألا تبغيا الدنيا و إن بغتكما، و لا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، و قولا بالحق، و اعملا للأجر، و كونا للظالم خصما، و للمظلوم عوناً أوصيكما، و جميع ولدي و أهلي و من بلغه كتابي، بتقوى الله، و نظم أمركم، و صلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدكما صلى الله عليه و آله و سلم يقول صلاح ذات البين أفضل من عامه الصلاة و الصيام(2).

التقوى تعني كل شيء للإنسان، و هي دنيا الأمة و آخرتها و الزاد الحقيقي في هذا الطريق الطويل الذي لا بد للبشرية أن تقطعه، فالتقوى هي كلام أمير المؤمنين عليه السلام الأول و الأخير و هي مقدمة على كل شيء في حياة الإنسان، فكأنه عليه السلام يريد أن يقول في وصيته الخالدة: يجب عليكم يا أولادي مراقبة أنفسكم و أعمالكم و وزنها بالمعيار الإلهي الحق.

و ليس كلامه عليه السلام في مسألة الخوف من الله، كما فسرت التقوى من قبل البعض

ص: 112

1- من كلمة ألقاها في: 11 محرم 1419 هـ ق - طهران.

2- نهج البلاغة: 76/3 ح 47.

بأنها الخوف من الله و خشيته سبحانه و تعالى. صحيح أن الخشية و الخوف من الله تعالى لها قيمة و تعتبر من أنواع التقوى إلا أن التقوى الحقيقية تعني مراقبة الإنسان المستمرة لأعماله كي تكون منطبقة مع المصالح الإلهية التي يقدرها المولى سبحانه و تعالى له.

و هذا أمر لا يمكن للإنسان أن يستغني عنه بأي حال من الأحوال.

و إذا حاولنا الاستغناء عن هذه الحالة فالطريق أمامنا مليء بالأخطار و الوادي عميق تحت الأقدام و سننزلق بلا ريب إلا أنه قد نعر على حجر أو شجر نتشبّت به لعلّه يعيننا على الصعود الى الأعلى من جديد إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون (1).

فالإنسان المتقي عند ما يشعر بمسّ الشيطان له يتذكر الله و يعود الى نفسه حالا بالمراقبة و المحاسبة. و علي عليه السلام يعلم أن الشيطان لن يتركنا أبدا فلا بد أن تكون الفقرة الأولى من الوصية هي تقوى الله سبحانه و تعالى (2).

ص: 113

1- سورة الأعراف: 201.

2- من كلمة ألقاها في: 12 رمضان 1414 هـ - طهران.

عند ما نوصي بالتقوى فليس معنى ذلك عدم وجود التقوى، كلا بل هي وصية بالحفاظ على هذا المكتسب المعنوي إن كان فينا و تكميله إن كان ناقصا و توفيره إن كان مفقودا، و هذا هو معنى الوصية بالتقوى. كما ليس الأمر بأن الذي يوصي بالتقوى أقل حاجة للتقوى من الموصى. بل الموعظة و القول و الوصية ضرورية، فقد يكون الموصي نفسه أكثر حاجة بكثير لهذه الوصية، لذلك فقد جاء ذكر التواصي في الشريعة الإسلامية المقدسة، فحري بالجميع إيلاء بعضهم البعض. أن نتواصى بالحق و الصبر و الحفاظ على صراط الله المستقيم، و أن لا نتحرف عن هذا الصراط(1).

وصية أمير المؤمنين عليه السلام بالتقوى

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله، و اغتنام طاعته ما استطعتم في هذه الأيام الفانية، و إعداد العمل الصالح لجليل ما يشفي به عليكم الموت، و أمركم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم، الزائلة عنكم، و إن لم تكونوا تحبون تركها، و المبلىة لأجسادكم و إن أحببتم تجديدها»(2).

يقول عليه الصلاة و السلام عليكم الإستعداد بالعمل الصالح للمصائب و الأهوال الكبرى و المجهولة التي ستحل بكم في عالم ما بعد الموت. فالموت حادثة عظيمة كان الأكابر و الأولياء يرتعشون خوفا منها؛ لأن الحوادث التي تواجه الإنسان بعد

ص: 114

1- من كلمة ألقاها في: 7 / رمضان / 1424 - طهران.

2- مستدرک الوسائل: 30/6، و البحار: 237/86.

الموت لها عظمة و خشية لا تطاق، و هناك طريق واحد لمقابلة هذه المصاعب و الشدائد الكبرى التي كان عباد الله و أولياؤه الصالحون يخشونها بسبب ما لديهم من خبر عنها على وجه العموم، و ذلك هو العمل الصالح لوجه الله. لأن الشيء الوحيد الذي يغيث الإنسان هناك هو العمل الصالح.

«و أمركم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم» فهو عليه السلام أمير معنوي و أمير مادي، و أمير ظاهري و أمير باطني، و أمير الأجسام و أمير الأرواح؛ و يأمر الناس بترك زخارف الدنيا، و عدم الاستغراق في شؤونها المادية لأنها «الزائلة عنكم، و إن لم تكونوا تحبون تركها، و المبلية لأجسادكم و إن أحببتم تجديدها». فهذه الدنيا تبلي أجسادكم و تضعفكم و تعدم قواكم حتى و إن كنتم ترغبون في بقاء هذه القوى على الدوام.

ثم يقول عليه السلام: «فإنما مثلكم و مثلها كركب سلكوا سبيلا فكانهم قد قطعوه و أفضوا إلى علم فكأنما بلغوه، فلا تنافسوا في عز الدنيا و فخرها، و لا تعجبوا بزینتها و نعيمها، و لا تجزعوا من ضررائها و بؤسها، فإن عزها و فخرها إلى إنقطاع، و إن زینتها و نعيمها إلى ارتجاع، و إن ضرءها و بؤسها إلى نفاذ، و كل مدة منها إلى منتهى، و كل حيي فيها إلى بلى».

كان أمير المؤمنين عليه السلام يحيي الأرض بنفسه و يزرعها، و يحفر البئر، و قد تحدّث بهذا الكلام في وقت كان فيه حاكما على دولة تمتد حدودها من بلاد ما وراء النهر إلى البحر الأبيض المتوسط.

فهو عليه السلام كان يدير دفة شؤون الدولة و يهتم بشؤون الحرب و السلم و السياسة و بيت المال و غيرها من نشاطات البناء الاخرى. و كلامه هذا لا يدعوه فيه إلى عدم إعمار الدنيا، و إنما يعني به أن لا يجعل الإنسان ذاته محورا لجميع الأعمال و النشاطات المادية، و لا تنفقوا كل الطاقات لأجل أنفسكم و لا تحولوا الدنيا إلى جحيم من أجل نصيبكم من الحياة.

و لا تكدروا عيش الآخرين لأجل المال و المنال و الرفاه و الراحة.

عليكم بالتقوى. أي عليكم بالحدز لئلا يكون في أي عمل أو قول أو قرار يصدر عنكم ضرر يلحق بالإنسانية و بالمجتمع، و لا تكون فيه إساءة إلى أخراكم أو انتقاص من دينكم، هذا هو معنى التقوى. و في كل جمعة يكرر امام الجمعة مخاطبة الناس و مخاطبة نفسه بالقول: «أوصيكم و نفسي بتقوى الله». كلنا بحاجة لسماح مثل هذه الوصايا(1).

و قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لبعض شيعته: «إي فلان، إتق الله و قل الحق و إن كان فيه هلاكك، فإنّ فيه نجاتك.

إي فلان، إتق الله و دع الباطل و إن كان فيه نجاتك، فإنّ فيه هلاكك»(2)

يجب على الإنسان أن يقول الحق حتى و إن كان موجبا لضرره و مساءته، لأنّ النجاة في قول الحق و إن كان بحسب الظاهر يتوهم أنه مضرّ به.

و يجب على الإنسان أن يترك الباطل حتى و إن توهم أن نجاته و خلاصه به و توهم أنه بحسب الموازين و المعايير الظاهرية بميله و رغبته للباطل قولاً و عملاً سوف ينجو، لأنّ الباطل في الواقع موجب لهلاكه.

إنّ تقرير مصير سعادة و شقاء الإنسان باتباعه طريق الحق و اجتنابه عن طريق الباطل.

و إذا مال الإنسان إلى الباطل نتيجة سلوكه القواعد الخاطئة و الباطلة و الإنتفاع السريع الزوال سوف ينحرف تدريجياً عن طريق الحق، و لذلك يجب عليه أن يكون أمامه هذا المعيار و الميزان شاخصاً و هادياً و مرشداً على الدوام لحظة لحظة في كل

ص: 116

1- من كلمة ألقاها في: 9 رجب 1419 هـ - طهران.

2- تحف العقول، صفحة: 408.

وقائع الحياة و ما يعرض عليه فيها(1).

التقوى في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

إن التقوى هي الدرس الخالد الذي يعطيه أمير المؤمنين عليه السلام، فلو أنكم تراجعون نهج البلاغة ستدركون أنه لم يدع إلى شيء بالمقدار الذي دعى فيه إلى التقوى.

إن التقوى في الواقع من أهم المفصل في حياة أمير المؤمنين عليه السلام العملية، و تعاليمه الربانية.

فعلى العبد أن يراقب - و الذي هو مفهوم التقوى - نفسه دائما، فيراقب أعماله و سلوكياته، أي يراقب عينه و لسانه و سمعه و يده، كما يراقب قلبه، و عدم تغلغل الخصال الحيوانية الدنيئة، و عدم الميل إلى الهوى، و عدم الانجذاب إلى المظاهر التي تؤدي به إلى الهاوية، فلا يضم الحسد و لا يريد الشر لغيره، و أن لا يسمح للوساوس بالتطرق إلى فؤاده، و عليه أن يجعل من قلبه مسرحا للفضائل و ذكر الله تعالى و حب أوليائه و عباده.

و أن يراعي التقوى في الفكر و العقل، بأن يصون العقل من الانحراف و الوقوع في الأخطاء و المزالق، و إنقاذه من الجمود، و توظيف الذكاء في شؤون الحياة(2).

ص: 117

1- كلمات مضيئة: 131.

2- من كلمة ألقاها في: 1384/5/28 هـ ش - 1426/7/13 هـ ق - 2005/8/19 م.

إن التقوى أساس الخيرات جميعها في المجتمع. و التقوى الفردية إنما تعني سعي كل فرد بينه وبين ربه أن لا ينحرف عن جادة الصواب و الحق و لا- يظأ موطنًا منحرفًا، فيما تعني التقوى السياسية أن يجتهد المرء للتعامل في عمله السياسي مع القضايا السياسية تعاملًا صادقًا غيرًا دافعه الحرص.

و السياسة بمعنى التحايل و الخداع و الكذب على الرأي العام ليست مما يشده الإسلام، و إنما السياسة تعني الإدارة الصائبة للمجتمع و هي من الدين.

و التقوى السياسية إنما تعني أن يعمل المرء بصدق في ميدان السياسة.

و التقوى الإقتصادية تعني إذا ما اضطر المرء للقيام بنشاط إقتصادي لإمرار معيشته و تحسين وضعه فعليه أن ينتخب الطريق الصحيح، فالغصب و أكل الحرام و التطاول على أموال الآخرين - لا سيما الأموال العامة - و استغلال موارد الناس للصالح الخاص، و التوسل بالحيل التي قد يستبطنها القانون بظاهرة أحيانا بيد أن المرء يعلم مدى فساد باطنها و إنحرافها، هذه جميعًا تتنافى مع التقوى الإقتصادية.

أما التقوى الإجتماعية فهي تعني أن يتسم التعامل مع الناس في مختلف الأوساط - سواء في وسط التكسب أو المعاشرة أو الوسط العائلي أو المدرسي و الجامعي أو الوظيفي - بالإنصاف و الخشية من الله و الأمانة و الصدق. و إذا ما تحققت هذه المثل في المجتمع و طبقت عمليًا ستجد أغلب مشاكل الناس المادية و المعنوية طريقها إلى الحل. فالتقوى و الورع إنما تعني الامتداد الواسع للأعمال الصالحة و الخيرة، و ما هو حسن من أفعال و تروكات.

من أهم فصول صلاة الجمعة التوصية بالتقوى. و مثل هذه التقوى لا تتحقق -

بالطبع - بالقول و التوصية بالرغم من الدور الهام للقول و التوصية و ضرورة عدم إغفال دور البيان و النصح و الإنذار و التبشير - و ذلك فعل الأنبياء عليهم السّلام - غير أن الوصية الحقيقية هي لنا نحن خطباء الجمعة و العاملين و القائمين على الخدمة في صلاة الجمعة و المبرمجين و المنفذين لمختلف أقسام صلاة الجمعة، فعلينا بذل أقصى الجهود في أعمالنا و تصرفاتنا لئلا تطفو هذه التقوى على ألسنتنا فحسب، بل أن تتجلى في أعمالنا أيضا، و هذه تمثل سبلا طبيعية للغاية في الإسلام العزيز لهداية المجتمع و البلاد و إدارتهما(1).

ص: 119

1- من كلمة ألقاها في: 16 جمادى الأولى 1423 هـ - طهران.

قال الله في كتابه: إتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ (1).

وقال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام في كلام له: «إن من فارق التقوى أغري باللذات والشهوات ووقع في تيه السيئات ولزمه كثير التبعات» (2).

فائدة التقوى في حياة الإنسان تشمل كثيرا من الأمور:

إحدى هذه الأمور هي أن الإنسان المتقي يستطيع صيانة نفسه من منزلقات و مطبات الحياة، بينما الإنسان غير المتقي لا يمكنه ذلك، و باستطاعة الإنسان أن يمتلك روح التقوى التي هي عبارة عن مراجعة الإنسان الدائمة لنفسه و أعماله و حتى أفكاره و ما يفعله و ما يتركه التي تنسب إليه و عدم الغفلة عن ذلك. و إذا استطاع الإنسان أن يوجد هذه الحالة في نفسه فإنه سوف يفوز في الإمتحانات الإلهية التي يمر بها في حياته.

إن الجميع يمرّون بهذا الإمتحان فالأمم تمتحن بما هي أمم و الأفراد يمتحنون بما هم أفراد.

الاختبارات متباينة لكنّها قائمة على آية حال. فعند ما تعرض على النفس لذة مخالفة للشرع تميل النفس إليها، فهذا من مواضع الإمتحان و الاختبار، و عند ما يعرض على الإنسان مال يستطيع الحصول عليه خلافا للشرع و التشريع الإلهي فهذا موضع آخر للإمتحان الإلهي، و عند ما يتحدّث الإنسان بحديث يستبطن مصلحة شخصيّة

ص: 120

1- سورة آل عمران: 102.

2- عيون الحكم و المواعظ: 154.

لكنّه حديث باطل في الحقيقة، و حين يصبح الكلام واجبا شرعيا على الإنسان رغم ما يتبعه من مخاطر و متاعب أخرى فهذا اختبار آخر للإنسان.

و حينما نقيس هذه القضية بمقياس الشعوب و الأمم فالنتيجة مماثلة لذلك أيضا، فعند ما تحصل أمة على الثروة و الرفاه و تكسب القوة و النصر و تحقّق التقدّم العلمي فهذا إمتحان و اختبار لتلك الأمة. و إذا استطاعت الأمم صيانة نفسها من الإنحراف و هي في قمة إقتدارها فإنها ستخرج من الاختبار مرفوعة الرأس.

و أمّا إذا اصيبت الشعوب و المجتمعات بالغرور و الابتعاد عن الله سبحانه نتيجة لحصولها على الراحة و الرخاء فستخرج خاسرة من الإمتحان الذي تتعرّض له؛ لذلك فإن القرآن يخاطب النبي صلّى الله عليه و آله في سورة «النصر» القصيرة، بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله و الفتح * و رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا هذه هي قمة إقتدار نبي من الأنبياء عند ما ينزل الله عليه النصر و الفتح و يدخل الناس أفواجا في دينه، عند ما يجب على الإنسان أن يراقب نفسه؛ لذلك فإن القرآن يقول: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً (1)، يعني عليك أن تذكر الله في ساعة النصر و تحمده و تسبّحه لأنّ هذا النصر كان من الله و ليس منك.

لا تنظر الى نفسك بل أنظر الى قدرة الله سبحانه، فقائد إلهي و حكيم كالنبي الأكرم صلّى الله عليه و آله يسعى في مثل هذه الظروف أن لا تخرج الأمة عن الطريق القويم، و هنا يأتي دور التقوى التي تستطيع أن تنفذ الامة من الضلال و الإنحراف.

ترك فوائد التقوى يؤدي للسقوط

و إذا كانت الأمة تقية فإنها ستواصل مسيرتها في طريق التقدّم و الإيمان و طريق العبودية لله سبحانه. و لكن إذا ابتعدت الشعوب عن طريق التقوى فإنها ستبتلى بما

ص: 121

ابتليت به الأمم السابقة عند ما أصيبوا بالإستكبار و الغرور و الظلم و الطغيان و الإنحراف، فأضلّوا الناس و خرّبوا الدنيا و أفسدوها و أخيرا سقطوا هم أيضا، كما نجد ذلك في أماكن عديدة من التاريخ، و كنموذج لذلك ما حدث لبعض الأمبراطوريات العظيمة في السنوات الأخيرة كنتيجة طبيعية لإنحرافها عن طريق التقوى.

إنّ كلّ البعيدين عن طريق التقوى في العالم سواء كانوا أفرادا أو شعوبا يجب عليهم أن ينتظروا سقوطهم الحتمي الذي لا بدّ له أن يتحقّق، فالسقوط هو النتيجة الحتمية للابتعاد عن طريق التقوى، و من الطبيعي فإن السقوط يسبقه الإنحراف و الخراب و الفساد.

من فوائد التقوى النجاح بالامتحان الإلهي نموذج في قصة نوح عليه السلام

و الآن نعرض لجزء يسير من التجربة القرآنية الخاصة بأصحاب نوح النبي عليه السلام و المؤمنين به؛ لأنّ المؤمنين بنوح عليه السلام كانوا من الصفوة المختارة بالتأكيد. و قد أمعنت النظر في الآيات الواردة في سورة هود و التي تحدّثت طويلا عن النبي نوح عليه السلام و عن أصحابه.

لقد دعى نوح قومه تسعمائة و خمسين سنة فكانت النتيجة لهذه السنوات الطويلة من الدعوة و التبليغ إيمان عدد قليل من أفراد ذلك المجتمع الجاهل و الطاغية فقط و ما آمنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (1) إنّ ساعة البلاء «الطوفان» كانت قد اقتربت من ذلك المجتمع.

ص: 122

بدأ نوح عليه السلام بصنع السفينة في اليابسة فكان ذلك سببا لسخرية كل الذين كانوا يمرّون عليه؛ لأنّ المفروض أن تصنع السفينة قريبا من ساحل البحر وليس في اليابسة التي كانت تفصلها مسافة بعيدة عن البحر، إذ كيف يعقل أن تصنع سفينة كبيرة يراد لها أن تحمل جماعة من الناس بعيدا عن ساحل البحر، قال تعالى: وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ (1).

ولكن المؤمنين بنوح عليه السلام تحمّلوا كلّ هذا الاستهزاء والسخرية من غير أن يعرفوا الغاية التي من أجلها تصنع السفينة، ولم يكن أحد يعرف ما سيحدث من طوفان وفوران الماء من الأرض والسماء.

فهؤلاء المؤمنون كان إيمانهم من القوة بحيث استطاعوا الصمود أمام كلّ ذلك الاستهزاء والسخرية وضغط الرأي العام الذي كان يوجّهه المتسلّطون في ذلك المجتمع، وكان أولئك المؤمنون من الطبقة السفلى في المجتمع كما أخبر تعالى على لسان أعدائه: هُمْ أَزْدُنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ (2) ولعلّهم كانوا يعتبرون من مواطني الدرجة الثالثة أو الرابعة لذلك المجتمع.

الآن أنتم تصوّروا فئة قليلة مستضعفة تقف مقابل فئة كبيرة تمتلك جميع وسائل القوة والإقتدار من ثروة وقوة ووسائل إعلام.

كانت الإهانة والسخرية توجّه الى هذه المجموعة الصغيرة المحيطة بالنبي نوح عليه السلام ولكنّها كانت تصبر وتتحمل وكان هذا يتطلب إيمانا قويا من الإنسان، وعند ما جاءت مسألة صنع السفينة تبيّنت قوة إيمانهم أكثر من السابق فلم يأتوا الى نبيهم ويعترضوا عليه لأنّه يصنع السفينة في اليابسة بعيدا عن البحر وأصبح بذلك سببا للسخرية منهم بل تحمّلوا ذلك وصبروا عليه.

ص: 123

1- سورة هود: 38.

2- سورة هود: 27.

تصوّروا شخصا يريد أن يصنع سفينة في إحدى الساحات العامة لإحدى المدن الكبرى مثل طهران التي يفصلها مئات الفراسخ عن ساحل البحر فهل هناك تبرير لهذا التصرف الغريب.

لقد كان يبدو أنّ الحقّ مع الذين كانوا يستهزئون من هذا التصرف، لكن الذين آمنوا بنوح تحمّلوا هذا الاستهزاء الذي كان يبدو منطقيًا، و هذا كان يتطلّب إيمانًا قويًا وثابتًا.

وبعد كلّ ذلك بدأت الأمطار تهطل من السماء و تفجّرت الأرض عيونًا، أمر نوح أصحابه بركوب السفينة، فأركبوا الحيوانات أولاً وركبوا هم بأسلوب يوحي بأنّ المياه سوف تغرق الدنيا بأجمعها فقال سبحانه: **قُلْنَا اِحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اِثْنَيْنِ وَاَهْلَكَ (1)**.

فقد كان من الواضح أنّ البلاء في هذه الحادثة سوف لا يرحم أيّ شيء في الدنيا.

ركبوا في السفينة فجرت بهم و قد عمّ الماء جميع أرجاء الكرة الأرضية، فأغرق الناس و جميع الحيوانات، و لم يبق سوى هذه المجموعة الصغيرة التي آمنت بنوح عليه السّلام و ركبت معه.

و بهذا فإنّ إمتحان الكفّار كان قد انتهى. بينما إمتحان المؤمنين قائم و مستمر. كانت تلك الفترة فترة إمتحان و تحمّل المتاعب و السخرية و الاستهزاء و الصبر على ما كانوا يتعرّضون له في عهد النبي نوح عليه السّلام.

كان هذا إمتحان فترة الشدة و العسرة و قد تجاوزوه بسهولة، فإمتحان مرحلة الشدة يكون أهون من مرحلة الرخاء و الرفاهية في بعض الأحيان، و قد تجاوز البعض بنجاح مرحلة المواجهة الصعبة مع إسرائيل الغاصبة و بعد مرور عدة سنوات على هذا الاختبار الصعب و بفضل بعض المواقف استطاع هذا البعض كسب احترام الامة

ص: 124

و الحصول على الأموال الطائلة، و لكنهم فشلوا في اختبار المرحلة الاخرى و هي مرحلة الراحة و الاسترخاء و إلقاء السلاح و ابتعاد خطر الموت، و تراجعوا تراجعاً خطيراً ذهب بكل مصداقيتهم.

لقد شاهدتم فضيحة بيع فلسطين - و يوجد العديد من القضايا من هذا القبيل -، و قد شاهدت بنفسى بعض المناضلين ممن تجاوز مرحلة الشدة بكل نزاهة لكنه سقط و انحرف بعد ذلك في مرحلة الرفاه و الاسترخاء.

إن مستنقع الاختبار يصعب عبوره، فنفس الـثلة القليلة التي آمنت بنوح عليه السلام و تحمّلت تلك الشدائد و المصائب تدخل الآن مرحلة الرخاء قال تعالى: قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَ بَرَكَاتٍ عَلَيْكَ . انتهى الطوفان و رست السفينة و كان من المقرر أن ينزلوا الى دنيا خالية من الشرك و الطغيان.

بدأ أصحاب نوح حياتهم الإسلامية و الإلهية في عالم خال من المستكبرين و المترفين، يقول القرآن الكريم: قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَ بَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ عَجْبًا، فهذه التحية و هذا اللطف الإلهي لا يشمل كل المؤمنين الذين خرجوا بنجاح من إمتحان هذه المرحلة، فهذا السلام الإلهي يشمل البعض منهم فقط:

وَ أُمَّمٌ سَدَّ نُمُتَّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ، و أمّا بعض من كان معك فسوف نمتّعهم و بعد هذا التمتع و بعد أن يذوقوا طعم الأمن و الرفاه يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (1)، سوف نعذبهم عذاباً أليماً و ذلك يعني أنّهم سيفشلون في الإمتحان الإلهي و يتراجعون في مرحلة الرخاء.

ص: 125

إذن من يستطيع أن يخرج مرفوع الرأس من هذا الاختبار الإلهي: إنهم فئة الممتقين كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في الرواية التي تقدمت في بداية البحث. بقوله عليه السلام: «من فارق التقوى اغري باللذات والشهوات ووقع في تيه السيئات و لزمه كثير التبعات»(1).

فحينما تعدم التقوى و تفقد مراقبة النفس و حينما نغصّ النظر عن أعمالنا و أقوالنا و نتهاون في المسؤوليات الإسلامية التي تحمّلناها في ميدان الثورة و في مجال الخدمة في أجهزة الدولة أو الجمعية فإن الانزلاق في الهاوية سوف يكون بانتظارنا.

و لا تتصوّروا أنّ الإنزلاق يخصّ صنفا خاصّا من الناس، و ليست شهوة حب المال تخصّ البعض دون البعض الآخر، لا ليس كذلك فكّل إنسان يتلى بالشهوات لكن شهوة البعض غالية الثمن و شهوة البعض رخيصة الثمن، شهوة البعض فاخرة و شهوة الآخرين حقيرة و صغيرة، فاللذة هي اللذة على كلّ حال. و اللذة المحرمة؛ محرّمة، ليس هناك فرق بين لذة صغيرة و كبيرة فكلاهما حرام. و تحرم أيضا على الإنسان الشريف و الوضيع و لا تفاوت بينهم في ذلك أبدا.

و الإمتحان إمتحان يشمل جميع طبقات المجتمع، لكنّه أشقّ على من يفترض بهم تقديم خدمات أكبر للمجتمع (لأجل زيهم أو منصبهم أو ظاهرهم أو حديثهم)، فيجب على هؤلاء مراقبة أنفسهم أكثر من الآخرين لأنّ إنحرافهم أقيح و ألم للمجتمع، لكنّ هذا الإمتحان يشمل الجميع على أية حال.

ص: 126

و كما يمتحن الفرد تمتحن الأمة أيضا كما امتحنت في عهد النبي نوح عليه السلام و قد رأيت رواية عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يشرح فيها لأمر المؤمنين عليه السلام معالم إنحراف الأمة الإسلامية وفي آخر الرواية يدور محور الكلام حول التقوى.

وفي نفس الآيات الواردة في قصة النبي نوح عليه السلام بعد الآية التي قرأها يقول الله تعالى: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ لَأَقَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (1) فالعاقبة الحسنى ترتبط ارتباطا وثيقا بمسألة التقوى، وفي قصة نوح كانت الآية تشير الى أنّ العلة الأساسية لسقوط أولئك الذين سقطوا هي ابتعادهم عن طريق التقوى.

الطريق الوحيد للنجاة هو التزوّد بالتقوى

الطريق الوحيد للنجاة هو التزوّد بالتقوى، و مراقبة الإنسان لنفسه. قد تقلت أحيانا من يده فيرتكب بعض الذنوب، فالمهم أن تراقبوا أنفسكم و تقرّروا أن لا ترتكبوا معصية بعد الآن، هذه هي روح التقوى و روح الحذر، فأنت عند ما تحذر من نفسك ستكون حذرا من عدوك أيضا، و حينما تكون مراقبا لشیطانك الداخلي فستكون مراقبا للشیطان الخارجي أيضا. و حينما لا يستطيع شیطان النفس إلحاق الضرر بنا فسوف لا يستطيع شیطان الخارج أن يحكمنا أو يوجه ضرباته لنا بسهولة.

فقوله عزّ من قائل: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (2) هو مقدّمة للحصول على التقوى، و التقوى هي الغاية المنشودة (3).

ص: 127

1- سورة هود: 49.

2- سورة البقرة: 183.

3- من كلمة ألقاها في: 7 رمضان 1414 هـ - طهران.

علينا أن لا نغفل فإن أكبر عذاب إلهي ينزل بامة عند ما تصاب تلك الامة بالغفلة، و أسوأ مرض تصاب به الامة الغفلة، يجب أن لا نغفل عن ذكر الله، يجب أن يكون الله حاضرا في نفوسنا وقلوبنا وفي جميع قراراتنا و حركاتنا، في الأعمال الإدارية و السياسية و العسكرية، و عند صرف الاموال و تخصيص الميزانية، و وضع القوانين و القضاء، و في جميع الحالات يجب علينا أن نذكر الله، يجب أن نعمل لله تعالى، و بهذا النحو يتقدم المجتمع فالكمل يحتاج الى التقوى أنا و أنتم نحتاج التقوى لأمرين:

الأمر الأول: إذا عملنا من غير تقوى و اصبنا أثر ذلك بخسارة فإنها تنزل بالإسلام لا بنا، و عندها يكون الوزر و الوبال على عاتقنا.

لقد ذكرت على ما يخطر ببالي في إحدى خطب صلوات الجمعة قصة لمولوي لا زلت كلما تذكرتها اهتز، و حاصلها أنه كان في إحدى المدن الإسلامية محلّة يقطنها النصارى، و قد تعلق قلب إحدى الفتيات المسيحيات بالإسلام و رغبت في اعتناقه، و قاطعت الكنيسة و المراسيم الدينية، و قد احتار والدها في أمرها، و حدث أن عثر على مؤذن قبيح الصوت، فأعطاه الأب مالا، و قال له: أذن عند بيتنا، فعند ما أذن ذلك الشخص، و ارتفع صوته النكر أصاب الذعر أهالي المحلة، فسألت الفتاة، ما الخبر؟ فأجابها الأب لا شيء إنه آذان المسلمين، فقالت الفتاة: أهؤلاء هم المسلمون؟ فزال

حبّ الإسلام من قلبها.

هذه القصة يذكرها مولوي في كتابه (مثنوى) وهو كتاب مليء بالحكمة وهذه من حكمه.

وهذه حقيقة فإنه ينظر الى الإسلام من خلالنا، وبواسطتنا يتعرفون على الحقائق الإسلامية، وعند ما نخطئ بحسب خطانا على الإسلام، و انكسار المسلمين لا سمح الله يحسب على الإسلام أيضا، إذ يقولون إنّ الإسلام انكسر، ولا يقولون إنّ مجموعة من الناس لم تفهم الإسلام، ولم تعمل به بالشكل الصحيح قد انكسرت. هذا هو فهمهم فلا تقولوا حتى بألسنتكم إنّ نظامنا ليس قيميا بل هو كسائر أنظمة العالم فإنهم يكونون قد وصلوا الى هدفهم وهذا انكسار لنا، فإنّ هدفهم تحطيم هذه الجبهة وهذه الجبهة لا تتقدم إلا بالتقوى والطهارة والنزاهة ومحاسبة كل منا لنفسه محاسبة دقيقة وسليمة «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»⁽¹⁾ بدون ذلك لا يمكن أن يتقدم النظام.

إذا تصور أحد أننا نقوم بنفس الأعمال التي تقوم بها الحكومات الاخرى و موظفوها في العالم فذلك خطأ، فنحن نملك أصولا وأساليب مخصوصة أساسها الإسلام، وهذه الاصول يجب أن تحكم العالم لا أن تقبل بالأصول الخاطئة الجاهلية السائدة في العالم الاستكباري التي يريدون فرضها علينا.

ص: 129

يجب أن لا نغفل عن ذكر الله ولا ننسى الموت والحساب الإلهي، فلو تعرض عملنا أو احتمالنا تعرضه لتفتيش مفتش بشري ضعيف قليل الاطلاع، لأخذنا جانب الحيطه والحذر، فكيف بنا والله يقول في كتابه: مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا (1).

عند ما نصاب بالتعب ونشعر بعدم ضرورة الاستمرار بالعمل، وعند ما يأتينا صديق، وعند ما تميل أنفسنا، وتبرز روح الأنانية والتفكير الشخصي، وعند ما يتخذ موقف باطل أزاء أخ مسلم، عندها تذكروا هذه الآية (ما لهذا الكتاب...) فالآخرون لا توجد لديهم هذه الآيات، والأنظمة التي لا تعتقد بالله والقيامه يتصرف أصحابها على أساس الخداع والحيلة وقلب الامور والتمويه حتى لا يطلع المفتش والقاضي والمحكمة والجهات العليا وتنتهي القضية.

أما نحن فلسنا هكذا، فعند ما لا يطلع الآخرون، ولا يشخصون خطأنا، تبدأ مشكلتنا، فلا ينبغي لأنفسنا أن تتغلب علينا، وتوسوس لنا.

أيها الاخوة يجب المحافظة على النظام على أساس التقوى وطريق التقوى ذكر الله.

إن أقل فشل تصاب به أمتنا اليوم يؤدي الى تراجع الصحوة الإسلامية خمسين سنة أو أكثر الى الوراء، فهؤلاء الشباب في أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط، وحتى في مدن البلدان الأوروبية يهتفون باسم الإسلام، ويتحركون باسم الجمهورية الإسلامية،

ص: 130

هؤلاء شاهدوا الإسلام مع كل هذا التقدم مع ذلك الوجه النوراني والكلمات النورية، و الإدارة الإلهية للمجتمع مع تلك التقوى التي عمّت المجتمع ببركة الثورة الإسلامية و شملت جميع الأفراد و بمستويات مختلفة فإن حصل انكسار أو فشل أو عمل شيء فستبقى آثار و تغيرات سلبية، و يتجرأ العدو علينا و على الإسلام.

ص: 131

الأمر الثاني: أنّ حركة هذا النظام و موفقيته لا تتحقق إلا ببركة التقوى.

وهذه خصوصية النظام الالهي فنظام الحق لا يتقدم إلا بالتقوى، أما نظام الباطل المقابل لنظام الحق فهو شكل آخر، وهناك ثمة اصول و قواعد يجب الالتزام بها أيضا حتى يمكن التقدم.

أما التقوى فهي بمعنى الطهارة و النقاء و الورع و رعاية كل القيم المطلوبة في مجتمع إسلامي عقائدي، أما في جبهة الباطل فهذه الامور ليست لازمة، فهؤلاء لما كانوا غير ملتزمين، فلا يتورعون عن الأساليب الباطلة، و لا تهمهم النتائج القبيحة، فهم يقتحمون، و يتحركون و يفقدون شيئا و يكسبون آخر. أما جبهة الحق فليست كذلك فهي لا تستطيع الوقوف بوجه الباطل و التقدم إلا عند ما تكون مع الله و متحلية بالتقوى فقط لا غير.

يجب المحافظة على أن يكون نظامنا دينيا، نظاما قيميًا و لكن الاستكبار و أياديه و أبواقه يسعون في هذه السنوات الى إقناعنا بعدم فائدة ذلك، و إيصالنا الى حالة الندم فتراهم يكثرون القول بأنّ هؤلاء رجعيون متعصبون، و قد قاموا بعرض الأحكام الإسلامية و شوهاها، و يحسبون أعمالنا الشخصية أو أعمال غيرنا من المسلمين على الإسلام، كل ذلك من أجل أن نرتعب و تزهق نفوسنا، و تسبق منا كلمة، و نقول، نظامنا ليس نظاما دينيا بل هو نظام كسائر أنظمة العالم المختلفة.

لا تعتبروا أنفسكم في غنى عن الدعاء و النافلة و الذكر و التوجه و التوسل و البكاء و الإنابة الى الله تعالى.

لا تقولوا: إننا ما دنا مشغولين بخدمة الناس فلا حاجة لنا بالدعاء، إنما يدعوا

الأشخاص الذين لا عمل لهم. كلاً يا سادة هذا هو أصل القضية، فعند ما لا يكون ذلك نصيح بلا حافظ، فحينما تصطف الوسوس أمامنا ونحن ضعفاء النفس لم تتربّ و حريصون على الدنيا فإننا سننقاد الى هذه الوسوس حتما. إذن من الذي يحفظنا من ذلك، و الى ذلك أشار سيحانه و تعالى بقوله: **قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ (1)**.

فادعوا و صلّوا النوافل و توجهوا الى الله، و اجعلوا لكم في اليوم ساعة بينكم و بين الله، دعوا فيها الأعمال المختلفة و كونوا في انس مع الله و أوليائه، مع ولي العصر عجل الله تعالى فرجه و أرواحنا فداه. و آنسوا أنفسكم بالقرآن و تدبروه.

أنا أحوج منكم الى هذه النصائح فكلنا محتاجون. و هكذا نستطيع تحمل المسؤولية الثقيلة و الأمانة الإلهية التي لم يعطها الله لأحد خلال القرون الطويلة منذ صدر الإسلام و الى وقتنا الحاضر و قد وضعها الله في أعناقكم.

هكذا تتمكن من حمل هذه المسؤولية و إبلاغها هدفها و إلّا أصابنا الخزي دنيا و آخرة(2).

التقوى ضمان تطبيق الإسلام

إنّ أحكام الشرع المقدّس؛ تلي حاجات الناس و تضمن لهم السعادة كما كان و ما زال حتى يومنا هذا. - و بحمد الله - فإن قوانين الجمهورية الإسلامية هي أرقى القوانين و أكثرها انطباقا مع الأحكام الإسلامية. فقوانينها الإقتصادية و الحقوقية و القوانين المختلفة التي لها ارتباط بعلاقات الناس مع بعضهم البعض، كلها قائمة على أساس الإسلام و مستوحات منه.

ص: 133

1- سورة الفرقان: 77.

2- من كلمة ألقاها في بتاريخ 3 صفر 1412 هـ

و يجب أن تكون جهود الحكومة منصبة على إحياء القيم الإسلامية في أوساط المجتمع أكثر فأكثر، و التقوى هي أسمى و أعظم تلك القيم؛ فالتقوى هي التي تضمن لنا مواصلة السير في طريق الإسلام و هي تعني مراقبة النفس بشكل مستمر، و التقوى لا تختص بفئة من الناس.

فعلى كل إنسان - و في أي مكان كان و كل عضو من أعضاء المجموعة العاملة في جهاز الدولة بدءاً بأصحاب المناصب العليا و إنتهاء بالموظفين العاديين، و كل فرد من أفراد الشعب و في أي مكان يعيش - أن يحذر من الخروج عن طريق الإسلام القويم.

فالإسلام وعد بالنصر و القرآن وعد بالتقدم و النجاح في جميع جوانب الحياة.

فالقرآن يصلح دنيا الناس و آخرتهم - كما نشاهد ذلك - خلال هذه الفترة الوجيزة التي حكم فيها الإسلام هذا البلد. فقد انجزت أعمال - من أجل رفاه الشعب - لا يمكن مقارنتها بما انجز في العهود الماضية، و الخدمات التي قدمت للطبقات المحرومة خلال هذه الفترة لا يمكن مقارنتها بما انجز من أعمال و ما قدّم من خدمات قليلة قبل إنتصار الثورة بالرغم من وجود كل هذه المشاكل و العقبات في طريقها فهذا كله بسبب إلتزام تقوى الله و تعاليم الإسلام.

فنهج الإسلام هو نهج السعادة. و المعيار الذي نعرف من خلاله مدى إلتزامنا بالإسلام هو التقوى، و كل فرد يمكنه معرفة ذلك من خلال عمله الشخصي، فالتقوى تعني مراقبة النفس مراقبة مستمرة. فاحذروا أيها الأخوة و الأخوات في جميع الأرجاء أن تتجاوزوا ما يرضي الله سبحانه و تعالى، و لا تتبعوا شهوات النفس فتضلوا عن الطريق الإلهي (1).

ص: 134

الآثار المترتبة على التقوى كثيرة، ولو عرف الإنسان الآثار المترتبة على التقوى في القرآن الكريم، لأدرك أن جميع الأسئلة و الهواجس التي تختلج في ذهنه قد وردت الإجابة عنها.

1 - الفرقان و الوضوح:

و من جملة تلك الآثار هي أن الله يجعل لنا بيانا واضحا في رؤيانا، قال تعالى: **إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا (1)** أي أننا لن يشتبه علينا طريق الحق و الباطل، وإنما سيتجلّى الطريق أمامنا بكل وضوح. و حينما يميّز الإنسان الحق من الباطل يتحرك بشجاعة أكبر.

2 - الرزق:

و من جملة تلك الآثار الرزق قال تعالى: **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (2)**.

ص: 135

1- سورة الأنفال: 29.

2- سورة الطلاق: 2-3.

فلسان هذه الآية المباركة هو لسان عام - طبعاً حينما يقوم الإنسان بمراجعة القرآن الكريم سيرى أنّ هذه الآية نزلت في مورد خاص و جزئي -، ولكن لسانها يشير إلى مفهوم و دليل عام و لا يوجد فيها أيّ تخصيص.

فمضمون هذه الآية يشير إلى أنّ كلّ من يسلك طريق التقوى فإنّ النتيجة سوف تكون بالنسبة له «يجعل له مخرجاً» أي: أنّه سوف لن يصل إلى طريق مسدود في حياته، و هذا الأمر لا إستثناء فيه، و من البديهي أنّ ذلك المخرج الذي توفّره التقوى للإنسان يتناسب مع الهدف الذي يبتغيه ذلك الإنسان.

افترضوا أنّ إنساناً يركب في طائرة أو سفينة و يريد الذهاب إلى مكان ما، فإذا قام ذلك المسافر بإعداد مستلزمات السفر بشكل جيّد فإنّه سيصل إلى هدفه و لن يقع في مأزق، أيّ أنّه سوف لا يبقى في الطريق أو لا يغرق في البحر، و هذا لا يعني أنّه سوف لا يتعرّض لمشاكل السفر في البحر، و لكن إعداد مستلزمات السفر «التقوى» سوف توفّر للإنسان مخرجاً يتناسب مع الهدف الذي يريد الوصول إليه.

فالإمام الحسين عليه السّلام كان أتقى الأتقياء و لكنّه استشهد، فمن الممكن أن يقول شخص: إذن لماذا لم يتوفّر للإمام الحسين عليه السّلام مخرج من المأزق الذي واجهه في كربلاء؟

و الجواب: أنّ الإمام الحسين عليه السّلام لم يواجه أيّ طريق مسدود في تحرّكه، و المخرج و الفرج الذي حصل عليه كان يتناسب مع أهدافه. فهدف الإمام الحسين عليه السّلام من الذهاب إلى كربلاء لم يكن الوصول إلى السلطة، بل إنّّه عليه السّلام و في مثل تلك الظروف الخاصة التي كانت تعيشها الامّة أراد أن يعطي درساً خالداً لتاريخ الإسلام عمّا يجب فعله و إتخاذه من موقف في مثل تلك الظروف التي يتعرّض فيها الإسلام للخطر؛ و لهذا فإنّ الإمام الحسين عليه السّلام حقّق هدفه و نجح في تعليم الامّة ما يجب إتخاذه من مواقف.

إذن لم يكن هدف الإمام الحسين عليه السّلام هو تجنّب الشهادة، فالشهادة كانت تعدّ

فوزاً عظيماً لأمثال الإمام الحسين عليه السّلام.

وبالطبع لو كان هدف الإمام الحسين عليه السّلام هو تجنّب الشهادة لكان يلزمه إتخاذ بعض التدابير التي لو عمل بها - بمعنى أعمال التقوى التي يستلزمها هذا الأمر - فسيكون له مخرج من دون أيّ ريب (1).

وبطبيعة الحال فإن العمل بالمستلزمات يجب أن يكون عن الطريق الشرعي والصحيح؛ لكي يصدق عليه تقوى الله سبحانه وتعالى.

وأنتم في أيّ طريق كنتم سائرين إذا راعيتم الأمور التي قرّرها الباري لهذا الطريق وهذا الهدف فلن تصلوا الى طريق مسدود، ولن يواجهكم أيّ مآزق.

افترضوا أننا نريد إدارة شؤون البلاد على نحو يمكن فيه تأمين دنيا الناس وآخرتهم؛ لأننا لا نريد إصلاح الدّنيا للناس فقط، بل نريد تأمين الدّنيا والآخرة معاً، فلو كنّا نريد إصلاح الدّنيا للناس فقط ولم يهمنّا أمر آخرتهم لم نكن نواجه بعض المشاكل التي نواجهها الآن، و لكّانت مهمتنا أيسر مما عليه الآن.

ولكن حينما يريد الإنسان الحفاظ على دين الناس وإعمار دنياهم فسوف تكون مسؤوليته أكبر وأثقل، ولكن الباري عزّ وجلّ بيّن لنا سبيل حمل هذه المسؤولية الثقيلة.

ومن البديهي أنّ الوصول الى الهدف المنشود من خلال هذا الطريق سيكون أبطأ؛ لأنّ العمل سيكون أصعب وتعرضه مشقات أكبر، و لكن حينما نقوم برعاية الاسس اللازمة لطبيّة هذا الطريق فإننا سوف لن نصل الى طريق مسدود، أي أنّنا سنصل الى الهدف من دون ريب.

صحيح أنّ زمن الوصول إلى الهدف المنشود سيكون أطول ويستلزم تحمّل مشقات أكبر و غصّ النظر عن شهوات و لذائذ أكثر - وهذا أمر لا شكّ فيه - إلاّ أنّ

ص: 137

1- وقد بيّن سماحته تفصيل حركة الإمام الحسين عليه السّلام و ثورته في كتاب مستقل قيد الإنجاز.

تقيّدنا بمقرّرات هذا الطريق سوف يوصلنا إلى الهدف المنشود حتماً، فالموقّية و السعادة تمكن في طريق يراعي فيه الإنسان تقوى الله عزّ و جلّ .

و بعد ذلك تقول الآية الكريمة وَ يَرزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، ففي مثل هذا الطريق تختل - في كثير من الأحيان - المعادلات الماديّة السائدة التي يخطّط لها الإنسان بواسطة العقل المادي فقط. يعني أنّ الله سبحانه يفيض على الإنسان السائر في هذا الطريق و يعينه بطريق لم يكن يحتسبه أبداً.

و بعد هذا تقول الآية المباركة وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ، أي لا يأخذكم العجب، فإن الإنسان إذا ما توكل على الله فإن الله سوف يكفيه و ينزل عليه العون و المساعدة(1).

و من الطبيعي أنّ رزقكم لا يعتبر رزقا خاصا بكم؛ لأن كل واحد منكم يمثل قطاعا واسعا من أبناء هذه الأمة و هذا البلد. رزقكم هو الذي ييسّر لكم عملكم و يوفر أمامكم الإمكانيّات. و قد يجعل الله بركته أحيانا في المال القليل، و قد تسلب البركة أحيانا من الأموال الكثيرة و من الدخل الوفير. و لكن حينما يكون الإنسان تقياً و يعمل لله بإخلاص، يبارك له الله في عمله.

انظروا كم أنجز في فترة الحرب - التي كان بعضكم يتبوأ خلالها مناصب حسّاسة - من أعمال كبيرة، على الرغم من صعوبة تلك الظروف و مع ما كنّا نتعرّض له من قصف معاد. ففي مدينة طهران لم يكن باستطاعة أيّ إنسان أن يمكث ساعة من ساعات الليل و النهار و هو مطمئن البال من عدم سقوط قذيفة على غرفته. و لكن في مثل هذه الظروف استطاعت الحكومة، و مجموعة فاعلة من أمثالكم بفضل سعيها و علو همّتها و إيمانها و اتكالها على الله أن تقدم أعمالا كبرى و بمداد خيل ضئيلة جدا، و حتّى أقل ممّا كانت عليه في السنة الماضية. كانت هناك بطبيعة الحال مشاكل جمّة،

ص: 138

1- من كلمة ألقاها بتاريخ 22 ربيع الأوّل 1415 هـ

ولكن لم تكن هناك توقّعات بحلّها على هذا النحو، ولكن تمّ حلّها و سارت أمور البلد على ما يرام وأحرز بعض التقدّم الى أن وصل الى مرحلة البناء. و مجرد أن تستطيع الحكومة و الشعب خوض تلك التجربة العصبية و الوصول الى مرحلة البناء يعتبر ذلك بحدّ ذاته عملاً جباراً.

إن الطاقات المتوقّرة لديكم طاقات هائلة مصدرها التوكل على الله و الاعتماد عليه. و نحن إذا جعلنا الله نصب أعيننا و عملنا بدافع أداء الواجب، فإن البارئ تعالى سيمنّ علينا بلطفه و فضله و كرمه و عونه من حيث لا نحسب. و أنتم تلاحظون أثناء ظروف العمل العادية كيف تتفتح أمامنا في بعض الأوقات منافذ لم تكن في حسابنا، و لم نبذل من أجلها أيّ جهد، و نحن نعلم بحقيقة ذلك، إلا أنّ البعض قد يتصور من بعيد أننا نحن الذين حققنا هذا الإنجاز أو ذلك على الصعيد العالمي أو على الصعيد الاقليمي أو المحلي. و نحن حينما نجلس سوياً ندرك أن ذلك كان بعون الله تعالى و بسبب إلتزامنا بالتقوى.

يجب أن نؤمن بوجود العون الالهي الذي يأتي من حيث لا يحتسب الإنسان.

و هذا العون ناجم عن التوكل و الإيمان الذي يراه الله تعالى في هؤلاء المسؤولين.

و الإخلاص الذي يراه الله لدى الشعب و لدى المسؤولين العاملين في خدمته فيه منفعة لهم و سيعود أثره عليهم بالعون و المدد الإلهي(1).

3 - إستشعار حلاوة الحياة:

و من آثار التقوى فتح بركات الله تعالى، و ذلك أنّ كل من يطمع في قطع شوط الحياة على طريق معبّد خال من المطبّات و لا يجابه فيه أيّ عائق أو عارض فهو في الحقيقة إنسان ساذج و سيسقط ذات يوم على رأسه و يتحطّم، فطريق الحياة طريق

ص: 139

1- من كلمة ألقاها في: 12 جمادى الأولى 1420 هـ - طهران.

عسير و حافل بالمنعطفات و العراقيل، و فيه مشاكل تزداد حجما و خطورة مع كل خطوة يخطوها المرء باتجاه غاياته الإلهية و الإنسانية النبيلة، و قد تكون بعض تلك المشاكل أجسم ممّا عرض له في السابق، و قد يكون بعضها الآخر كسابقاتها أو أقلّ منها. و معنى هذا أنّ طريق الحياة لا يخلو من المعاناة. و ينبغي أن لا يرتجى المرء سبيلا مهيعا خاليا من المصاعب و المتاعب.

أمّا المهم بالنسبة للإنسان فهو اليقظة و الفطنة و عدم إضاعة الهدف و عدم الإنحراف عن السبيل، و العزم الراسخ على بلوغ الآمال المنشودة، و هذه الخصال هي التي تسمّى في العرف الإسلامي و في الثقافة القرآنية ب (التقوى). و لو تدبّر المرء القرآن لرأى أن كل الخيرات مترتبة على التقوى؛ سواء الخيرات الأخروية و المعنوية و الروحية، أم الخيرات المادية و الإجتماعية قال عزّ من قائل: **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ (1)**. و التقوى ينجم عنها إستشعار حلاوة الحياة، و نيل العزّة، و يأس العدو. و هذه هي حالة المراقبة التي يتحدّثون عنها (2).

4 - التقوى تمنع الفساد:

إشارة

التقوى معناها المراقبة التامة لكل الأعمال و التصرفات و السلوك، و أن لا يترك المرء ذاته على هواها. و هذه المراقبة فيها بركات كثيرة، و هي التي تحافظ على مسيرة الإنسان على الصراط الإلهي المستقيم، و كل شيء يسهل مناله على أثر التقوى، هذه حقيقة قرآنية، و لو أنّ أهل التحليل و البرهنة من أهل المعرفة و المطلعين على هذه القضايا درسوا هذه الحقيقة لخرجوا بإستدلالات عقلية تبرهن صحّتها. و ليس كلامنا

ص: 140

1- سورة الأعراف: 96.

2- من كلمة ألقاها في: 27 / ذي الحجة 1419 هـ - طهران.

هذا رجما بالغيب، بل تلك الحقيقة مما يمكن تبيينها و البرهنة عليها، بل قد بينت شيئا ما في الموضوع المناسب و لست هنا بصدد.

التقوى تكون مدعاة لنجاح الفرد أو المجتمع في كل ميدان يرد؛ قال تعالى:

... وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (1) أي أن عاقبة هذا المسار التاريخي و العالمي للمتقين، و الآخرة أيضا من نصيب المتقين، و حتى عاقبة هذا العالم الدنيوي للمتقين. و لو لم يكن سماحة الإمام الخميني رجلا تقيا، لما استطاع أن يكون على هذه الدرجة من البراعة و قوّة الشخصية فيصبح قطبا لمثل هذه الحركة الجبّارة التي انتهت إلى هذه الغاية، فتقواه هي التي بلغت به هذا المبلغ، و هي التي حفظت شخصيته.

أي نظام إذا تحلّى زعماءه بالتقوى، فلا يجد الفساد إلى ذلك النظام سبيلا، و إذا كان قادة جبهة الحرب يتصرفون بالتقوى بما تعنيه من المراقبة الدائمة لأنفسهم، لا تقع في جبهتهم أية خسائر.

و لا يعني هذا أن العدو - عند اختلال ميزان القوى - لا يقدر على إحراز أي إنتصار، أبدا؛ فهو قد ينتصر في مثل هذه الحالة، إلا أن التقوى تقود المرء في تلك الحالة أيضا إلى اتباع نفس العمل الذي يمارسه في حالة تعادل القوى. أي أنكم إذا لم تغفلوا و لم تتصرفوا بأسلوب مغلوط، و أدبتم ما ينبغي عليكم في أوانه، لا تقع عند ذاك أية خسارة (2).

إنّ الإنسان يصاب بالفساد في كافة أرجاء الدنيا، و إن كل إنسان لا يراقب نفسه يصيبه الفساد.

من هنا يأتي التركيز على التقوى في القرآن و نهج البلاغة و الأحاديث الشريفة، فالتقوى كما ذكرنا إنما تعني مراقبة النفس، لئلا يفسد الإنسان و ينحرف، و إنّ كل

ص: 141

1- سورة الأعراف: 128.

2- من كلمة ألقاها في: 14 جمادى الأولى 1418 هـ

إنسان له القابلية على الإنزلاق والفساد إن لم يراقب نفسه. وبناء على هذا فلا بد من احتمال وجود الفساد هنا أو هناك، وفي بعض الأماكن من الواضح وجوده(1).

إن مكافحة الفساد لمن أبرز الأمور المهمة، وإن مكافحة الفساد لا تقتصر على البعد الأخلاقي البحت، بل إن إدارة البلاد تتوقف على مكافحة الفساد. إن الفساد في المجتمع يشبه حوضاً للسباحة يستمد ماءه من عدة آبار عميقة بوسيلة أنابيب طويلة بشكل مستمر، ولكنه لا يمتلئ. فعند ما تتفقدون ذلك الحوض تجدون أنه مصاب بالتشقق في جدرانه وبالثقوب في قاعه، فمهما صببتم فيه من الماء تسرب من الناحية الأخرى، ومهما مددتم تلك الأنابيب بالماء فإنه لا يصل أساساً. وهذا هو شأن الفساد في المجتمع.

إن الفساد المالي هو كالجدام والايديز والسرطان، فلا بد من مكافحته.

إن نقطة واحدة من الفساد تشوه كافة أجزاء البدن. فعند ما يصاب البدن بالمرض ويشعر بالألم - كتسوس الأسنان مثلاً - فإن الإنسان يمضي ليلة ساهراً بلا نوم. إن القلب سليم. وكذلك المعدة والرئتان والدورة الدموية، إلا أن سناً واحداً غير سليم لا يجعل الإنسان يذوق النوم. وهكذا هو الفساد، فلا بد من مكافحته بصورة جادة، فإذا ما أراد الإنسان أن يكافح الفساد، فعليه أن يكون حذراً بالدرجة الأولى من أن يستولي عليه الفساد(2).

كيف تكافح الفساد

وقد تقدم الكلام عن أصناف وأنواع الفساد، ونريد هنا أن العمل لا ينجز بالتوجيهات اللفظية فقط، بل لا بد من أن تقف سلطة النظام بوجه تيار الفحشاء

ص: 142

1- من كلمة ألقاها في: 17 جمادى الثانية 1423 هـ - طهران.

2- من كلمة ألقاها في: 1383/3/27 هـ. ش، 28 ربيع الثاني / 1425 هـ

و الفساد؛ فلا تسمحوا لأهواء حفنة معدودة و مجموعة صغيرة و قليلة في داخل المجتمع أن تكون سببا في إغواء عقول الشباب من الفتية و الفتيات، و المؤمنين من الرجال و النساء الذين لا دافع لهم يحدوهم نحو الفساد.. قفوا بوجه مثل هؤلاء.

و المسؤولية ملقاة على عاتق جميع المسؤولين في هذا المجال، فلا تسمحوا لحفنة من المتشدين باسم الحرية - و في الحقيقة جدير بنا البكاء على الحرية لما يجري من سوء استغلال لاسمها - بإشاعة المنكرات و الفحشاء و التحلل في المجتمع، إذ إن عاقبة ذلك زرع روح التشاؤم لدى البعض أزاء النظام كما هو الحال في بداية الحركة الدستورية(1).

5 - معرفة المساوىء:

من وصية النبي صلى الله عليه و آله لأمر المؤمنين عليه السلام: «يا علي عليك بالصدق و لا تخرج من فيك كذبة أبدا.

و لا تجترأ على خيانة أبدا.

و الخوف من الله كأنك تراه.

و ابذل مالك و نفسك دون دينك.

و عليك بمحاسن الأخلاق فاركبها.

و عليك بمساوىء الأخلاق فاجتنبها(2).

إن كثيرا من مساوىء الأخلاق لا يلتفت إليها، فأحيانا إذا قال شخص لآخر: «أهلا بك» مثلا يتوهم أنه يقوم بالتلطف و إظهار المودة و المداراة معه، و الحال أن هذه الكلمة خرجت منه تملقا أو تشجيعا لمن يرتكب الحرام.

ص: 143

1- من كلمة ألقاها في: 12 جمادى الأولى 1422 هـ - طهران.

2- تحف العقول، مواظ النبي صلى الله عليه و آله، صفحة: 6.

فإذا أردنا أن نتحلّى بمكارم الأخلاق ونجتنب عن الأعمال السيئة و مساوىء الأخلاق فعلينا قبل ذلك أن نعرفها.

و طريق معرفتها هو التقوى، و التقوى تعني الدقّة في الكلام و الأعمال لئلاّ ينحرف الإنسان عن الطريق المستقيم و طريق الخلاص و النجاة(1).

و قال النبي الأعظم صلّى الله عليه و آله: «أيّها الناس إنّ لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم.

و إنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم.

إنّ المؤمن بين مخافتين:

أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه.

و أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه»(2).

هناك نوعان من الخوف محيطان دائما بالمؤمن:

أحدهما الخوف من الماضي فإنّه لا يعلم ما ذا سيفعل الله بما مضى من أعماله السابقة. فما أكثر الأعمال التي قمنا بها و صارت في طيّ النسيان عندنا و لكن الله أحصاها جميعا، قال الله تعالى: أَحْصَاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ(3).

و الآخر الخوف من المستقبل فإنّ المؤمن لا يعلم المصير و النهاية التي قدّرت له.

و فائدة هذين الخوفين هي التوبة من الماضي و التيقّظ و الإنتباه و الإلتفات للمستقبل و هذا هو معنى التقوى أيضا(4).

ص: 144

1- كلمات مضيئة: 31.

2- تحف العقول، صفحة: 27.

3- سورة المجادلة: 6.

4- كلمات مضيئة: 132.

من وصية النبي صلى الله عليه وآله: «من أحب أن يكون أعز الناس فليتق الله.

و من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله.

و من أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده»(1)

ذكرت في القرآن الكريم آثار للتقوى من قبيل قوله تعالى: ... وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (2).

و من آثار التقوى أيضا ما جاء في هذه الرواية أي العزة.

ثم إن ما في يد الإنسان محدود و لكن ما في يد الله كل عالم الوجود، قال الله تعالى:

... وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (3).

و الإنسان إذا كان عنده ثقة و اطمئنان بالله تعالى فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَكْفِيهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، قال الله تعالى: أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ (4). (5).

ص: 145

1- تحف العقول، صفحة: 27.

2- سورة الطلاق: 2-3.

3- سورة الحجر: 20.

4- سورة الزمر: 36.

5- كلمات مضبئة:.

إشارة

علينا أن نعرف كيف نترجم التقوى بنية تطبيقها عمليا، لا سيما بالنسبة لأولئك الذين يتحملون المسؤوليات في المجتمع ويتبوءون موقعا في الحكومات، فلقد تمثلت العدالة الفردية بأعلى درجاتها في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، وذاك هو ما نعبر عنه بالتقوى، تلك التقوى التي كان عليه السلام يجسدها في عمله السياسي والعسكري وفي توزيعه لبيت المال واستفادته من مواهب الحياة واستثماره لبيت المال، وفي قضائه وجميع شؤونه؛ فالعدالة الفردية والذاتية للمرء تمثل في واقع الأمر سندا للعدالة الاجتماعية وصاحبة التأثير في العدالة على صعيد الحياة الاجتماعية.

ليس بمقدور من يفتقد للتقوى في ذاته وفي عمله، وهورهين أهوائه النفسية وأسير للشيطان، الادعاء بقدرته على تطبيق العدالة في المجتمع، فذلك محال؛ فمن أراد أن يكون مصدر إشعاع للعدالة في حياة الأمة، فلا بد له - والحال هذه - أن يلتزم التقوى على صعيد نفسه أولا؛ تلك التقوى التي أشرت لها سابقا، والتي تعني المراقبة للحيلولة دون الوقوع في الخطأ.

وهذا لا يعني أن الإنسان لن يخطئ، كلا فلا مفر لغير المعصوم من ارتكاب الخطأ، وما هذه المراقبة إلا صراط مستقيم وسبيل للنجاة تنتشل الإنسان من الغرق وتمنحه القوة، والذي لا يمارس الرقابة على نفسه ويعاني من فقدان العدالة والتقوى على صعيد القول والفعل وحياته الشخصية لا قدرة له على أن يكون مصدرا للعدالة الاجتماعية في أوساط المجتمع (1).

ص: 146

1- من كلمة ألقاها في: 20 ذي الحجة 1421 هـ - طهران.

لكن متى ستنعم الدنيا بالعدالة و التقوى ؟ عند ما يتحلى صناع القرار في العالم - وهم زعماء الدول وقادة الشعوب - بالعدالة و التقوى، و إلا فلو ابتعد مسؤولو أي بلد أميالا عنهما فلن يتحقق هنالك أي مفهوم للعدالة و التقوى. و بناء على هذا، فلا بد من صلاح الأساس، و ذلك ما يتمثل في النظام و الحكم الذي ترسي قواعده على أساس الأحكام الإلهية و يتمتع المسؤولون فيه بالعدالة و التقوى، و إذا ما أردنا لدينا و دينانا الخلاص من الأزمات فعلينا التمسك بهذا المبدأ، و هو إرساء قواعد العدل و التقوى؛ و لكن من هم أول المتضررين جراء هذا التحرك و التغيير الإجتماعي العملاق ؟ إنهم الذين بسطوا سلطتهم الغاشمة على البلاد الإسلامية و تحكّموا على رقاب الشعب متغرسين ناهبين لثرواته المادية و المعنوية، فكان هؤلاء أول من انبرى لمعاداة هذا التحرك و التغيير، و هم من نسميهم في قاموس الثورة الإسلامية "الإستكبار العالمي"؛ فنظرا للتقارب و التواصل القائم بين شعوب و دول العالم في الوقت الحاضر و ضيق حلقات التباعد بينها؛ فإن الناهبين للثروات في العالم لا يكتفون بما لديهم، بل يحاولون الإستيلاء على الدنيا بأسرها، و إنكم تشاهدون ما تمارسه القوى الإستكبارية اليوم بغية مدّ نفوذها على العالم بشعوبه و دوله، و إذا ما نجح شعب في طرد هذه السلطة الجهنمية الشيطانية من بلده و نهض لإقامة الحق و العدل فإن هذه الدوائر العالمية ستقف في مقدمة من يناصبونه العداة؛ و يفعلون ما وسعهم للحيلولة دون نجاح هذا الشعب في تقويض بساط الظلم و الجور، كما حصل أثناء مرحلة الثورة - و هذا ما يتذكره المعاصرون للأحداث آنذاك و لا زالوا شهودا عليه - حيث وقفت هذه الدوائر بوجه حركة الشعب جاهدة لثني الشعب الإيراني عن مواصلة طريقه هذا، سواء عبر التوسل بالسلاح من مدافع و دبابات أو عبر الحرب الإعلامية و عمليات الإغواء.

فلئن تمكنوا من ثني الشعب يكونوا بذلك قد بلغوا مرامهم و مضوا في اغتصاب السلطة، وإلا فلو نجح الشعب - أي شعب - في استئصال الظلم والتعسف والطغيان عن بلاده إذ ذلك ستتغير طبيعة العداء الذي تبديه الدوائر الإستكبارية والعالمية، حيث ستنصب جهودهم على الحيلولة دون بلوغ هذا الشعب أهدافه وطموحاته المتمثلة في استتباب العدالة والتقوى في البلاد(1).

8 - إصلاح الأعمال:

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (2).

الأيام والساعات من الاوقات التي يجب علينا حقاً أن نغتنمها.

إنّ الكلام الجوهرى والمهم - في نظري - هو أن نفكر بمسؤوليتنا التي تعدّ أمراً في غاية الخطورة وهو في ذات الوقت له قيمة أيضاً، فلنحافظ عليها ونخرج منها ظافرين وليكن هذا هو سعينا، وهذا ما لا يتيسر إلا بالالتزام التقوى، فإذا ما التزمنا التقوى فسيصلح عملنا وسيقدم وفقاً للشروط الضرورية وبعيدا عن الشوائب وحالات الخلل التي تنجم عن فساد العمل و سيعطي ثماره.

من شأن التقوى أن نحسن الفهم ونحسن القول والعمل، فعند ما يحسن المرء الفهم والعمل والقول فإن النجاح حتمي ولا مناص منه، و إنّ أكثر ما وردت الوصية به في القرآن والروايات بالنسبة للمؤمنين هي التقوى، ونحن الذين نحتاج للتقوى أكثر من سائر الناس لأن مسؤوليتنا ثقيلة وإنّ جانباً ونصيباً من الاقتدار الوطنى هو بأيدينا، فلو لا التقوى ربما لا يوظف هذا الاقتدار الذي هو ملك الشعب ويقع جانب منه في يد

ص: 148

1- من كلمة ألقاها في: 25 شوال 1422 هـ - طهران.

2- سورة الأحزاب: 70-71.

كل من الجمع الحاضر، في مساره و موضعه الصحيح. بناء على هذا فإن أهم قضية بالنسبة إلينا هي التقوى(1).

9 - التقوى ضماناً من الإنحراف و الزلزل:

أوصيكم بالحدز من الزلزل يقول الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية في دعائه لجند الإسلام، و هو من دعائه لأهل الثغور «اللهم صلّ على محمد و آله و أنسهم عند لقائهم العدو ذكر دنياهم الخداعة الغرور، و امح عن قلوبهم خطرات المال الفتون و اجعل الجنة نصب أعينهم»(2).

إن المال خطير و فتون و هو يصيب الكثيرين بالانحراف و الزلزل، و هناك من عظماء التاريخ من جعله المال يشعر بالدوار عند ما بلغ القمة فأصيب بالإنحراف، فعليكم بالحدز الشديد من فتنة المال و المادة.

فما هي الكلمة التي استخدمها الشرع المقدس لحالة الحدز هذه ؟ إنها التقوى فعند ما يوصي القرآن بالتقوى في جميع آياته، فإنه يعني الحدز و مراقبة النفس. إن الطمع من صفات النفس الإنسانية(3).

10 - المغفرة و الهداية:

إشارة

لو أننا جميعاً حافظنا في مسيرتنا العامة - و منها نشاطنا أثناء المسؤولية - على رعاية التقوى و الشعور بالمسؤولية، فإنّ الله تعالى سيشملنا بتوفيقه و مغفرته يا أيّها

ص: 149

1- من كلمة ألقاها في: 7 / رمضان / 1424 - طهران.

2- الصحيفة السجادية: 133 (142).

3- من كلمة ألقاها في: 28 / ربيع الثاني / 1425 - طهران.

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَ يُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (1).

و إذا تمسكنا بالتقوى فإن الله سيصلح أعمالنا و يهدينا إن علينا للهدى (2).

و لو أننا لم ننحرف عن التقوى و التزمنا بأوامر الله و نواهيه و راقبنا أنفسنا، فلا شك في أن الله تعالى سيهدينا و يغفر لنا ذنوبنا و يغفر لكم ذنوبكم .

و إذا صدر منّا ذنب جهلاً أو سهواً فإن الله سيغفره لنا و يستر علينا.

إذا فالتقوى ملاك قيم يتحقق فيه النفاضل أمام الله، و من خلالها نميز الأعمال - الجيدة المنتجة من غير المنتجة - و ما ينبغي فعله أو تركه، فالمعيار هو التقوى.

إذا تمسكنا بالتقوى فإن قولنا و فعلنا سيكون بهداية الله و عونته على المسار الصحيح. إذا فالتقوى هي الأول و الأخير في جميع أعمالنا (3).

التقوى مصدر الهداية

إن وصية أمير المؤمنين و أهل بيته عليهم السلام بتقوى الله و اتباع رضوانه و الإلتزام بما جعله الله تكليفاً في كل الأمور من أجل سعادتنا و صلاح ديننا و دنيانا، فلو التزم المتكلم بتقوى الله هداه الله في قوله، و إذا ما التزم المستمع و العامل بتقوى الله عرف الله عزّ و جلّ الحق و الحقيقة الى قلبه و هدى قواه و قدراته صوب تحقيق كل ما هو حق و عدل، فالتقوى مصدر الهداية و الفرج و مصدر الاقتدار و العزيمة و الإرادة الإنسانية، فلنغتنم وقتنا من أجل الإلتزام بالتقوى التي ليست سوى مراقبة النفس، فلنراقب قولنا و فعلنا و معاشراتنا و مواقفنا، و لنحذر لئلا تتغلغل إرادة الشيطان في مواقفنا و أعمالنا و أفكارنا.

ص: 150

1- سورة الأحزاب: 71.

2- سورة الليل: 12.

3- من كلمة ألقاها في: 1384/3/8 هـ ش - 20 ربيع الثاني 1426 هـ - 29 مايو 2005 م.

هذه هي التقوى وإنَّ الله ليعين كلَّ من يتمتع بهذه المراقبة، لا أنه لن يرتكب الخطأ ولا أنه يصبح معصوما عن الذنب والمعصية، ولكن الله يعينه ويهديه(1).

11 - إزالة الشدائد والنواقص:

إن الدنيا والآخرة تحت ظلَّ التقوى، هذا هو درس أمير المؤمنين عليه السَّلام، ونحن حاليا في أمسِّ الحاجة إليه، ولسنا بحاجة إليه في هذا اليوم فقط، وإنما نحتاجه دائما، إلا أن هذه البرهة الزمنية مهمة بالنسبة لنا.

إن الأصول والحقائق الإنسانية لا تتغير بتعاقب الأزمنة، فالإنسان ينشد العدالة منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا وسينشدها إلى نهاية العالم، كما أن الناس على مر الأزمنة بحاجة إلى المسؤولين الأوفياء؛ الذين يخدمونهم ويعملون من أجلهم بصدق، فهذا ما لا يمكن له أن يتغير.

إن درس أمير المؤمنين عليه السَّلام في نهج البلاغة ناظر إلى هذه الأمور، لقد قام أمير المؤمنين عليه السَّلام ببيان هذه الأصول وثابت الحياة البشرية على طول التاريخ وهذا هو ما نريده ونصبو إليه، وإلا فنحن لا نقول بالاستمرار على السفر بوسائط النقل الساندة في عهد أمير المؤمنين عليه السَّلام، فبالإمكان حاليا الاستفادة من الطائرة، وربما استحدثت بعد مدة واسطة أسرع من الطائرة، وقد كان البريد يستغرق آنذاك مدة شهرين من الزمن كي يصل إلى غايته، في حين أن بإمكانكم حاليا الاتصال بجميع نقاط العالم عبر شبكة الأنترنت لحظة بلحظة.

فهذه متغيرات، والحال أن العدالة والصلاح في المسؤولين شيء ثابت، وهكذا عدم التبذير في ما بأيدينا من أموال الناس، فهذه لا تقبل التغيير، فإذا أمكننا بتوفيق الله بلوغ التكامل في هذا الاتجاه وواصلنا الخطوات التي قطعناها حتى الآن، فعندها

ص: 151

ستتعم بلادنا الإسلامية بالخير والعدل والغزوة والتقدم.

ولو كنت أنا وأمثالي من الصادقين فسيغدو بإمكاننا إنشاء مجتمع صادق.

ولو لم تستول علينا الأهواء فيمكننا إنشاء مجتمع متحرر من الأهواء، ولو كنا شجعانا أمكننا إنشاء مجتمع شجاع، ولو كنت وأمثالي في أسر الأهواء والمطامع، وكنا أذلة خائفين لما أمكننا إنشاء المجتمع على الفضائل.

ويتوقف ذلك على حظ الإنسان في العثور على أستاذ جيد ليعمل على تربيته من الناحية الفردية.

الدولة الإسلامية هي التي تشيء بلدا إسلاميا، وإذا أقيم البلد الإسلامي أقيمت الحضارة الإسلامية؛ وعندها ستعم الثقافة الإنسانية أجواء المجتمعات قاطبة.

وكل ذلك يتأتى من خلال التقوى العملية، و مراقبة النفس و تقوى الفرد و الجماعة و الأمة.

ولو كانت الأمة الإسلامية تقيّة أمكنها التحرك في الأزمات، و تغلّبت على المشاكل و لم تتغلب المشاكل عليها.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوّها»(1).

فلو أن فردا - وأقول: ولو أن شعبا - اتخذ من التقوى طريقا له و اتقى فسوف تباعد عنه المشاكل حتى لو كانت قريبة منه، «و احلّولت له الأمور بعد مرارتها، و انفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها و اسهلت له الصعاب بعد انصابها»(2)، و هذه هي الحقيقة.

إن الشعوب المسلمة ليس لديها حاليا ما نقوله تجاه القوى العالمية، فلا تمتلك علما كافيا و لا إبداعا أو تقدما، و لا مهارة في المجالات السياسية المختلفة، فلما ذا نحن متخلفون؟ لأننا تركنا التقوى، و هذه هي الشدائد التي ترتفع من خلال التقوى(3).

ص: 152

1- نهج البلاغة: 174/2 خ 198.

2- المصدر السابق.

3- من كلمة ألقاها في: 1384/5/28 هـ ش - 1426/7/13 هـ ق - 2005/8/19 م.

إشارة

إنّ فلسفة و حكمة خلق الإنسان هو التكامل، و التكامل مرتبط و مرهون بالمعرفة و العبادة لله تعالى، و العبادة النابعة و المتحرّكة من القلب و الروح تساعد الإنسان في وصوله إلى هدفه النهائي(1).

و من الطبيعي أن التخلق بالأخلاق الحسنة يوجب التسامي و التكامل المعنوي و النفسي و المعرفة الأفضل، و هذا من مراحل الإنسان الكامل - و نحن غير قادرين على إدراك ذلك بشكل صحيح، و إنّما يسمع الإنسان أشياء من الأكابر و أهل المعرفة - المرحلة المتعلقة بنا حاليا هي مرحلة الأخلاق.

و لقد كان حقا ما قاله الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله: «إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»(2). (3).

إنّ من خصائص الدين الإسلامي المقدّس - على الأخص الفكر الشيعي الذي يمتاز بعدة أمور - إحتواءه على جميع العوامل الضرورية لتكامل الفرد و المجتمع الإنساني؛ و هذا شيء مهم جدّا. فقد تعرض على البشر ثقافة أو حضارة أو عقيدة، و التي قد تحتوي على نقاط إيجابية تؤدي إلى تفجير الطاقات الكامنة عند البشر و تحريك قابلياتهم فيعملون و يبدعون و يبنون و يستثمرون و يعمّرون العالم، إلا أنّ في هذه العقيدة خللا يؤدي بالناس الذين حصلوا على منافع هذه العقيدة إلى

ص: 153

1- كلمات مضيئة: 190.

2- بحار الأنوار: 210/16.

3- من كلمة ألقاها في: 27 رجب 1417 هـ

التعرض لمختلف الأضرار والصعاب، و أحيانا تكون الأضرار أكبر من المنافع.

المثال البارز على ذلك التفكير الغربي الراهن و الثقافة الرأسمالية و الحرية الفردية و العلمانية الشائعة في الغرب.

عليكم يا من تبّلغون الدين و القرآن أن تدققوا في هذه الامور كثيرا.

و حينما نذكر الثقافة الغربية لا نقول إنّها فاسدة و منحطة من ألفها إلى يائها، فقد ذكرنا الكثير عن الغرب و الغزو الثقافي و... و ذلك لا يعني أنّ ثقافة الغرب بأجمعها فاسدة و قبيحة، و إلا لرفضتها الشعوب الغربية نفسها و لما تحملتها منذ البداية، بل هناك بعض المواطنين الإيجابية في هذه الثقافة، قد خدعت الناس و بهرتهم و جذبتهم إليها.

و المثال البارز لهذه المجتمعات يرى بوضوح في المجتمع الأمريكي، فهناك توجد ثقافة الغرب الرأسمالية و ما يدعوه الغربيون أنفسهم بالليبرالية، كما توجد في هذه الثقافة و هذه الحضارة و ما يسمونه بالآيديولوجية امور إيجابية، فهي تدعو الناس إلى السعي و العمل و مراعاة الدقة في الوقت و الطاقات الإنسانية.

و لكن ما هي نتيجة هذه الثقافة بما فيها من الإيجابيات؟ النتيجة هي ظهور مجتمع غنيّ بالثروة و التطور و العلم و التكنولوجيا و هي الامور التي بهرت أعين الشعوب الغربية و مفكرّيها و ارتضاها الجميع منذ قرنين أو ثلاثة - سواء في أمريكا أو أوروبا - و أعجبهم هذا الاسلوب المعيشي و هذه العقيدة و الثقافة و هذه الأفكار، و لكن لم تتوفر في هذه الثقافة عوامل الحفاظ على التكامل الحقيقي للإنسان، فقد أغفلها هؤلاء و لم يلتفتوا إليها.

فمثلا لو صنعتم خزّانا للمياه لتوفّروا للناس المياه الصالحة للشرب و أحكمتم جدران هذا الخزّان و سدّدتم جميع نوافذه و تركتم منفذا واحدا لدخول الماء فيه و أحكمتم هذا كله و لم يبق لديكم قلق من هذه الناحية، إلا أنكم لم تلتفتوا إلى أنّ هذا الماء سيتسّم بسبب مجاورته لمعدن أو مادة معينة. أجل، سيتجمّع الماء و سيكون

باردا زلالا، وسيشعر الإنسان باللذة حينما يشربه إلا أنه ملوث بالجراثيم والديدان.

فالذي أعد هذا الخزّان لم يلتفت إلى هذا الجانب وإنما التفت إلى جوانب أخرى فقط.

كذلك أغلب العقائد البشرية من هذا القبيل، حتى العقيدة الرأسمالية، فلقد شاهدوا الجوانب التي تحثّ الإنسان على العمل وبذل الجهد والتطور والتكامل المادي والثروة والعلم وما إلى ذلك من الأمور - وهي صحيحة - إلا أنّهم لم يلاحظوا الجوانب الأخرى.

فالمجتمع الذي ترتفع فيه ناطحات السحاب وتزداد فيه الثروات... ومع ذلك ينتشر فيه الفقر والبؤس بين اناس كثيرين وفيه من يموت جوعا وفيه الإضطهاد.

والأسوء من هذا كله الفساد الشامل الذي دخل حتى إلى منازل الذين بهرتهم هذه الثقافة، فنغص عليهم حياتهم.

إذن فقد تحوّل هذا إلى شيء ناقص وقيبح.

إنّ أهليّة العقيدة هي في توفّرها على جميع العوامل، وإلا فعالمية العقيدة جيدة ويمكنها غزو العالم إلا أنّها لا تتمكن من الحفاظ عليه، و بإمكانها أن تحافظ على الثروات الطبيعية ولكنها لا تستطيع أن تحافظ على الطاقات الإنسانية، و بإمكانها أن تحرز تقدما ماديا إلا أنّها لا تحرز تقدما معنويا، و بإمكانها إقرار المساواة بين الناس - كالعقيدة الشيوعية - ولكنها لا تتمكن من القضاء على العنصرية والتمييز الطبقي بين الطبقات الراقية.

لقد عمد الشيوعيون إلى تخصيص المئون وقضوا على الثروات الخاصة ليتساوى الناس! فالذي كان ثريا انتكس و تساوى الجميع، أي غدا الناس فقراء بأجمعهم، وفي موضع آخر قضوا على الأغنياء لينتفع الفقراء، وعلى كل حال هم يدعون اليوم أنهم ساووا بين الطبقات الفقيرة.

إنّ ميزة الإسلام إنّما هي في اشتماله على جميع عوامل التكامل الإنساني المادي أو المعنوي، ففي الإسلام هناك: خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً (1) وَقُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ (2).

و الإستفادة من الثروات الماديّة و العمل و السعي، و تقبيل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ يَدِ الْعَامِلِ، و عمل أمير المؤمنين (عليه السلام)، و هذا كله يشير إلى شيء، و كذلك فيه هذه الحقيقة و هي أنّ الذي لا يعمل لا يستجاب دعاؤه.

فقد حبس البعض أنفسهم في البيوت تمسكا بقوله تعالى: وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (3) فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إنّ الله سوف لا يستجيب أيّ دعاء لكم، لماذا؟ ليتجه المجتمع نحو التنمية و البناء.

قارنوا بين أيام الإسلام الأولى حيث كان الناس يعيشون في الضيق، و بعد خمسين سنة حيث ملأت النعم المادية الدول الإسلامية، فهذه التنمية كانت بسبب هذا البعد.

كما أنّ الإسلام يدعو أيضا إلى التكامل المعنوي و يحثّ على زيارة بيت الله تعالى: قُلْ مَا يَعْْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ (4)، وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ (5) فلا- قيمة لحياة الإنسان الروحية و المعنوية إلاّ بالاتصال بالله، فبمجرد أن تغفلوا عن الله فسيفقد هذا القلب حيويته و ستموت هذه الروح، و إذا تذكر عاد القلب إلى حيويته، و إذا طال أمدها ستتحول إلى جماد.

ص: 156

1- سورة البقرة: 29.

2- سورة الأعراف: 32.

3- سورة الطلاق: 30.

4- سورة الفرقان: 77.

5- سورة غافر: 60.

هذا ما يقوله لنا الإسلام وآيات القرآن: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ (1)، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (2).

هذا موجود في الإسلام الذي يدعو في الوقت نفسه إلى اكتشاف الثروات الطبيعية و إعمار الدنيا و الإمساك بالمعدات المادية و تسليح الذهن بالعلم و التعرف على الدنيا و الطبيعة و المادة و الثروات و اكتشافها و استثمارها - لأنها تعود إليهم - وفي الوقت نفسه يأمر الإسلام بإنجاز هذه الامور قربة إلى الله تعالى، و عدم إغفال ذكر الله، و امتثال هذه الامور بشكل عبادي، أي أن الإسلام يجمع بين السعي و الإعمار المادي و بين الإعمار المعنوي.

لذا فإن الذي كان في الإسلام يسعى وراء الإعمار المادي هو أيضا (أزهد خلق الله).

فأمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام الذي يحفر القناة بيده حتى يخرج الماء منها كما يخرج الدم من منحر البعير، يخرج بثوبه الذي علاه الوحل و يجلس على حافة البئر و يأخذ صحيفة ليكتب عليها: (أوقفت هذه البئر و تصدقت بها على الفقراء)، أي أنه يعمر الأرض و ينفقها لوجه الله تعالى، فهو أكثر الناس إنفاقا و أكثرهم إصلاحا.

كما أنه عليه السلام من الناحية المعنوية الأعلى و الأسمى. و قد جمع الإسلام بين هذين الأمرين.

على المجتمع أن يطوي و يزيل الفساد الذي في داخله كما تصنع تيارات الماء الهدارة.

تدبروا أنهار العالم العظيمة تجدون أن تياراتها الهدارة تطوي كل ما يلقي فيها من الأدران و الأقدار و تبدلها إلى مواد حيوية فيطهر الماء.

ص: 157

1- سورة الحديد: 16.

2- سورة الرعد: 28.

فعلى المجتمع أن يكون كذلك وأن يصل إلى المستوى الذي يقضي فيه حتى على قطرة الفساد الواحدة(1).

إنّ طبيعة الإنسان الوقوع في المنزلق لأن عوامل الانزلاق والانحراف كامنة في أعماقنا وإذا لم يتم ضبط و ترشيد غرائزنا فإن بإمكان أيّ منها أن تصبح نافذة وقناة لسقوطنا و جنوحنا عن الصراط المستقيم وأبرز هذه الغرائز حب الإنسان نفسه، وهذه الغريزة - بطبيعة الحال - ملازمة لوجود الإنسان، فحب الذات هو الذي يدفع الإنسان نحو الحركة التكاملية لتسلك قمم العروج الإنساني، ولكن إن لم يتم ترشيد حبّ النفس سيخلف إنحرافات كبرى؛ فاكتناز الثروة و حب السلطة و الشهوات و طمع الإنسان و طغيانه و الإنحرافات الكبرى التي يشهدها التاريخ البشري و ما وقع و يقع من ظلم فظيع إنما تعود بأجمعها إلى غريزة حب النفس التي أطلق البعض عنانها و بسببها ارتكبوا الأخطاء و الممارسات الخيانية و الكوارث المريعة(2).

و التكامل الإنساني له درجات مختلفة، و كل مرتبة و درجة يصل إليها الإنسان يوجد فوقها درجة أعلى.

فالإنسان الذي يضجّ عمره بالبطالة و لا يستفيد من حياته بالشكل المطلوب و لا يصل إلى المراحل العليا من الكمال، أو الإنسان الذي سعى و كافح و قام بأعمال الخير و البرّ و لكنه أحرّقها كلها بصاعقة الذنوب و الأعمال السيئة التي ارتكبها، فهكذا إنسان سوف يتعدّب بنار الحسرة يوم القيامة(3).

ص: 158

1- من كلمة ألقاها في 1416/12/26 هـ

2- من كلمة ألقاها في: 5 رمضان 1423 هـ - طهران.

3- كلمات مضئبة: 191.

التقوى - هذا العنصر الحاسم - له تأثيره في كافة ميادين الحياة. انظروا كم تحدث القرآن عن التقوى.

وليس كل المراد أنّ الإنسان إذا توفي ورحل إلى الآخرة يشيبه الله هناك على تقواه، كلا ليس هذا فحسب، بل التقوى تدير الحياة و تصلحها في هذه النشأة أيضا، ولولاها لاستحوذت الغفلة على الإنسان.

يشبّه أمير المؤمنين عليه السلام التقوى بالفرس الذلول الذي يركبه صاحبه ويوجهه حيث شاء، وهو يوصل صاحبه إلى غايته بدون أية مصاعب، ويشبّه المعصية - وهي على الضد من التقوى - بفرس جموح إذا ركبته صاحبه أسقط اللجام من يده و تقحم به المهالك.

التقوى لها تأثير في شؤون الحياة أيضا عليكم و ذلك بالسعي لإحياء التقوى في كل ربوع المؤسسات، على صعيد العمل الفردي، و على صعيد العمل الجماعي، في مجال العمل، و في مجال النظم، و السياسة - في مواضعها المناسبة - و في علاقتكم بالله، و في علاقتكم بالناس، و في ما يتعلق ببيت المال.

التقوى و الاتكال على الله، و السير على طريق الله بكل عزم و إخلاص و بلا أي قيد أو شرط هي الموصول للسعادة في دار الدنيا.

سبيل الله حافل بكثرة الساترين، و قد سلكه الكثيرون على مدى التاريخ، و من الطبيعي أن لا يخلو من الصعاب، و لكن لا بمعنى أنه محفوف كله بالمصاعب، طريق الله طريق الفخر و العزة، و لو طوي بالشكل الصحيح لكانت فيه سعادة الناس، و الشعوب في ظل سيرها على طريق الله تبلغ مرحلة الأمن و الرفاه و الاستقرار

و الوعي و المعرفة. و تعاسة شعوب العالم يعزى سببها إلى عدم السير على طريق التقوى، و بسبب تحكم إرادة الطواغيت فيها.

نقلت الأخبار أنّ ثمة عشرين مليون طفل بلا أبوين، أو كمن لا والدين لهم، يعيشون مشردين تعساء، و هناك مئات الملايين من الجياع في العالم، لا شك أنّ الطواغيت هم الذين يوقعون الناس في مثل هذه الحالة من البؤس و الشقاء، و طريق الله هو طريق العزة و الكرامة و رفع الظلم عن الناس، هو طريق الرفاه و طريق التربية الصالحة للنفوس الطيبة.

من الطبيعي إنّ هذا الطريق إذا أريد له الثبات لا بدّ و أن يتحمّل رجال الحق و ثلة من الناس قدرا من المصاعب.

و إنّ الباري تعالى سيكون عوناً لكم و مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (1) ثم إنّ المصاعب لا بقاء لها، لأن هذا المسير إذا تواصل بمثل هذه الدقة، فسيفتح الله تعالى أمام السائرين، و أمام كافة الشعوب المظلومة و المستضعفة، و أمام كل من يجاهد و يعمل في هذا السبيل، باب الفرج بإذنه (2).

ص: 160

1- سورة الطلاق: 2.

2- من كلمة ألقاها في: 14 جمادى الأولى 1418 هـ

إذا ما أردنا إبراز التقوى في حياتنا - إذ ليس كافيًا الادعاء بالتقوى و التلفظ بها و لا بد من التحلي بالتقوى و الورع حقًا - فإن أهم ميادين تجلي التقوى بالنسبة إلينا نحن المسؤولين هو ميدان المسؤوليات الإجتماعية، ففيها ينبغي تجسيد التقوى.

يتعين على المسؤولين في شتى المرافق أن يكون أبهى مظهر لتقواهم هو أداء المسؤولية التي نهضوا بها وفقًا للقانون، و على أفضل وجه دون نقص أو خلل، هذا هو الموقف على صعيد المستوى العالي لمسؤولي البلاد، و قد يقال الكثير فما يخص المستويات الوسطى أو داخل هيكلية القطاعات الواسعة من مسؤولي البلاد، مما يجب أن لا يقال، فالآمال المعلقة بهم بهذا المستوى.

إن من أهم مواطن تجلي التقوى هو نكران الذات لدى أداء المسؤولية، على العكس تمامًا مما يضعه أهل الدنيا في الحسبان بالنسبة للمسؤولية، فأهل الدنيا إنما يريدون المسؤوليات الحكومية و غيرها لديناهم، فإذا ما طلبوا الرئاسة أو الإدارة أو العضوية في المجالس النيابية و ما شابهها من المراكز فإن ما يحظى بالأهمية في الدرجة الأولى بالنسبة إليهم هي الأمور الشخصية، لذلك فهم و على مدى مسؤوليتهم يحتوشون نتائجها و ربما يعملون على تأمينها لأنفسهم لفترة طويلة من حياتهم! و هذا حساب خاطئ في ظل النظام الإسلامي البتة، فالذي يلج المسؤولية عليه أن يتجاهل مصالحه الشخصية لدى تحمله المسؤولية، و إذا ما كان هذا العمل أو المسؤولية لا تتسجم مع طاقته فلا يقبل المسؤولية، و لكن إذا ما تحمل المسؤولية فإن ما يحظى بالأهمية بالدرجة الأولى بالنسبة إليه و لا يجاريه شيء هو أداء المسؤولية و إن انتهى بضرره و خلافًا لمصالحه.

لنتحمل المسؤولية بصعوباتها و هواجسها و رغم الجهد الذي يجب بذله لأدائها، وإذا ما حصل ذلك إذ ذاك يكون المرء أبيض الوجه أمام الله و الشعب و إن الجماهير لتدرك ذلك.

من الحالات التي ينبغي أن تتجلى عن التقوى في المسؤولين و النظام هو الإلتزام بحدود القانون في كافة المجالات و عدم تجاوز ما وضعه الدستور و القوانين المعتمدة لمختلف الدوائر و الأجهزة، فتجاوز هذه القوانين ينجم عنه في بعض الحالات المشكلة الكبرى المتمثلة بالفساد الاقتصادي و فساد الأجهزة المسؤولة، أو أنه يؤدي الى التضارب بين شتى الأجهزة و تشتتها و الى سجلات مضرّة مفسدة.

فالتقوى بالنسبة لنا نحن المسؤولين هي الأهم و درجتها من السمو بحيث لا نكتفي بالمستوى المتعارف عليه من التقوى لدى عامة الناس (1).

أثر التقوى على الأمور الإدارية

عند ما نتخذ التقوى كلمة ثابتة و كلمة حق و تكليفا دائما يمكننا أن نؤدي دورا فاعلا في المجتمع قال تعالى: وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى (2). و يجب أن نضع التقوى نصب أعيننا في القول و الفعل؛ في عملنا مع زملائنا، و عند إتخاذ القرارات، و مع العاملين تحت إمرتنا، لأن إلتزامنا التقوى درس لهم، و سلوكهم درس لأبناء الشعب (3).

من جملة الميادين التي لم نستطع أن نحرز فيه التقدم بواسطة التقوى هو ميدان النظام الإداري المتناسب فإنّ الخلاص و الإنعتاق المعنوي و الإنعتاق الإجتماعي

ص: 162

1- من كلمة ألقاها في: 7 / رمضان / 1424 - طهران.

2- سورة الفتح: 26.

3- من كلمة ألقاها في: 16 رمضان 1420 هـ - طهران.

والانعتاق الفردي والانعتاق السياسي أمر مهم في المجتمع - وأن يتخلص من العبودية و من الأغلال التي تعيق حركته وإطلاقه، و تضع في مقابل تلك الأغلال قوانين و قيودا تعينه على الحركة و الإنطلاق و تساعد على الإلتزام و التعبد؛ فالصلاة هي الأخرى قيد أيضا، إلا أنّها «معراج المؤمن»⁽¹⁾؛ أي أن هذا التقيّد و هذا الإلتزام يعرج بالإنسان و يسمو به و ينقيّه من الدنس و الآثام.

و لكن متى يحصل هذا الانعتاق؟ و إلى أيّ مدى يستطيع النظام الإداري تأدية دوره في هذا المضمار؟ لا نستطيع القول بوجود كثير من التقصير في العمل - فلعلهم عملوا كثيرا - و لكن تقدمنا كان ضئيلا على كل الأحوال. و مع أن الجميع يتحدثون عن هذا الجانب و يركزون عليه، إلاّ أن المرء لا يشاهد العمل و الجهد المطلوب، و هذا من معايينا؛ و المسؤولون المعنيون يجب عليهم العمل في هذا المجال. و ما يتعلّق بالنصح و التذكّر في هذا المجال هو ما عرضته عليكم، إلاّ أن هذا لا يكفي، و هو مجرد نصح و تذكير لنفسي و لكم⁽²⁾.

حاجة المسؤول للموعظة

لا بد و أن نستفيد من النصائح و العبر الموجودة في نهج البلاغة؛ لأننا جميعا بحاجة إلى مثل هذه النصائح، و بالخصوص أمثالنا من المسؤولين نكون بحاجة للنصيحة أكثر من غيرنا؛ فإننا محتاجون للنصيحة في قضايانا الشخصية من أجل تطهير قلوبنا، و توثيق علاقتنا بالله تعالى، و الإلتزام بالتواضع و الخشوع الذي له أهمية كبيرة في تحقيق السلوك الصحيح الذي يؤدي الى تحمّل المسؤولية، هذا من جهة، و من جهة أخرى كون كل واحد منا مسؤولا عن أمر مهم من أمور إدارة الدولة، حيث إن فهم

ص: 163

1- مستدرك سفينة البحار: 343/6.

2- من كلمة ألقاها في: 16 رمضان 1420 هـ - طهران.

المنطق العلوي في باب المسائل الكبرى لإدارة شؤون البلاد يمكن الحصول عليه من خلال مواظب أمير المؤمنين عليه السّلام.

ومع أن أكثر هذه المسائل هي مسائل منطقية و استدلالية، و البعض منها يحتاج الى البحث الدقيق، إلا أنّ ما يفهمه الإنسان في ثنانيا مواظب و وصايا أمير المؤمنين عليه السّلام، يكون أحيانا أكثر عمقا و تأثيرا على الروح مما يحصل عليه من خلال ما يطرح بصورة تحليلية و استدلالية؛

كل منا يخطيء

أولا: يجب أن لا نفسح المجال لأنفسنا للتصور بأننا لا يمكن أن يطرأ علينا الخطأ أبدا، أي أن على الإنسان أن لا يعتمد على ما نحن عليه - على سبيل المثال - من تدين و طاعة الله و يدعي بأننا لا يمكن أن يطرأ علينا الانحراف، كلا، فليس الأمر كذلك؛ لأنّ إمكانية السقوط و الانحراف عن الصراط المستقيم يمكن أن يعرض لأيّ واحد منّا، و كلنا قادرون كذلك على التوقّي من الانحراف.

فلا- تتصوروا أننا ندعي أن هناك قضاء مبرما و حتميا فيما إذا سار شخص ما في طريق المسؤولية فإنّه يعرض للسقوط؛ كلا، فإنّ الإنسان يستطيع أن يكمل مسيرته دون أن يتعرّض للسقوط و الانحراف، إلا أنّ هذا لا يعني أنّ الإنسان يمكن أن يضمن عدم تعرضه للانحراف؛ و اعتمادا على ذلك يكون مرتاح البال و يضع رأسه على وسادة من الحرير و هو غافل عن نفسه؛ بل علينا أن لا نغفل عن كلا طرفي القضية.

إنَّ أحد وسائل اجتناب الإنحراف هو مراقبة النفس، علينا أن نراقب أنفسنا، وإذا فعلنا ذلك فسوف نتجنب الإنحراف، أما إذا لم نرقب أنفسنا فلا محالة من الانحراف، ويحصل هذا إما بسبب لين و ضعف أسسنا و مبانينا العقائدية، أو بسبب الشهوات التي تعتري الإنسان، حتى أولئك الذين يمتلكون الأسس و المباني العقائدية المتينة، في بعض الأحيان تتغلب الشهوات النفسانية على تصوراتهم و أفكارهم الصحيحة و المتجذرة في مبانيهم و أهدافهم فيقعون في الانحراف؛ و هذا ما لمسناه من خلال التجربة.

توجد هناك عدّة آيات في القرآن الكريم تتطرق الى هذا الأمر، و من هذه الآيات، و التي تهتز لها مشاعر الإنسان هي الآية التي تناولت الحديث عن معركة أحد؛ قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا (1)** و سبب هذا الانكسار و التقهقر هو (ببعض ما كسبوا) أي بسبب بعض المعاصي التي فعلوها في الماضي؛ فإنّ التعلّق بالشهوات و الأهواء النفسية تبرز آثارها في مثل هذه المواطن؛ أو في آية شريفة أخرى عند ما يقال لهم أنفقوا، فيتخلفوا عن الإنفاق تكون نتيجةهم **فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ .**

فعند ما يقطع الإنسان على نفسه عهدا بينه و بين الله تعالى، ثم يتخلف عن ما وعد الله فيه؛ سوف يستحوذ النفاق على قلبه.

ص: 165

وبناء على ذلك، فإننا إذا لم نلتفت إلى أنفسنا واتبعنا الشهوات و هوى النفس، نكون بذلك قد غلبنا هوى نفوسنا على إيماننا وعقلنا، و سوف تقع في الانحراف الذي كنا نخشى الوقوع فيه؛ وبناء على ذلك لا بد للإنسان أن يكون دائم التصور لإمكانية السقوط في الانحراف، فلا يعتقد أحد أنه بعيد عن خطر الوقوع في الانحراف؛ هذه المسألة الأولى، و أحد الأمثلة عليها هي قصة (بلعم بن باعورا) المعروفة حيث وصل الى درجة و أتُل عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا (1).

المسألة الثانية: إذا أردنا - ونحن في هذا الموقع من المسؤولية - أن نصون أنفسنا من خطر الوقوع في الانحراف، علينا أن لا نتأذى من النصائح الخشنة من قبل المصلحين؛ لأن أحد طرق النجاة هو الاستماع لمثل هذه النصائح.

يوجد هناك بعض الأشخاص المؤذين الذين يتكلمون بأنواع الكلام، و يقومون بترويح الشائعات هنا و هناك و بإثارة الحروب النفسية و الكذب على هذا و ذاك بلا رادع، و يمكن أن يعتري قلب الإنسان الألم من جراء أفعالهم - إلا أنه لو علمتم بأن أحدا ما لا يقصد العناد و العدا، فلا بد أن لا تتأذوا منه حتى و إن كان يتكلم بلهجة خشنة - و عليكم أيضا أن لا تتقادوا للكلام المعسول و المغري للمتملقين، و هذه أيضا مسألة أخرى، و أعتقد لو أننا التزمنا بها سوف ننتفع كثيرا.

المسألة الثالثة: لو راجعنا الرسالة التي بعثها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الى مالك الأشتر لوجدنا أنها تحمل في طياتها نوعا من الخشونة و المرارة، فالإمام عليه السلام في رسالته الى مالك الأشتر يتكلم بلهجة حادة، بحيث لو أن شخصا ما يقوم بنصيحتنا بهذا الشكل لأعرضنا عنه.

إلا أن مالك الأشتر يتحمل ما يقوله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كيف لا و قد وصفه بقوله: «إنه ممن لا يخاف وهنه، و لا سقطته و لا بطؤه عما الإسراع إليه

ص: 166

1- سورة الأعراف: 176.

أحزم، و لا إسراعه إلى ما البطاء عنه أمثل»(1) أي كما أنه رجل ليس بغافل عن نفسه، هو حكيم وعالم في نفس الوقت، فهو لا يسرع في المكان الذي يستلزم البطء، و لا يبطئ في المكان الذي يستلزم السرعة، الإمام عليه السلام كان يصف مالك الأشر بهذا الوصف في رسالة بعثها الى اثنين من قادة الجيش في صفين(2).

ص: 167

1- انظر كتاب الغدير: 39/9 ح 2.

2- من كلمة ألقاها في: 1384/7/17 هـ ش الموافق 14 رمضان المبارك 1426 هـ الموافق 005/10/9 م طهران.

إنّ جميع الامور - سواء ما يتعلّق فيها بالعمل أو ما يتعلّق بالتربية و التعليم - يمكن إنجازها بأحد نحوين: الأوّل: ذو غاية و هدف، و الثاني، بلا غاية و هدف.

فتارة يبحث الشخص لنفسه عن عمل دون أن يبالي كثيرا بنوعية ذلك العمل، و إنّما المهم عنده أن يعمل و يحصل على أرباح.

و تارة اخرى يبحث عن العمل الأكثر فائدة و الذي يحتاجه الناس، فيختاره لنفسه.

و هذا هو ما يسمى بالعمل الهادف. و لقد اهتم الشرع الإسلامي كثيرا بهذا النوع من الأعمال.

طبعاً لا اريد القول هنا: إنّ على كل شخص أن يختار العمل الأنفع، فالامور الداخلة في مجال القرار الشخصي خارجة عن بحثنا، و إنّما نريد أن نفكر بما هو صالح للبلاد و المجتمع بشكل عام.

إنّ الإسلام قد اهتم كثيرا بنوعية العمل. فمثلاً يشترط في العبادات قصد القربة، و قصد القربة معناه الهدفية و أن يأتي الإنسان بالعمل قربة إلى الله تعالى و ابتغاء مرضاته. و ربما لا يختلف ظاهر العمل و شكله المادي كثيراً، إلا أنّ روح العمل تختلف.

فمثلاً ورد في الشرع الإسلامي استحباب غسل الجمعة. قد يبدو للإنسان أنّ هذا الغسل إنّما شرّع للنظافة و لكي ينظف الإنسان جسمه على الأقل مرة واحدة في الاسبوع، و بذلك تحرز النظافة التي أرادها الإسلام. و لكن لو مكثتم يوم الجمعة ساعة كاملة في حوض السباحة و تنظفتم بالماء و الصابون دون نيّة غسل الجمعة فسوف لن يكتب لكم ثواب غسل الجمعة الذي حدّده الشارع. إنّ الشكل الظاهري للعمل واحد

- وهو الغسل - وهدفه الظاهري في كلا الموردین - أي في غسل الجمعة وفي الارتماس في حوض الماء - النظافة أيضا، إلا أن في غسل الجمعة شيئا زائدا وهو الهدفية، فما هو الهدف؟ الهدف أن يمثل العمل قربة إلى الله تعالى.

إن الإسلام يريد من المسلمين أن ينجزوا جميع أعمالهم قربة إلى الله، حتى يحصلوا على فائدتين: الأولى هي الفائدة المادية من ذلك العمل، والأخرى هي الفائدة المعنوية والروحية التي يحصل عليها الإنسان من خلال قصده للقربة والتي لولاها لما حصل عليها.

فعند ما تتناولون الطعام بقصد أن يكسب الجسم القدرة على مواصلة الحياة لأن الله أراد ذلك، فهنا الطعام هو الطعام نفسه بقيمته الغذائية التي ستصل إلى الجسم ونفس اللذة التي تستشعرونها في طعامه، ولكن ستحصلون مضافا إلى ذلك ثوبا من الله. لماذا؟ لأنكم مضافا إلى الاعتناء بجسمكم قد وجهتم أنفسكم وجعلتم لها هدفا.

وعند ما تسيطر مثل هذه النفسية على الإنسان في جميع شؤونه، فسوف لا يقترب الحرام ولا يأكله ولا يذني من فمه طعاما جاء عن طريق السرقة والظلم، وسوف لا يلوح بيده بحركة ظالمة ولا يفكر فيما يعود بالضرر على الإنسانية وعلى إخوته من المسلمين. أي أن هذا الشيء الذي يبدو صغيرا جدا سيؤدي إلى إقصاء جميع مشاكل الحياة عن الإنسان بالتدرج كالجرائم والذنوب والتمرد بشتى صورته والشهوات والأطماع وأمثالها.

انظروا كيف تنطلق حكمة الدين والأحكام الشرعية من دائرة صغيرة وبسيطة وتنتشر وتستوعب مساحة واسعة. ولذا فإن قصد القربة يعني جعل الأعمال ذات هدف وغاية.

والآن انظروا بدقة إلى المجتمع - فذلك داخل أيضا في قصد القربة، فما نذكره هنا لا يخرج عن قصد القربة فهو أحد مصاديقها - حيث العمل والتربية والتعليم وحيث مختلف الجهود، لكن ما هي الغاية منها؟ وفي أي اتجاه يتحرك هذا العمل أو هذه

التربية و التعليم؟ (1).

وكان مما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام ولديه الحسنين عليهما السلام: «واعملا للأجر» يعني الأجر الحقيقي والإلهي. فلا تعمل عبثاً أيها الإنسان، إن عمرك وعملك وحتى أنفاسك هي رأس مالك الوحيد والحقيقي فلا تفرط به.

وإذا أردت أن تعمل عملاً أو تتنفس نفساً أو تصرف قواك في شيء فليكن ذلك من أجل الحصول على أجر يتناسب مع ذلك. فما هو هذا الأجر الذي يجب أن نحصل عليه؟ هل هو دراهم معدودة نحصل عليها؟ هل هو جلب رضا فلان وعلان من الناس؟ هل هذه الأمور هي الأجر الحقيقي لضياح عمر الإنسان؟ من المؤكد أن الجواب على ذلك سيكون بالنفي.

أتذكر أن رواية عن الإمام السجاد عليه السلام يقول فيها: «فليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، ألا فلا تبيعوها بغيرها» (2).

فكما يكون الأجر أقل من ذلك فإن الغبن سيكون من نصيبنا فلتكن أعمالنا من أجل الأجر الحقيقي وهو الأجر الأخروي (3).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «كونوا على قبول العمل أشد عناية منكم على العمل».

وقال عليه السلام: الزهد في الدنيا قصر الأمل» (4).

يجب على الإنسان أن يسعى ويجتهد لتكون أعماله التي يقوم بها مقبولة عند الله تعالى وليس المهم كثرة العمل وحجمه وإنما الشيء المهم الذي يجب على الإنسان

ص: 170

1- من كلمة ألقاها في: 12 ذي الحجة 1416 هـ

2- تحف العقول، صفحة: 391، ونهج البلاغة: 105/4 ح 456.

3- من كلمة ألقاها في: 12 رمضان 1414 هـ - طهران.

4- الخصال، باب الواحد، ح: 50.

أن يصرف جهده وسعيه فيه هو كفيّة و باطن و حقيقة العمل(1).

أثر الكماليات على التقوى في الإدارة

عليكم أيها الإداريون أن تحذروا و تعلموا أن أيّ سلوك و أيّ قول و أيّة حركة منكم تترك تأثيرا طويل الأمد، و تستطيع أن تترك تأثيرات واسعة في حياة الناس.

منذ سنوات و أنا أذكر بشأن الحياة الارستقراطية، و من الطبيعي أن ظاهرة الإستقراطية تنطوي على جانبين سلبيين: أحدهما أصل التعلق بالكماليات و مظاهر الترف؛ و هذا جانب قبيح و لا يليق بشأن و منزلة الإنسان السامي؛ لأن ذلك يعني تعلق الإنسان بشيء أدنى من شأنه، فضلا عمّا فيه من إسراف و تضييع للأموال و الثروات.

أمّا الجانب الآخر منها فهو لا يقل قبحا عن الجانب الأول، و هو انعكاس نزعتكم الارستقراطية و الكمالية على حياة الناس، لكن البعض غافل عن هذا الجانب؛ فأنتم حينما تجعلون غرفتكم و مكتبكم و أجواء عملكم زاخرة بكل هذه الكماليات و البذخ، فهذا يعتبر بحد ذاته درسا عمليا يؤثر في كل من يراه، فيجب على الأقل ملاحظة هذا الجانب.

ينبغي أن لا نجعل الأجواء زاخرة بمظاهر الكمالية و الاعتقاد على البذخ و الإسراف، لأن هذه النزعة إذا شاعت اليوم في أوساط مجتمعنا - و من المؤسف أنّها شاعت إلى حد كبير - فلن تحل الكثير من المشاكل الإقتصادية و الإجتماعية و الأخلاقية الموجودة في البلاد.

إن النزعة الكمالية و الميل إلى الارستقراطية تحمل في طياتها أضرارا و مخاطر فادحة، و من جملة ذلك أنها تحول دون تحقيق العدالة الإجتماعية، و لن تتحقق في ظلّها روح الإخاء و التآلف و الانسجام، و التي هي ضرورية لجميع البلدان و الشعوب

ص: 171

1- كلمات مضيئة: 116.

كضرورة الماء والهواء، خاصة بالنسبة لبلدنا وشعبنا. وهذا مثال بارز على تأثير كلامنا وعمَلنا في نفوس الناس، وهذا ما يزيد من أهمية عنصر التقوى بالنسبة لنا.

التقوى وسيلة وأسلوب للعلاج

وعلى كل حال فإن ما نستخلصه من هذه الآية وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ومن آيات كثيرة أخرى هو أن التقوى هي وسيلة، وهي أسلوب للعلاج أيضاً، وهي ليست مجرد تكليف واجب، يعني أن الله سيسألنا عن التقوى وحدها يوم الحساب، مع أنه لو أدركناها تعتبر أمراً عظيماً؛ فنحن بصفتنا مسؤولين غافلون عن الحساب الإلهي وعن صعوبته وعن فزع يوم الحساب، وكلما كبرت مسؤوليتنا، يزداد معها هذا الخطر فداحة.

يجب أن ندرك أن البارئ تعالى إذا لم يعاملنا بلطفه وفضله ورحمته فسنكون في موقف عسير؛ فلكل واحدة من تفاصيل نفقاتنا ومصاريفنا وتعاملنا وسلوكنا مع الناس حساب عند الله تعالى فإن «في حلالها حساب وحرامها عقاب»⁽¹⁾.

وفضلاً عن وجوب التفكير في الحساب الإلهي، يجب أن ندرك أيضاً أن التقوى تفتح أمامنا السبل: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ فالتقوى تساعد على التخلص من جميع الطرق المسدودة أمام الإنسان وخاصة في المجال الاجتماعي.

وفي المعضلات الكبرى تفتح التقوى أمام المسؤولين سبل الخلاص: وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ⁽²⁾.

إن حساباتنا وحساباتكم لا تأتي على الدوام دقيقة و متقنة؛ إذا فأساس القضية هو

ص: 172

1- انظر نهج البلاغة: 130/1 كلام 82.

2- سورة الطلاق: 3.

التقوى، ونحن أيضا نوصي بالتقوى، فيجب عليكم الاهتمام بمشاكل الناس على أساس هذه الروحية من التقوى(1).

التساهل نقيض التقوى

إلى جانب التحجر، هناك التساهل الفكري و العملي؛ فالتساهل و التسيب، سواء في الفكر - أي أن ينجذب الإنسان نحو كل ما يطرح في الساحة من فكر و ينبهر به دون روية و تقويم و نقد و فهم دقيق مع ما في الأمر من حساسية - أو في العمل؛ أي الجانب المقابل للتقوى، و التقوى هي نقيض التساهل؛ و التقوى تعني الدقة و المراقبة و المواظبة خشية أن يبدر من الإنسان عمل يتجاهل الموازين، سواء كان ذلك في القول أو الفعل، و سواء كان ذلك العمل من الجوارح أو الجوانح؛ فهذه هي التقوى.

و أما التساهل و التسيب فهو نقيض ذلك. فيا لها من مصيبة أن يكون ذلك التساهل في مجال الفكر، أو العلم، أو في أي مجال آخر! فحيثما كان التساهل و التسيب - و الذي يستتبعه التساهل في القبول و الفعل و الفهم - فإن العواقب سوف تكون وخيمة(2).

ص: 173

1- من كلمة ألقاها في: 16 رمضان 1420 هـ - طهران.

2- من كلمة ألقاها في: 7 رجب 1421 هـ - المدرسة الفيضية/قم المقدسة.

أثر التخلي عن التقوى

وقال الباري عزّ وجلّ: أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ (1)، فجميع المشاكل التي يعاني منها المنحرفون عن طريق الدين في العالم ناشئة من عدم فهمهم لهذه الامور أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ فهؤلاء يتصورون أن الله غير كاف عبده، وأنه لا بدّ أن يكون الى جانب الباري عزّ وجلّ شيء آخر حتّى يتمكن الإنسان من الوصول إلى هدفه، وهذا هو موضع الخطأ عندهم، وإنّ جميع مشاكل الذين يطرأ خلل على تقواهم؛ هي عدم إدراكهم أن امتلاكهم التقوى سيمنعهم من الوصول الى طريق مسدود، وسوف يتمّ إنقاذهم وفقاً للهدف الذي يتحرّكون من أجله، وأنّ الباري سينزل عليهم العون والمساعدة من طريق لم يحتسبوا. فعدم إدراك هؤلاء لهذه الامور هو الذي يجعلهم ينحرفون عن طريق التقوى.

وقد يحصلون في حال إنحرافهم عن طريق التقوى على بعض اللذائذ والنجاحات المؤقتة، إلا أنّهم سوف لن يصلوا إلى هدفهم النهائي أبداً.

سبب الإنحرافات ترك التقوى

فجميع الإنحرافات التي وقعت في طريق الأديان الإلهية والأخلاق الحسنة والأهداف السامية منشؤها الأمر الذي ذكرناه.

مثلاً حينما قامت الثورة الفلانية في القرن السابع عشر فإن قيامها لم يكن من أجل تحقيق هدف سيئ، بل قامت من أجل أن تحقّق أهدافاً سامية، ولكننا نرى أنها لم

ص: 174

تتمكن من تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها، لماذا؟ والجواب: إنَّ السبب في عدم بلوغها تلك الأهداف هو نفس الأمر الذي ذكرناه آنفاً (ابتعادها عن طرق التقوى).

وما هو السبب في أنَّ المذاهب التي وجدت من أجل تحقيق مصالح الناس قد تحوَّلت فيما بعد إلى حالة مضادَّة للأهداف التي وجدت من أجلها؟ من الممكن أن يكون أحد الأسباب هو عدم صحَّة الاسس التي قامت عليها تلك المذاهب، إلاَّ أنَّ تلك المذاهب كان لديها كثير من الأفكار الصحيحة، لكنَّها لم تستطع تحقيقها أيضاً، وفي هذا العالم توجد كثير من الأفكار والشعارات الصحيحة، إلاَّ أنَّ أصحابها لا يستطيعون تحقيقها؛ والسبب هو عدم إدراكهم في أنَّ الإنسان إذا ما سار في الطريق الإلهي و التزم بالتقوى فإنَّ الله تعالى سيكون كافله وكافيه، وأنَّ الله قد وعدنا بذلك ولا يوجد أحد أصدق من الله في وعده.

فلو أنَّ المصرف أرجع شيكا - كتبه لشخص -، بسبب قلة المبلغ الموجود في حسابي ساعاتب مدير المصرف بأنك تعلم أنني لا أخلف في وعودي فلما ذا لم تسدِّد المبلغ لحامل الشيك من أموال المصرف، وأنا ساسدِّد لك بعد ذلك.

يعني أننا وبالرغم من ضعفنا وعجزنا ونسياننا نتوقع من الناس أن يصدِّقوا بعودنا وكلامنا، و لكنَّنا نشكك بوعد الله تعالى لنا؟ الربَّ الذي يسيِّر جميع هذا الوجود بإرادته (فهي بإرادتك دون أمرك مؤتمرة) فجميع الكون مسيِّر بإرادة الله تعالى، وأنَّه يفعل ما يشاء وقد رأينا أنَّه يفعل الامور البعيدة عن تصوّرات الإنسان و حساباته.

فقد رأيتم أن الأمريكيين جاءوا إلى طبس وقد وقعت لهم تلك الواقعة. ولو أنَّ أحدا كان يخبركم قبل وقوع تلك الحادثة بأنَّ حادثة من هذا القبيل ستقع فهل كنتم تصدِّقون؟ ولو كانوا يقولون ذلك لأكثر الناس إيماناً فإنَّه وعلى أكثر تقدير سيقول:

(نأمل أن يكون الأمر على هذه الصورة إن شاء الله) و لكنكم رأيتم أن ذلك قد وقع

وقبل الحرب المفروضة هل كان أحد يصدّق بأنّ جميع القوى الكبرى ستهاجمنا عسكريا و لكنّها لا تستطيع اقتطاع شبر واحد من أراضينا، ولم تتمكن من إسقاط الجمهورية الإسلامية أو القضاء على الثورة، وفي نهاية المطاف ترجع خائبة؟ ولكن الجميع شاهدوا وقوع هذا الأمر الذي لا يصدّق.

إنّ حياتنا مليئة بأمثال هذه الامور، وإننا نعلم أنّ الله لا يقول إلاّ الصدق، وأنّ وعده حتمي الوقوع، ونحن لم نحصل على هذا العلم عن طريق الاعتقاد فحسب، بل حصلنا عليه عن طريق التجربة أيضا.

وعلى هذا فهل يحقّ لنا عدم الوثوق بوعد الله تعالى الذي قال وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (1)؟ فكلّ إنسان يتوكّل على الله فإن الله سيكون كافيهِ ولن يكون بحاجة إلى أحد أبدا. فهل يحقّ لنا أن لا نصدّق بقول الله تعالى وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ فِي مَقَابِلِ ذَلِكَ نقول: إنّ هذا الطريق مسدود و لا يمكننا التحرك، وأنّ الظروف العالمية تحتم علينا إتخاذ خطوة مخالفة للتقوى، أي أنّنا نعرف أنّها مخالفة للتقوى، فهل هذا الكلام منطقي؟ قطعاً إنّهُ ليس منطقياً فإنّ الباري عزّ و جلّ يقول:

وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَلَآ تَجَامِلُوا أَحَدًا وَ لَا تَعْبِرُوا أَهْمِيَةَ لَطَلِبَاتِ بَعْضِ النَّاسِ غَيْرِ الْمُنْطَقِيَّةِ، اعْرِفُوا مَا هُوَ تَكْلِيفِكُمْ الشَّرْعِيَّ وَ اعْمَلُوا بِهِ وَفَقًا لِلضَّوَابِطِ وَ الْقِيُودِ الْمَوْجُودَةِ.

كما أنّ عليكم العمل بصمود و قوّة و رفعة رأس.

أتذكّر مرّة أنّنا كنّا في زيارة للإمام (رض) برفقة سماحة الشيخ الرفسنجاني و مجموعة من الاخوة الآخرين و في الاثناء سألت الإمام (رض) «منذ متى تبلورت في ذهنكم فكرة إقامة الحكومة الإسلامية) بالطبع - إنّ الإمام كان قد درّس مبحث ولاية

الفقيه سنة 1347 - إلا أن مقصودي هو هل أنه فكر في هذا سنة 1342.

فتأمل الإمام فترة ثم أجاب: في الحقيقة إنني لا أتذكر منذ متى تبلورت هذه الفكرة في ذهني، إلا أنني كنت وفي أية فترة من الفترات أرى ما هو واجبي الشرعي فأعمل به إلى أن وصل الأمر إلى هذا الحد.

يعني: أن كل أمر كان الإمام يشعر بأن مسؤوليته الشرعية القيام به كان يبادر إلى العمل به من دون تردد. في حين أن الإنسان عند ما ينظر من بعيد كان يتصور بأن الإمام يعمل وفقا لأدق الخطط وبعدها مدى، بينما هذه هي خصوصية العمل وفق التكاليف الشرعية، وحقاً أن هذه هي معالم الطريق التي تقول للإنسان - انظر إلى هذه العلاقات واصل طريقك ولا تلتفت إلى باقي الأمور، فإن هذه العلامات هي التي ستدلك على الطريق حتى نهايته(1).

مشاكل العالم ناجمة عن ضعف التقوى

إنني وحيثما أنظر إلى الوضع المضطرب لعالم اليوم يخالجنني شعور وطيدي بأن مشاكل العالم المعاصر والمعضلات التي تعانيها البشرية إنما ناجمة عن ضعف التقوى والورع وإطلاق العنان لنزوات الأنانية وحب الذات لدى الأقوياء الطامعين بالتسلط، وإلا فلو لا غرور و طغيان جبابرة العالم والأقوياء الفاقدين للتقوى فإن الإنسان لا يعاني نقصاً في طبيعته ووجوده الإنساني وقابلياته، فالإنسان المعاصر بإمكانه العيش بأمن وسلامة في بدنه وروحه، والدنيا بوسعها أن لا تشهد الهوة العظيمة بين الأثرياء ومكتنزي الذهب وبين جيع العالم، وبالمقدور توفير الأمن للدنيا بأسرها وأن تغيب هذه الحروب وعمليات سفك الدماء والإبادة الناجمة عن حب السلطة التي تعج بها الدنيا ولو قدر للبشر أن يسلكوا طريق الدين والتقوى

ص: 177

1- من كلمة ألقاها بتاريخ 22 ربيع الأول 1415 هـ

لتحقت كافة هذه الطموحات قال عز من قائل: يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ (1).

وقال تعالى: وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (2).

إن الدعوة التي تحملها الأديان الإلهية إنما هي باتجاه سلام البشر و أمنهم و استقرارهم و ليس باتجاه التوتر و الشقاء و الفقر و الحرب و الإبادة، غير أن الأديان الإلهية و منذ بداية ظهور الدين - أي خلق الإنسان - و حتى يومنا هذا عانت من عداء الجباية و السلطويين؛ هؤلاء الذين يحاولون إحكام هيمنتهم أو الإبقاء عليها في كل بقعة أو زاوية من العالم فيها حياة للبشرية و ذلك عبر اعتمادهم على قوتهم، فالدين واجه على الدوام هذا العدو الرهيب و الخطير (3).

ص: 178

1- سورة المائدة: 16.

2- سورة يونس: 25.

3- من كلمة ألقاها في: 5 رمضان 1423 هـ - طهران.

و يجب أن ألفت أنظاركم - أيها الاخوة الأعزاء - بأننا إذا أردنا تعميق روح التقوى في نفوسنا فيجب علينا مجالسة أهل التقوى؛ لأنّ هذه إحدى الطرق المهمة جدًّا، وإنّا إذا جالسنا أهل التقوى فإن تلك الحالة ستسري إلينا.

و هذا المعنى يجري في كلّ الامور، فالمجالسة شيء عجيب حقًّا. و البعض يجالس بعض الناس الذين لا يعرفون هذه الامور من الأساس فتسري إليهم بالتدريج نفس تلك الصفات و الخصال. فالخصوصيات تؤثر تدريجيا في النفس و لا سيّما إذا كان الإنسان الذي نجالسه يمتلك جانبا مؤثرا ولديه بعض المرشحات.

و لهذا نشاهد أحيانا بعض الناس يغفلون عن أصغر المسائل الدينية - مع العلم أنّهم من الناس الطيبين كما يدلّ عليه تاريخهم -؛ و السبب في ذلك أنّ جلساءهم جلساء سوء، فالمجالسة و المعاشرة هي امور في غاية الأهمية، فعليكم بمعاشرة و مجالسة أصحاب التقوى و الناس المتدينين.

و إذا كانت أجواء عملكم تضطركم الى معاشرة و مجالسة الناس البعيدين عن التقوى فعليكم الإكثار من مجالسة المتّقين و الأبرار؛ بسبب نوع العمل أو لبعض المعاملات على معاشرة و مجالسة بعض الأشخاص غير المناسبين للمجالسة، و في مثل هذه الحالة يجب عليكم تعميق علاقتكم مع الأشخاص الأتقياء، و لا أقصد بهذا معاشرة كلّ من يدّعي الإلتزام بالتقوى بل يجب معاشرة و مجالسة المتّقين الحقيقيين.

عمّقوا علاقتكم مع المتّقين و الناس الصالحين و المؤمنين و إن كانوا مجهولين و غير معروفين. فهناك اناس معروفون على أنّهم اناس صالحون إلا أنّ الإنسان لا يجد عندهم شيئا ذا قيمة، فعليكم معاشرة الناس المتدينين، جالسوهم، تكلموا معهم،

تناولوا الطعام معهم، سافروا معاً، أقيموا العلاقات مع العلماء المتدينين ولا سيما إذا كانوا ذوي معرفة واطّلاع على المعارف الإلهية؛ لأنّ هذا يساعدنا كثيراً في الحفاظ على روح التقوى.

إنّ من الحسن مجالسة اسر الشهداء والمعلولين وتركيز العلاقة معهم، ولا سيّما زيارة روضات الشهداء التي تعتبر من الأعمال الحسنة جدّاً، فهناك سيرى الإنسان النتائج القيّمة لزيارة تلك الروضات المباركة. وإذا ما قمتم بهذه الامور - التي ذكرناها - فسوف تزداد كثيراً نوعية وسرعة الحركة العظيمة التي تقومون بها(1).

شعارنا سيادة التقوى و القيم المعنوية

وفي عالم تعكس فيه الحكومات مظهراً للإستكبار والتسلّط والجور والنزعة المادية البعيدة عن التقوى، يفخر النظام الإسلامي برفع شعار سيادة التقوى والقيم المعنوية، حيث لا تمثل فيه الحكومة تسلطاً مستتبداً ولا رئاسة قائمة على الخداع والتصنّع، وإنما هي ولاية ومحبة و ترابط قلبي وإيماني، وتعتمد - بدلاً من المعايير الشائعة حالياً والمبتنية على المال والدعايات الزائفة - الفقاهاة والعدالة معياراً لها.

هذه هي ذروة ما ينبغي أن يبلغه النظام الإسلامي، بحيث أنّ أيّ فرد من أبناء الامة الإسلامية وفي أيّ مكان كان من العالم متى ما يراه و يعرفه حقّ معرفته يتعلق به قلبه.

وهذا هو المنهاج الواضح القادر على إيصال المجتمع الإسلامي الى الاستقلال والحرية والرفاه المادي والعزّة بين العالم(2).

ص: 180

1- من كلمة ألقاها بتاريخ 22 ربيع الأوّل 1415 هـ

2- من كلمة ألقاها في: 6 ذي القعدة 1419 هـ ق - قم المقدسة.

في القرآن الكريم نقطة أساسية هي إلتزام التقوى. و حينما يريد المرء تجسيد صورة عن التقوى تتبادر إلى ذهنه معاني الصوم و الصلاة و العبادة و الذكر و الدعاء.

صحيح أنّ هذه المعاني بأجمعها يتضمنها مفهوم التقوى؛ إلا أنّ أيّا منها لا يعكس بمفرده معناها. فالتقوى تعني مراقبة الذات و أن يلتفت الإنسان إلى كل عمل من أعماله، و أن يصدر كل فعل من أفعاله عن قصد و فكر و إرادة و عزم و اختيار، كمثل الإنسان الذي يمتطي فرسا و يمسك زمامه بيده و يعلم إلى أين يريد المسير. هذا هو مفهوم التقوى.

أما من حرم من التقوى فأفعاله و قراراته و مستقبله ليس طوع يديه، تشبّهه أحد خطب نهج البلاغة بمن لا يعرف الفروسية و أركب - لا برغبته - فرسا صعبا جموحا، حتى و إن كان ركوبه برغبته فهو لا يعرف كيف يمسك بلجام الجواد... لا يدري أين يذهب به الفرس، أين ما ذهب به لا يملك خيارا آخر، و مثله لا نجاة له.

إذا نظرنا إلى التقوى بهذا المعنى يبدو لي من الممكن طي الطريق بنوع من السهولة، إنه لمن الصواب جدا أن يتمسك الشاب بمنهج الإسلام في الحياة. فهو إذا كان متديّنا، ينظر دوما و يراقب مدى صحّة أو عدم صحّة فعله و سلوكه و دراسته و علاقته و فهمه للأمور. و هذا التفكير - في صحّة أو سقم سلوكه - بحد ذاته تجسيد للتقوى.

حتى إذا لم يكن الشخص متديّنا و اتصف بهذه الخصلة - التفكير و المراقبة على نفسه - فهي تنتهي به إلى انتهاج سبيل الدين و التديّن، كما جاء في قوله تعالى: هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (1) فالقرآن لم يقل هدى للمؤمنين. أي أنّ الشخص إذا كان متقيا - بالمعنى الذي ذكرته للتقوى - حتى و إن لم يكن متديّنا، فهو بلا شك سيهتدي بهدي القرآن و يصبح مؤمنا.

حتى إذا لم يكن الشخص متديّناً و اتصف بهذه الخصلة - التفكير و المراقبة على نفسه - فهي تنتهي به إلى انتهاج سبيل الدين و التديّن، كما جاء في قوله تعالى: هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (1) فالقرآن لم يقل هدى للمؤمنين. أي أنّ الشخص إذا كان متقياً - بالمعنى الذي ذكرته للتقوى - حتى و إن لم يكن متديّناً، فهو بلا شك سيهتدي بهدي القرآن و يصبح مؤمناً.

و لكن إذا لم تكن لدى المؤمن تقوى لا يستبعد تزغع إيمانه إذا صادفته ظروف و أجواء غير إيجابية، إلا أن يحالفه الحظ و تكون الظروف إيمانية و الأجواء جيدة فسيثبت على إيمانه.

و على هذا الأساس إذا أتيح استثمار تلك الخصائص الثلاث و سددت إلى سبيل الهداية على نحو سليم، تتمخض عنها - على ما أعتقد - معطيات إيجابية و يعيش الشباب الحياة التي يرتضيها لهم الإسلام (2).

ص: 182

1- سورة البقرة: 2.

2- من كلمة ألقاها في 11 محرم و 1419 هـ

علينا أن نلجأ الى الله ونعوذ به من مضلات الفتن، و الطريق الى ذلك هو التقوى و الاستمرار في مراقبة النفس. و من هنا يدرك الإنسان سرّ التحول البالغ 180 درجة في بعض الشخصيات عبر التاريخ، فتحول من مؤمن مخلص صادق الى عدو معاند معارض لدود، فهؤلاء هم ذوو الإيمان غير المستقر.

و كما قلت فإن هذا الإيمان لا يستأذن الشخص عند زواله، بل يزول تدريجاً دون وعي الإنسان، فلا بد إذن من مراقبة النفس و الاستعاذة بالله.

الجملة الأخيرة فيما يتعلق بعهد الإمام (عليه السلام) الى مالك الأشر، و هو عهد عجيب، و إن الحكم فيه لا تعدّ و لا تحصى، و إن الإنسان ليستشعر الضآلة لعظمتها و عمقها، فقد جاء في هذا العهد: «و إنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها»⁽¹⁾، أي أنّ الناس إذا افتقروا فسوف يدبّ الخراب الى أرضهم.

و الإمام عليه السلام إنما يبين هذا الشيء كحقيقة، و ليس مجرد فلسفة، و الكلام لا يخص أرض مصر و إن كان الكلام موجهاً الى الوالي عليها، فهو يشمل سائر الأراضي الأخرى، فلو أمكن إغناء أهل الأرض أمكن عمارتها، و إن أفقرتهم أو أبقيت على فقرهم أو لم تتمكن من القضاء على فقرهم فسوف تتعرض أرضهم الى الخراب.

ثم يقول عليه السلام مضيفاً: (و إنما يعوز أهلها لأشراف أنفس الولاة على الجمع)، فسبب افتقار الناس يعود الى الحكام و الولاة، فهم الذين يعملون على

ص: 183

التقوى غاية الصوم

في هذه الآية فرض الله سبحانه وتعالى علينا الصيام محدداً التقوى غاية منه، لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (2) أي أن الصيام يعيننا على التحلي بالتقوى بما تعنيه من مراقبة النفس، وقد عرّفت الروايات التقوى بأداء الواجبات وترك المحرّمات، فمفهوم التقوى أن يراقب المرء نفسه؛ أي يراقب مسيرته وتوجهاته وتحركاته وزاده الفكري وإيمانه، فعلى الإنسان أن يراقب نفسه من أجل أن يحصل شيء ولا يحصل آخر، إذ من المتعارف أن الغاية من المراقبة أن يقع أمر دون أن يقع آخر فالذي نحرص على أن يقع هو سلوك الصراط المستقيم، فعلى مراقبة أنفسنا لأن نتحرك في الصراط الإلهي المستقيم وياتجاه الهدف الذي خلقنا من أجله وشخصه الإسلام لنا، وأن نحذر لئلا تقع في الانحراف والانزلاق، إذ أن طبيعة الإنسان الوقوع في المنزلق لأن عوامل الانزلاق والانحراف كامنة في أعماقنا، وإذا لم يتم ضبط وترشيد غرائزنا فإن بإمكان أيّ منها أن تصبح نافذة وقناة لسقوطنا وجنوحنا عن الصراط المستقيم...

لا-حظوا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام فإن أهم الفصول التي أولاهها اهتماماً وركّز عليها في كلماته هو فصل التقوى، فالتقوى تملأ نهج البلاغة من أوله إلى آخره، والدعوة إلى التقوى زخرت بها كتبه وخطبه، فالتقوى عماد فلاح الإنسان والمجتمع وعلينا أن لا نستهيين بها، كما أن التقوى ليست مما يفرض على الإنسان؛ بل لا بد لنا نحن من توجيه التحذير لأنفسنا وأن نلقن أنفسنا ذكر الله والتوجه إليه والاهتمام بالتكليف والتحلي بالصدق، وأن نحث أنفسنا لتجنب الانحراف عن الصراط

ص: 184

1- من كلمة ألقاها في: 1383/8/20.

2- سورة البقرة: 21.

المستقيم. فالصيام إنما يعيننا لسلوك هذا الطريق(1).

شهر رمضان يقربنا من التقوى

إن شهر رمضان فرصة للالتزام المزيد من التقوى، لماذا؟ لأن شهر رمضان شهر كَفَّ النفس وردعها، ويتمثل الحد الأدنى لهذا الردع في الامتناع عن الأكل والشرب واللذائذ الجسمية، غير أن أقصاه هو الامتناع عن المعاصي والأخطاء الأخلاقية والسلوكية، وهذا ما ورد في معنى الصيام وظائف شهر الصيام التي جاءنا الحث عليها والترغيب بها، فإذا ما صمنا فإن هذا الامتناع الذي نتمرس عليه خلال هذا الشهر يقربنا من تلكم التقوى والرقابة، إذ نراقب أنفسنا لنلأ نحيد عن الصراط المستقيم، وهذا الامتناع بمثابة المران والمراقبة في نفس الوقت، هذا هو تكليفنا.

في شهر رمضان يقدر الله سبحانه وتعالى لعباده بركاته ورحمته ففي رواية أن أبواب السماء مفتحة(2) في شهر رمضان أي إن العلاقة القلبية بين الإنسان وبين الله تعالى تغدو أكثر سهولة من أي وقت.

وفي رواية أيضا إن أبواب الجنة تفتح في شهر رمضان(3) أي أن الفرصة تنهياً أمام الإنسان للتوفيق لعمل الخير بفضل الصيام والتوجه والخشوع الذين يعدّان من لوازم الصيام، ولا تعني الفرصة - بطبيعة الحال - تحقق ما يصبو إليه الإنسان منها بل هي تستدعي منا الإرادة والدأب والرغبة والحركة(4).

ص: 185

- 1- من كلمة ألقاها في: 5 رمضان 1423 هـ - طهران.
- 2- انظر ثواب الأعمال: 65.
- 3- انظر مصباح الكفعمي: 633.
- 4- من كلمة ألقاها في: 5 رمضان 1423 هـ - طهران.

ثمره شهر رمضان هي التقوى

إن ثمره شهر رمضان هي التقوى ومخالفة هوى النفس: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (1)، وإن هذه التقوى وسيلة لبلوغ غاية أعلى: وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (2)، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (3) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ (4).

فإنما ينال العبد العلم والفلاح والرحمة الإلهية بفعل التقوى وأهمها الفلاح، فإذا كنا قد حصلنا على التقوى في هذا الشهر الشريف فعلى أن نحفظ به، فإنها ثمرة ثمينة، وهي شبيهة بالثمرة التي يحصل عليها زارعها بعد عناء طويل فيحصدتها ويحفظها في مكان أمين لتكون قوته خلال السنة.

فالتقوى التي حصلنا عليها في هذا الشهر ينبغي أن تكون ذخيرة لنا طوال السنة وعلينا أن نصونها من الأخطار التي تهددها والتي تتمثل بأنواع الوسواس والذباب والشهوات والأهواء والذنوب (5).

أثر شهر رمضان على القلوب

عيد الفطر هو عيد العبادة وعيد المغفرة، وهو عيد إنتهاء دورة مضغوطة من الترويض للمؤمن الذي يطمح إلى تسخير هذا الترويض لبناء وتقوية الأبعاد الخيرة والملكات الصالحة في ذاته، للاستفادة منها على امتداد السنة وطوال عمره؛ فهذه الرياضة الإلهية الشرعية وهذا الصبر على الجوع والعطش، وهذه المحاربة لأهواء

ص: 186

1- سورة البقرة: 21.

2- سورة البقرة: 189.

3- سورة الأنعام: 155.

4- سورة البقرة: 282.

5- من كلمة ألقاها في: (1383/8/24) الموافق: 30 /رمضان/ 1425 هـ

النفس و الشهوات البشرية تؤدي إلى تقوية الملكات الصالحة في الإنسان، لأن الإنسان في حقيقته عبارة عن مجموعة من هذه الملكات و الصفات و الخصال؛ فمن يتمتعون بصفات و خصال حميدة يغادرون هذه الدنيا بزاد وافر، فكل الأعمال العبادية و التقوى و سائر الواجبات المفروضة على الإنسان هدفها النهائي هو أن يتمكن الإنسان من أن يجعل من ذاته مجموعة من الملكات النورانية و يجعل من نفسه إنسانا حقيقيا و يصطبغ بصبغة إلهية.

الإنسان الذي اكتسب، بفضل شهر رمضان، القدرة على محاربة أهوائه النفسية، قد حقق في الواقع إنجازا باهرا، يجب عليه حفظه. و الإنسان الذي يعاني نتيجة استجابته لأهوائه النفسية و عاداته القبيحة إلى أبعد مدى، يستطيع في شهر رمضان التغلب على هذه العادة و الاحتفاظ لنفسه بها(1).

ص: 187

1- من كلمة ألقاها في: 1 /شوال/ 1420 هـ - طهران.

إشارة

إنّ لشهر رمضان ثلاثة أعمال ووظائف رئيسية، وإن كانت لجميع الأعمال الحسنة المقرّبة الى الله فضيلة كبيرة، فقد ورد أنّ «أنفاسكم فيه تسبيح، و نومكم فيه عبادة»⁽¹⁾ انظروا كم هي فضيلة هذا الشهر، وهذا لا يختصّ بالصائمين فقط، بل يشمل الذين تعذّر عليهم الصيام أيضا، فهم خسروا الصيام و لم يخسروا شهر رمضان، فالجميع يستفيد من شهر رمضان حتّى المعذور لسفر أو مرض أو شيء آخر، إذن هناك ثلاث وظائف رئيسية في هذا الشهر:

الصيام

1 - الصيام، فإنّه شيء ثمين، فإن وقّتم لصيام هذا الشهر، فاعتبروه نعمة كبيرة من جانب الباري سبحانه و تعالى، فتحمل الجوع و العطش يلطّف الروح، طبعاً قد تذهب اللطافة و تدنّس الروح بالذنوب، فعند ما تغسل الثياب بأفضل أنواع المساحيق (المنظّفات) كذلك يمكن توسيحها و تلوّثها بالطين و الأوساخ. إذا عند ما يقال أصبح نظيفاً لا يعني أنّه لا يمكن توسيحها، كلا، بل النظافة بمعنى إمكانية الاستفادة من تلك اللطافة و الطهارة؛ فإن صلّى بتلك اللطافة فصلاته مقبولة حتماً، و هذه الصلاة هي معراج المؤمن و تقربه الى الله تعالى، و إلاّ فالصلاة بحالة كسل و روح ملوثة دون خشوع و توجّه لا تكون «قربان كلّ تقي»⁽²⁾ و «معراج المؤمن»⁽³⁾ إذا الصوم في

ص: 188

1- بحار الأنوار: 356/93 ح 25.

2- تفسير نور الثقلين: 205/4 ح 51.

3- مستدرک سفينة البحار: 343/6.

نفسه مطهر للإنسان - وهذه الطهارة قيّمة - ويذهب الذنوب، يوقظ الإنسان و ينبّهه و كذا يذكره بالجوع، فقد ورد في الحديث «واذكروا بجوعكم و عطشكم فيه جوع يوم القيامة و عطشه»(1).

قراءة القرآن

2 - تلاوة القرآن: و قد تحدّثنا حولها كثيرا، إنّها من الوظائف الكبيرة؛ فكم هي قيمة تلاوة القرآن و ختمه و تمرير معارفه في الذهن و لولمة واحدة، إنّ فضيلة قراءة جزءين من القرآن دون تأمل و تدبّر أقلّ من قراءة سطرين منه بتدبّر و إمعان، و كلّما كثرت قراءة القرآن - طبعا بتدبر و توجّه للمعنى - كلما كانت أفضل، و من لا يفهم العربية فعليه بالقرآن المترجم، فإن لم تكن هناك ترجمة في السابق، لكن الآن و لله الحمد فتوجد أربع الى خمس ترجمات أغلبها جيّدة، فعليكم بتلك الترجمات و تدبّروا في كلّ آية تقرؤنها لتروا فيها الخير الكثير(2).

تجسد اللذة الظاهرية عذابا

3 - تجسيد اللذة: في الحديث الشريف: «الصيام جنة العبد المؤمن يوم القيامة كما يقي أحدكم سلاحه في الدنيا»(3).

ما هي خصيصة الصيام حتّى يكون غدا (جنة من النار)؟

إن الصيام عبارة عن كفّ النفس، و نهيها عن الهوى، و هو مظهر للصبر عن

ص: 189

1- بحار الأنوار: 356/93.

2- من كلمة ألقاها في: 1 رمضان 1414 هـ

3- بحار الأنوار: 249/93 ح 14.

المعاصي و التغلب على الشهوات، و من هنا فقد جاء في الأحاديث الشريفة تفسير الصبر في قوله تعالى: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ (1) بالصيام.

إن مدة الصيام رغم محدوديتها، حيث تستغرق بضعة ساعات من أيام شهر واحد من السنة، إلا أنها نموذج لمسيرة الإنسان الأساسية، لأن الأهواء النفسية هي الطريق التي تؤدي بالإنسان الى ارتكاب المعاصي، و لا يذهبن بكم التصور الى أن ما تشتهيهِ الأنفس و الذنوب متلازمان و لا يمكن انفكاكهما عن بعضهما، إذ يدخل بعض ما تشتهيهِ النفس في الحلال، إلا أن إلقاء حبل النفس على الغارب و تركها أسيرة لمشتهاياتها هو الذي عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله في نهج البلاغة: (حمل عليها أهلها) (2). فكما يحمل الإنسان على الصعبة التي تقتحم به في المهاوي، فإن أهواء النفس تقود الإنسان نحو الذنوب.

و هذا المعنى هو الذي ترمي إليه الآية الشريفة التي تقول: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا (3). فإن اللذة الظاهرية التي تبدو في هذه الحياة الدنيا من أكل مال اليتيم، تتجسد على حقيقتها عذاباً في الحياة الحقيقية حيث ترتفع الحجب على الإنسان و تمثل الحقائق أمامه: هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ (4). (5).

ص: 190

1- سورة البقرة: 45.

2- نهج البلاغة: 48/1.

3- سورة النساء: 10.

4- سورة يوسف: 30.

5- من كلمة ألقاها في: 121383/8/6 /رمضان/ 1425 طهران.

نحن مطالبون بالتحدث و تذكر الأخلاق الإسلامية، و الجوانب المعنوية، و أن ننبه الناس إلى عدوهم الباطني الذي هو النفس الأمارة أو الشيطان الرجيم، و إلى عدوهم الاجتماعي الذي هو الشيطان الأكبر أو غيره من الشياطين الصغار إضافة إلى تنبيههم إلى عملاء الشيطان و أذنبه.

و عند ما تتخذ العبودية لله هذه الصيغة التي تجعل الإنسان يجتنب أعداء الله و يتبرأ منهم، يجب عليه التبري من جميع تلك الأشكال.

قد يتجسد أعداء الله أحيانا بالنفس الأمارة؛ «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»⁽¹⁾، و قد يتمثل بالشيطان الذي يصفه الدعاء الوارد في الصحيفة السجادية بأنه: جعلته في وجودي و مكنته ما لم تمكّني منه، و قد يصدق تارة اخرى على شياطين الساحة السياسية الذين يتربصون لإغواء الشعوب و سلبها و التسلط عليها و ضربها و سوقها إلى جهنم.

هؤلاء هم أعداء الله، و الدعوة إلى العبودية تفرض عليكم التبري منهم، و لا مناص

ص: 191

لكم من ذلك(1).

إنّ مسألة تهذيب النفس و جلائها هي مسألة أساسية و مهمة لكلّ واحد منّا في أيّ مكان و أيّة مسؤولية كان. فلا تستصغروا الفرص و لا تحطّوا من قيمتها. فالتصرّع و التوسّل إلى الله و العلاقة الوطيدة مع الله هي امور لها دورها الأساسي و الفعّال في تهذيب النفس(2).

ثمة ميزة تعود نفعها لكم في هذه الحياة و تشمل الآخرين أيضا في منفعتها فيما لو توفرت فيكم، كما أن منفعتها تمتد إلى مرحلة ما بعد الموت و النشأة الآخرة، و هي تهذيب النفس؛ فعليكم بتطهير أنفسكم الذي يتسنى للشباب عن طريق الولوج في المعارف الدينية الإلهية و طرق أبواب العلوم الإنسانية و العمل الديني السليم(3).

أهمية تهذيب النفس

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «إن الله تبارك و تعالى أخفى أربعة في أربعة:

أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئا من طاعته فربما وافق رضاه و أنت لا تعلم، و أخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرون شيئا من معصيته فربما وافق سخطه و أنت لا تعلم، و أخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئا من دعائه فربما وافق إجابته و أنت لا تعلم، و أخفى وليّه في عباده فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله فربما يكون وليّه و أنت لا تعلم»(4).

لقد أخفى الله تعالى أربعة أمور في أربعة أمور:

1 - فأخفى رضاه و سروره في موارد طاعته، و لذلك فلا ينبغي أن يستصغر الإنسان

ص: 192

1- من كلمة ألقاها في: 23 شعبان 1418 هـ - طهران.

2- من كلمة ألقاها في 7 ذي الحجة 1414 هـ

3- من كلمة ألقاها في: 2 ذي الحجة 1241 هـ - طهران.

4- الخصال/باب الأربعة/ح 31.

شيئا من موارد الطاعة، لأنه قد يكون هذا الأمر العبادي صغيرا في نظرك ولكن رضا الله موجود فيه.

2- وأخفى غضبه وسخطه في معصيته، ولذلك لا ينبغي للإنسان أن يحقر ويستصغر أية معصية من المعاصي، لأنه يمكن أن تكون هذه المعصية التي اعتبرها صغيرة تشتمل على غضب الله وسخطه.

3- وأخفى إجابته في دعائه فقال: أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ (1) ولكن ليس كل الأوعية تستجاب، وذلك لوجود الموانع من الاجابة إلا أنه مع ذلك فقد أخفى إجابته ضمن مجموع هذه الأوعية فلا يعلم أي دعاء هو المستجاب، ولذلك لا ينبغي التقصير في الدعاء بل يجب أن يبادر الى الدعاء في كل الظروف المقتضية له إذ لعله يوفق للدعاء المستجاب.

4- وأخفى أولياءه في عبادته، ولذلك لا ينبغي استصغار أو تحقير أو إهانة أي عبد من عباد الله إذ يحتمل أن يكون وليا لله، و من المعلوم أن إهانة أو إحتقار اولياء الله تعالى هي مبارزة و معاندة لله تعالى. (2)

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ أحقَّ الناس أن يتمنى للناس الغنى البخلاء، لأنَّ الناس إذا استغنوا كفوا عن أموالهم.

وإنَّ أحقَّ الناس أن يتمنى للناس الصلاح أهل العيوب.

وأحقَّ الناس أن يتمنى للناس الحلم أهل السفه، الذين يحتاجون الى أن يعفى عن سفههم.

فأصبح أهل البخل يتمنون فقر الناس، وأصبح أهل العيوب يتمنون معائب الناس، وأصبح أهل السفه يتمنون سفه الناس.

ص: 193

1- سورة غافر: 60.

2- كلمات مضيئة: 45.

وفي الفقر الحاجة الى البخيل، وفي الفساد طلب عورة أهل العيوب، وفي السفه المكافاة بالذنوب»(1).

إنَّ أحقَّ وأولى الناس لأن يتمنى للآخرين الغنى والثروة هم البخلاء. لأن الله تعالى إذا أعطى المال والثروة لكل الناس فحينئذ لن يطمع أحد في أموال البخلاء.

وإنَّ أحقَّ وأولى الناس لأن يتمنى للآخرين الصلاح والتحلي بالأخلاق والفضائل الحسنة هم أهل العيوب، لأنه إذا أتصف الناس بالصلاح فإنهم لا يفتشون عن معائب الآخرين.

وإنَّ أحقَّ الناس لأن يتمنى للآخرين الحلم والصبر والتحمل هم أهل السفه، (المراد من السفهاء هنا الذين يتعاملون مع الآخرين بسوء الأدب ويتصرفون في معاشرتهم وعلاقتهم مع الناس تصرفات غير مؤدبة).

ثم يبيِّن الإمام عليه السلام أحوال الناس في زمانه وأنهم أصبحوا على عكس ما ذكره: فالبخيل أصبح يتمنى فقر الناس مع أن في فقر الناس الحاجة إليه.

وأصحاب العيوب أصبحوا يتمنون معائب الناس مع أن في معائب الناس طلب عيوبهم وعوراتهم.

وأهل السفه أصبحوا يتمنون سفه الناس مع أن في سفه الناس التكافؤ في الذنوب وردّ الذنب بالذنب لا بالعفو.

إنَّ هذه الرواية من لطائف روايات أهل البيت عليهم السلام(2).

وقال علي بن الحسين عليه السلام: «إبن آدم، إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، و ما كانت المحاسبة من همّك، و ما كان الخوف لك شعارا، و الحذر لك

ص: 194

1- الخصال/باب الثلاثة/ح 188 /

2- كلمات مضيئة: 43.

الإنسان وإن كان لا يستغني عن وعظ الآخرين له إلا أنّ الموعظة الأفضل هي الموعظة الناشئة من داخله، لأن كل شخص أعرف من كل الناس بعيوبه وصفاته.

و يجب أيضا أن يكون همّه في محاسبته نفسه فإنه إذا لم يحاسبنا الآخرون فهذا لا يكون دليلا و حجة على أن لا نحاسب أنفسنا لأن محاسبة النفس تجنّب الإنسان في المستقبل من الوقوع في الزلّات.

و المقصود من الخوف هنا الخوف من الله تعالى و عذابه و أعمال الإنسان السيئة، لا الخوف من الناس و القوى المتهاففة.

و الحذر معناه الإحتياط و لكن لا بمعنى أن لا يقدم الإنسان على القيام بالنشاطات و يحجم عنها، بل يجب على الإنسان الدخول إلى مختلف الميادين و الساحات و لكن مع مراعاة الإحتياط و الورع و هذا هو معنى التقوى أيضا(2).

و قال أبو جعفر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي: «و أوصيك بخمس: إن ظلمت فلا- تظلم، و إن خانوك فلا تخن، و إن كذّبوك فلا تغضب، و إن مدحت فلا تفرح، و إن ذممت فلا تجزع»(3).

ليس المراد من الجملة الأولى أنه لا تردّ على الظلم حتى و إن كان جوابك و ردّك له عادلا، بل المراد أنّ الظلم لا يجاب بالظلم، لأنّ الظلم قبيح دائما حتّى و إن كان في مقابل الظلم.

و كما جاء في قوله تعالى: وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا... (4).

و المراد من الجملة الثالثة (إن كذّبت...) هو أنّه في مقابل تكذيب الآخرين لك لا

1- تحف العقول، صفحة: 280.

2- كلمات مضيئة: 47.

3- تحف العقول، صفحة: 282.

4- سورة المائدة: 8.

تغضب لا أنه لا تستدل على إثبات صحة كلامك.

والجملة الأكثر حساسية وصعوبة هي القسم الأخير من هذه الوصية (وإن مدحت...) وذلك لأن قوة النفس تحتاج إلى التعالي لكي لا يدخل عليها الفرح بمدح الآخرين.

وهذا أحد طرق معرفة الشيطان حتى أن شياطين الإنس الذين لا يقلّ خطرهم عن خطر شياطين الجن ينفذون إلى داخل الإنسان من هذا الطريق.

ولذلك قال الإمام عليه السلام لجابر: يا جابر لا تتخضع مقابل مدح الآخرين ولا تفرح بذلك.

وكذلك لا تجزع إن ذمّوك.

وهذا المطلب لا يتنافى مع تأثر قلب الإنسان عند ما يكذبه الآخرون إلا أنّ هذا الأمر لا ينبغي أن يؤدي به إلى الجزع والفرع.

والأفضل للإنسان في مثل هكذا ظروف أن يغتنم الفرصة لمراجعة نفسه فينظر هل هذه الصفات موجودة في نفسه أم لا؟⁽¹⁾.

ص: 196

1- كلمات مضيئة: 48.

اعلموا أنه يكمن في وجودكم عنصر نفيس و ثمين جدًّا، و للأسف قد مزج في كثير من الحالات بالتراب و النحاس و بأشياء اخرى لا قيمة لها، و إنَّ في داخل نفوسكم حرباً قائمة مزجت بالأشواك، و إنَّ جميع الجهود و المساعي التي بذلها الأنبياء عليهم السّلام كان الهدف منها هو أن تتمكّن من تنقية ذلك العنصر الثمين في نفوسنا من الشوائب، كما أنّ الاختبارات الإلهية كلّها من أجل تحقيق هذا الهدف، و الشدائد التي تتعرض لها في الدنيا هي من أجل تحقيق هذا الهدف، و التكاليف الشاقّة التي يضعها الباري على الناس هي لتحقيق هذا الهدف، و الجهاد في سبيل الله لتحقيق هذا الهدف أيضًا.

وإنَّ السبب الذي جعل الشهيد يحوز كلّ هذه المنزلة العظيمة عند الله عزّ و جلّ هو أنّه بجهاده العظيم قد وضع نفسه في طريق التضحية، و بهذا استطاع تنقية نفسه من جميع الشوائب التي تعلق بها، فالتنقية هنا هي كتنقية الذهب ممّا يعلق به من شوائب.

و هذا الشهر هو شهر التنقية. و لو نظرنا بامعان لوجدنا أنّ التنقية في هذا الشهر هي أيسر و أسهل من الطرق الاخرى للتنقية، فبإمكاننا تنقية أنفسنا في هذا الشهر المبارك بالصيام و مجاهدة النفس.

إنَّ أغلب الضلال و الانحراف الموجود في العالم، إمّا أن يكون ناشئاً من الذنوب و المعاصي التي تصدر ممّن، أو من الخصال السيئة الموجودة فينا ثمَّ كان عاقبة الذين أسأوا السّواي أنّ كذّبوا بآياتِ الله (1) فعاقبة المعاصي هي الضلال؛ ما لم يتلأأ نور

ص: 197

التوبة في قلب الإنسان.

والذي جعل الأئمة يؤكّدون علينا دوماً - بأنكم إذا أذنبتم فبادروا إلى التوبة عقب ذلك الذنب، واندموا على تكرار المعصية، صمّموا على ألا تصدر منكم معصية فيما بعد - هو أنّ السقوط في مستنقع المعصية هو شيء خطير للغاية. ففي بعض الأحيان يصل الإنسان إلى مستوى لا يكون لديه طريق للعودة. هذا هو أحد أسباب الضلال الذي يحصل للإنسان.

أمّا السبب الآخر فهو الخصال السيئة الموجودة في نفس الإنسان، و دور الخصال السيئة أكبر من دور المعاصي الفعلية التي يرتكبها الإنسان، فلو أنّنا كنّا متكبرين، ولو كنّا أنانيين، ولو كنّا مستبدين بآرائنا ونخطي الجميع في كلّ شيء وفي كلّ حديث و كلّ نظرية، ونقول نحن الذين نفهم بشكل صحيح فقط، ونحن الذين نعمل بشكل صحيح فقط ولا نصغي لاستشارة ولا لكلام حقّ ولا لمنطق ولا لإستدلال، فلو تأصل الحسد في نفوسنا بحيث أصبحنا نرى الجميل قبيحا ولم نكن على استعداد للإقرار بالحقيقة الناصعة التي تقع في مكان ما، ولو صدّنا حبّ الشهرة و حبّ المال و حبّ المنصب عن القبول بالحقّ، فهذه جميعها من الصفات الخطيرة التي تبعث على الضلال في حياة الإنسان.

فأغلب الذين تشاهدونهم ضلّوا في العالم كان ضلالهم عن هذا الطريق، وإلا «كلّ مولود يولد على الفطرة»⁽¹⁾ و الطهارة موجودة في جميع النفوس و الجميع لهم ضمير يقبل بالحقّ إلاّ أنهم يغطون على هذا النبع الوضّاء بالأهواء النفسية و الخصال السيئة، التي يكون بعضها وراثيا، وبعضها إكتسابيا.

إنّ علماء الأخلاق - و الأخلاق هي إحدى فروع العلوم أيضا، وبالرغم من أنّ الأخلاق العملية لها قيمة كبيرة بالنسبة لنا، إلاّ أنّ هناك أخصائيين في هذا المجال كما

ص: 198

يوجد اخصائيون في المجالات الاخرى - يقولون: إنَّ بإمكان الإنسان تغيير حتّى الأخلاق الوراثيّة، فبإمكاننا تغيير التكامل الذاتي و الطمع الذاتي و البخل الوراثي و الحسد الوراثي و العناد الوراثي. فالبعض معاندون و مهما وضع الإنسان أمامهم من حقائق فإنّهم يصرون على موقفهم المعاند، و هذا من شأنه أن يبعد الإنسان عن الحقيقة.

و حينما يعاند الإنسان أول الأمر يدرك نور الحقيقة شيئاً ما؛ و لعلّه يشعر بأنّ موقفه موقف معاند، و لكن حينما يتكرّر ذلك منه فإنّه سوف لن يدرك بأنّ باطنا كاذبا و إيماننا بعقيدة باطلة يتكوّن لديه، بحيث أنّه إذا رجع إلى نفسه و تعمّق فيها فسيرى أنّ تلك ليست عقيدة و ليست ناشئة من أعماق النفس بل هي شيء في ذهنه فقط، إلاّ أنّ العناد لا يدع صوت الحقيقة و نداء الحقّ يصلان إلى قلب الإنسان(1).

ص: 199

1- من كلمة ألقاها في 3 رمضان 1415 هـ

إنّ الإبتهاال إلى الله تعالى و الإتصال القلبي به كفيل بإقتدار ورسوخ القوى التي تريد تحدي و مقاومة تلك الجبهة. و لا طريق آخر سوى هذا.

إذا ضعفت هذه الصلة بالله، و وقع الإنسان صريع نزواته، و صارت توجهاته محكومة بأهوائه، تضعف عند ذلك قدرته على مجابهة العدو.

الإنسان في معرض الأهواء و الرغبات، و ليس من اليسير صيانة الإنسان بالمرّة عنها، إلاّ أنّ المهم هو أن لا يسمح للأهواء النفسية و المصالح المادية و الرغبات التافهة أن ترسم للإنسان مسار حياته، و تعيّن له النهج الذي يقتفيه، و يكون لها دور حاسم و قدرة على استبدال السبيل الذي يسلكه.

إنّ ما من شأنه تقليل الأضرار في هذا المجال هي تلك القضايا المعنوية و الأخلاقية و الدعاء و الذكر و التوجّه إلى الله و تهذيب النفس و بناء الذات و تطهيرها من الرذائل، و هذا السلوك على قدر كبير من الأهمية. نعم ما أكثر الأشخاص الذين يكثرون من الدعاء و الذكر و ما شابه هذه الأعمال، لكنهم لم ينجحوا في استئصال الرذائل و الأنانية و الكبر و البخل و الحرص و الحسد و الحقد و سوء الظن و الكيد لهذا و ذلك، من نفوسهم، أو إلغاء تأثيرها على سلوكهم.

و على العكس من ذلك تلك الجذّة الأخلاقية التي أرادها الإسلام للناس؛ فالإسلام أراد للناس أن يتراحموا في ما بينهم، و أن يهتم كل منهم بمصير الآخر، و يحرص على مصالحه، و أن يشارك الآخرين في معاناتهم و يسعى في تصحيح أخطائهم، و أن يدعو أحدهم للآخر، و أن يتعاملوا بالمودة و الرأفة قال تعالى: **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (1)**. و هي المحبّة بين الأخوة، و بين الأصدقاء، و بين الأخوات، و بين أفراد الأمة الإسلامية، و الارتباط العاطفي، و حب الخير للآخرين، صفات فاضلة و نبيلة، و يجب على المرء أن يعمل للإستزادة منها.

وعلى العكس من ذلك تلك الجذبة الأخلاقية التي أرادها الإسلام للناس؛ فالإسلام أراد للناس أن يتراحموا في ما بينهم، وأن يهتم كل منهم بمصير الآخر، ويحرص على مصالحه، وأن يشارك الآخرين في معاناتهم ويسعى في تصحيح أخطائهم، وأن يدعو أحدهم للآخر، وأن يتعاملوا بالمودة والرفقة قال تعالى: **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (1)**. وهي المحبة بين الأخوة، وبين الأصدقاء، وبين الأخوات، وبين أفراد الأمة الإسلامية، والارتباط العاطفي، وحب الخير للآخرين، صفات فاضلة ونبيلة، ويجب على المرء أن يعمل للإستزادة منها.

إن أقيح ما في الإنسان من صفات هو أن يجعل ذاته و مصالحه المادية محورا، ويكون مستعدا لتدمير وإيذاء أناس كثيرين في سبيل إشباع رغباته الخاصة. هذه الصفات ينبغي معالجتها واجتثاث جذورها من قلوبنا. وهذه المعاني موجودة في تلك الأدعية.

على الرغم مما نقل إلينا من أدعية مأثورة عن جميع الأئمة عليهم السلام - على ما أتصور - إلا أن المثير في الأمور هو أن أكثرها وأشهرها هو المنقول عن ثلاثة أئمة كانوا قد قضوا أعمارهم في صراعات كبرى و مريرة. أولهم أمير المؤمنين عليه السلام الذي نقل عنه دعاء كميل، و أدعية اخرى فيها معان و مفاهيم كبيرة. و من بعده الأدعية المروية عن الإمام الحسين عليه السلام؛ كدعاء عرفة الذي يزخر حقًا بمثل تثير الدهشة. ثم من بعدها الإمام السجاد عليه السلام، ابن واقعة عاشوراء و حامل رسالتها، و المجاهد في قصر الجور؛ قصر يزيد. هؤلاء هم الأئمة الثلاثة عليهم السلام الذين كان لهم الدور الأبرز في ميادين الصراع، و الأدعية المأثورة عنهم هي الأعمق، و العبر المستقاة من أدعيتهم هي الأكثر.

تأملوا هذه السجاياء الأخلاقية الواردة في الصحيفة السجادية.

أوصيكم أيها الأعزاء فردا فردا، أن تأنسوا جهد المستطاع بمضامين الصحيفة السجادية فهو كتاب عظيم. وإذا وصفت بأنها زبور آل محمد صلى الله عليه وآله، فهي هكذا حقًا، فهي زاخرة بالسجع المعنوي، هي دعاء و دروس؛ دروس في الأخلاق، و في علم النفس، و في الشؤون الاجتماعية. تأملوا هذا الجملة الواردة فيها: «اللهم إني أعوذ

ص: 201

بك من هيجان الحرص و سورة الغضب، وإلحاح الشهوة»(1).

إنه يبين لنا - بلسان الدعاء - كل واحدة من السجايا المعنوية والأخلاقية، والجذور الفاسدة التي تعتمل في نفوسنا.

يجب أن تسألوا الله تعالى حين الدعاء والمناجاة، الخلاص والنجاة من هذه المشاكل الداخلية والنفسية. والمجتمع الذي تنشأ مجموعة كبيرة من أفرادها على هذه الخصائص التربوية لا تؤثر فيه أي من تلك الأساليب المعادية.

لو أن الدعاء والتوسل المقرون بالمعرفة اتخذ في هذا المجتمع منهجا وسلوكا - بأن يكون التوسل عن معرفة وليس بلا معرفة ولا إدراك، أي بالمعنى الصحيح للتوسل الذي أوصانا به القرآن، والروايات المنقولة عن الأئمة، ونهج البلاغة ويمكن أن تكون الصحيفة السجادية خير معين لنا في هذا الصدد. توجهوا إلى هذا المعنى وإلى هذا المقام المعنوي، تعارفوا مع الأدعية، وعرفوا هذا النهج للشبان الآخرين، ولأبنائكم. وأن يكون ذلك.

في قالب كلمات الإمام السجاد عليه السلام التي وردت في الصحيفة السجادية، وأمثال ذلك، ونهج البلاغة يتضمن طبعا نفس هذه الروح المعنوية - يكون هذا المجتمع حينذاك مجتمعا يخشاه كل عدو مستكبر، ويفقد الأمل بإمكانية احتوائه أو هضمه.

وعليه أن يعلم أنه طالما كانت روح الإسلام، ومعنوية الإسلام، والتعبّد بالإسلام، والإعتقاد بالإسلام موجودا في المجتمع، يستحيل على أي عنصر أن يزيغ بهذا الشعب وهذا المجتمع عن صراط الثورة الإسلامية المستقيم(2).

ص: 202

1- الصحيفة السجادية: 57 ح 8.

2- من كلمة ألقاها في: 3 شعبان 1418 هـ - طهران.

إشارة

هناك أمور أخرى لا تتوفر للإنسان إلا في بعض الأحيان التي تفتح فيها أبواب الرحمة الإلهية وأبواب السموات والجنان و تهبّ الانفاس الفردوسية على حياتنا المادية والدينية، فهذه ليست دائمة بل هي حينية كما أشار إلى ذلك الحديث الشريف عن أهل البيت عليهم السلام: «إنّ لله في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها»⁽¹⁾ فطوبى لمن وقع في طريق هذه النفحة الإلهية في هذه اللحظات النادرة و استغلها.

فمن الممكن حدوث ذلك في فترة من التاريخ لكن من النادر أن تصبح هذه النفحة عامّة.

فهذه الثورة العظيمة - التي حصلت في إيران - نفحة من النفحات الإلهية. أنتم شباب تملكون فكرا منفتحا ووعيا، و وهبكم الله قلبا نقيّا و حسّاسا، فتأملوا و تدبّروا في أوضاع الدنيا و سيرها الجنوني نحو المادية، ثم ارجعوا الى بلدكم و مجتمعكم، الى انبثاق حكومة و نظام بقيادة عارف إلهي محظ ليس له أدنى ارتباط بالماديات حسب ما اعتاد عليها الناس، و مبنية على الأفكار و المبادئ الإلهية، فتأملوا هذه النفحة الإلهية العظيمة في إيران الإسلامية، و وجود ذلك الرجل العظيم - الخميني - و كلامه كان إحدى النفحات الإلهية التي اخذت منّا.

إنّ مصيبة الحرب هي أيضا من النفحات الإلهية القيّمة التي فتحت من خلالها أبواب الجنة علينا، طبعاً لا يعتقد أحد أننا نحبّ الحرب و إننا فرحنا لثمان سنوات من الحرب، كلاً؛ فالحرب كانت مصيبة و بلاء و شدة لكن «في الصعاب يظهر الفضل

ص: 203

فلا بدّ من الابتلاءات العظمى ليموج بحر الفضائل الأخلاقية في باطن الإنسان بصورة معجزة لا عادية و تقوى القيم و المبادئ الإنسانية و الخصال المعنوية، فأنتم الشباب الذين شهدتم الحرب و اكتسبتم التجارب و لمستم أخطار الحرب بجلودكم و لحومكم و عظامكم، و التجأتكم في تلك اللحظات الى الله عزّ اسمه، إعلموا أنّكم حظيتم ببحر من المعنويات(1).

الإبتلاء سلّم لتقدم الإنسان

إننا إذا أمرنا الناس بالصبر على المصائب لا يعني ذلك أن يستسلموا للمصيبة، بل عليهم عكس ذلك، لقد كان الماديون في أيام شبابنا يقولون: إن الأديان الإلهية تدعو الطبقات المحرومة و المستضعفة و الطبقات العمالية إلى الصبر و عدم المطالبة بحقوقها، و هذه ليست سوى تهمة توجه إلى الأديان الإلهية و عكسها هو الصحيح.

نحن نعتقد أن كل إنسان يمكنه في ظل النظرة الواقعية إلى الحياة - سواء جميلة كانت أو مريرة - أن يبلغ قمة التعالي المعنوي، و أن يواجه المصائب برباطة جأش و هذا مهم جدا، و هو لا يعني عدم مطالبته بحقوقه، إلاّ أنه مع مطالبته بحقه يعلم أنه لا يصبر على مكروه قربة إلى الله، إلاّ و أثابه و أرضاه في حياته الحقيقية التي سينتقل إليها بعد وفاته(2).

و ليس هناك من يبخر حقه في الحسابات الإلهية، فالمتمكن يحصل على ثواب بأزاء عمله الصالح، و المحروم يحصل على ثواب أكبر بأزاء ذلك العمل الصالح، فالذي يصاب بالزلزال مثلا يكون أجره محفوظا عند الله، و كذلك الذي يفقد أحبته

ص: 204

1- من كلمة ألقاها في: 12 ربيع الأول 1414 هـ - طهران.

2- كما يأتي تفصيله عند الكلام عن الصبر.

و الذي يتحمل الصعاب و يقاسي آلام الحياة.

يؤكد الإسلام أن على الإنسان أن يسعى، و أن يبذل الصعاب و المرارات بحدود طاقته البشرية إلى سعادة و هناء.

أي أن عليه السعي من أجل إحقاق الحق، و لكن في الوقت نفسه عليه أن يعلم أنه يثاب على المرارات و المنغصات التي يواجهها في حياته.

فعلى المتضررين بالزلازل و الفاقدين لأحبتهم أن يعلموا أنهم إذا توجهوا إلى الله فإنه سيعوضهم عما فقدوه، فلا يستوي المصاب بالزلزلة عند الله مع غير المصاب بها، فإن للأول أجرا لا يحظى به الثاني.

إن جميع مصائب الدنيا سلم لتقدم الإنسان و الأمة

أثناء الحرب المفروضة احيط بنا من كل جانب، و حالوا دوننا و دون وصولنا إلى العلم و المعرفة و الإبداع و منعونا من الوصول إلى ما نفتقر إليه، و حرمونا من أبسط الأسلحة الدفاعية، إلا أن شعبنا إستثمر هذه الصعوبات و المضايقات لصالح تقدمه.

إن العالم المعاصر يخشى من السلاح النووي للشعب الإيراني، فبرغم أننا لا نسعى إلى امتلاك هذا السلاح إلا أن إيران قد بلغت من الإمكانيات العلمية مرحلة أخذ معها العالم المتطور و الذي يمتلك أسلحة نووية مدمرة، يخشى من الشعب الإيراني المسلم و شبابه و علمائه.

و هذا تقدم كبير، فكيف حصلنا على هذا التقدم؟ لقد تمكن الشعب الإيراني من امتطاء الصعاب و المصائب و جعلها سلماً لرفع نفسه، و هذا ما حصل بالفعل.

تتصور القوى الإستكبارية أن بيدها مفتاح سعادة الشعوب و تعاستها.

و طبعا هذا يصح بالنسبة إلى الشعوب الخائعة التي لم ترفع عزمها و إرادتها شعارا لها، و قد رأينا شعوبا مسلمة لم تستخدم إرادتها، و لذلك أصبحت حياتها و موتها قبضة تحت قبضة الأجانب، حتى بسطت هيمنتها عليها.

وَأَمَّا إِذَا أَخَذَ الشَّعْبُ بِزَمَامِ أُمُورِهِ وَامْتَلَكَ عَزْمَهُ وَإِيمَانَهُ وَإِرَادَتَهُ وَآمَنَ بِهَوِيَّتِهِ وَشَخْصِيَّتِهِ، فَسَوْفَ لَا يَكُونُ بِإِمْكَانِ أَيِّ قُوَّةٍ أَنْ تَهَيِّمَنَ عَلَيْهِ.
وَيَسْتَطِيعُ الْحَصُولَ عَلَى مَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ الْعَالَمُ الْغَرْبِيُّ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّوَكُّلِ، مِنْ خِلَالِ صَمُودِهِ وَعَزْمِهِ وَإِرَادَتِهِ الرَّاسِخَةِ وَالْحِفَازِ عَلَى إِتْحَادِهِ
وَتَلَاوُحِهِ (1).

ص: 206

1- من كلمة ألقاها في: 1384/2/14 هـ ش - محافظة كرمان.

إن إحدى الوسائل المؤثرة جدًّا في تهذيب النفس و تربيتها هو تحمّل الجوع و مقاومة الأهواء و الشهوات.

«شهر رمضان شهر الإسلام» كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام أي شهر (إسلام الوجه لله) يعني التسليم لله، فلما ذا يتحمّل هذا الشاب الجوع و العطش و يقف في مقابل جميع الغرائز التي تقوده نحو الأهواء و الشهوات؟ إنّه يتحمّل ذلك امتثالاً لأمر الله.

و هذا هو التسليم لله تبارك و تعالى، و لا يوجد لدى المسلم في أيّ يوم عادي من أيّام السنة و بالصورة الطبيعيّة كلّ هذا التسليم لله كالذي يكون لديه في أيّام شهر رمضان وفق الصورة الطبيعيّة. إذن هو شهر الإسلام و شهر التسليم.

ثمّ يقول عليه السّلام: و «شهر الطهور» ففي هذا الشهر يوجد شيء يطهّر أرواحنا، فما هو ذلك الشيء؟ إنّه الصيام، و تلاوة القرآن، و الدعاء و التصرّع، و كلّ هذه الأدعية هي موائد الضيافة الإلهيّة في هذا الشهر المبارك.

كما أنّ القرآن الكريم هو إحدى تلك الموائد، و كلّما تكون استفادتكم أكبر من هذه الموائد ستكون بنيتكم المعنويّة أقوى و ستكونون أقدر على تحمّل الصعاب في طريق الكمال و السمو، و ستكون السعادة أقرب إليكم.

ثمّ يقول عليه السّلام: و «شهر التمهيص». التمهيص هو تنقية النقي أي نكون نقيين و خالصين من خلال هذا الشهر.

إنّ المساجد ليس فقط في عصرنا هذا وفي بلدنا الإسلامي العزيز بل في جميع أنحاء العالم وعلى مدى التاريخ كانت مصدرا لعطاء ثرّ، و لانتفاضات و حركات إسلامية كبرى.

على سبيل المثال ثورة بلدان شمال أفريقيا و هي بلدان إسلامية طبعاً - كالجزائر مثلا و غيرها من الدول التي رزحت تحت هيمنة الاحتلال العسكري الفرنسي - كانت قد انطلقت من المساجد و كتب لها النصر و استقلت تلك البلدان، إلا أنّ الثورة فيها آلت إلى الهزيمة و فقدت تلك الشعوب استقلالها يوم قطعت صلتها بالمساجد و بالدين و تعاليمه و قيمه و فقدت إيمانها بالمساجد.

و في صدر الإسلام أيضا، فقد كان المسجد في عهد الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله و كذلك في حكومة أمير المؤمنين عليه السّلام المباركة مركزا لإتخاذ القرارات المهمة و الأعمال الكبرى. لا أقصد تشبيه مسجد اليوم بمسجد الكوفة على عهد أمير المؤمنين في الوضع الزمني لأن مقتضيات كل زمن متفاوتة.

و على العموم فالمسجد باعتباره قاعدة للدين و العبودية و المعرفة، بإمكانه أن يكون مصدرا للعطاء و مركزا لإنطلاق حركات كبرى و خالدة للشعوب الإسلامية.

و كذلك كان أحد أسباب إنتصار هذه الثورة المباركة في إيران - أو على الأقل تسهيل بلوغ ذلك الإنتصار - هو إقبال الشعب على المساجد؛ فامتلات المساجد بالشباب و استثمرها العلماء الأعلام كمركز للتعليم و التربية و التهذيب و إنارة الأفكار و العقول، و باتت المساجد معقلا للتحرك و التوعية و النهوض و كشف أسرار الرؤوس الفاسدة و العميلة لنظام الطاغوت.

وهكذا كان الحال في عهد ثورة الدستور «المشروطة» وعلى هذا المنوال في عهد تأميم النفط أيضا إلى حدّ ما.

وفي زمن الثورة بلغت هذه الحالة ذروتها.

وعلى الشعوب الإسلامية كافة أن تغتنم المساجد و تنظر إليها باعتبارها معقلا للمعرفة و التنقيف و التوعية و المقاومة الوطنية.

وإن كان هناك من يظن أنّ المسجد تصلّى فيه عدّة ركعات فقط، فما عسى أن يؤثر هذا؟ فهو واهم، و ليس الأمر هكذا؛ و ذلك أولا أنه لو نظر إلى هذه الركعات المعدودة بعين البصيرة و جدها مصدرا لعطاء و فير، فالصلاة التي وصفها مشرّع الصلاة و الأذان بأنها خير العمل، و أنها الفلاح، تدفع أمة كاملة للقيام لله، و تنهى الناس عن الفحشاء و تقربهم إلى الخلوّص و إلى التضحية و الفداء.

أضف إلى هذا أنّ المسجد لا ينحصر في الصلاة، بل فيه أنواع العبادات، و منها التفكّر ف «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»⁽¹⁾ أو كما جاء في بعض الروايات «خير من عبادة أربعين سنة» أو «سبعين سنة» و المقصود طبعاً هو التفكير السليم. و رواد المساجد يحصلون على هذا النوع من التفكير عبر سماع حديث عالم الدين و الفقيه.

وعلى هذا فالمسجد مدرسة و جامعة، و محل للتفكر و التأمل و تهذيب النفس و معقل لتحصيل الإخلاص و اتصال العبد برّبّه.

المسجد نقطة الإتصال بين الأرض و السماء، و هو الموضع الذي يوصل فيه الإنسان ذاته بمصدر الفيض و القدرة الأزلية.

و من هذا يجب معرفة قدر المساجد، و ينبغي الحضور فيها. و بحمد الله فقد تجلّى هذا المعنى في السنوات الأخيرة بفضل الثورة بشكل أفضل. و لا بدّ قد سمعتم بما شهدته المساجد في أيام الاعتكاف في شهر رجب في كل أرجاء البلاد، حيث ذهب

ص: 209

الشباب و النساء و الرجال من مختلف الشرائح الاجتماعية و من مختلف الأعمار إلى المساجد و اعتكفوا فيها؛ صاموا ثلاثة أيام و اتخذوا الله لهم أنيسا. و بعدها غادروا المسجد بالبكاء و الدموع و الآهات، و خرجوا منه استعدادا للسنة المقبلة(1).

ص: 210

1- من كلمة ألقاها في: 28 شعبان 1417 هـ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «و الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم و الله الله في بيت ربكم لا تخلّوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تنوروا»(1).

لا تدعو هذا البيت يخلي، فإن بيت الله تعالى لو اخلي و ترك لا يمهلكم سبحانه و تعالى، أو لا يمكنكم العيش بعد ذلك أبدا، و قد فسّرت هذه العبارة بمعاني مختلفة(2).

و أحد أسرار الدعوة إلى المواظبة على الصلاة في التعاليم الإسلامية؛ لأن الصلاة أفضل وسيلة لبلوغ أفراد المجتمع المسلم التهذيب الأخلاقي و السمو الروحي و المعنوي.

إن للصلاة ثلاث خصائص رئيسية لها الدور الأساس في تهذيب النفس و تربية الروح:

الاولى: أن الصلاة بهيئتها المحددة في الإسلام - أي الحركات و الأذكار المخصصة - تدعو المصلي - بصورة طبيعية - إلى الابتعاد عن الذنب و الرذيلة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر(3)، هذه الدعوة المستمرة لها القدرة على إنقاذ أي كان من المستنقعات و أن تسمو به.

الثانية: الصلاة تحيي في المصلي روح العبودية و الخضوع أمام ساحة الباري

ص: 211

1- موسوعة الإمام علي عليه السلام: 255/7.

2- من كلمة ألقاها في: 12 رمضان 1414 هـ - طهران.

3- سورة العنكبوت: 45.

تعالى المحبوب الحقيقي والفطري لكل إنسان، و تزيل عن هذه الحقيقة الساطعة المودعة في أعماق فطرته غبار النسيان.

الثالثة: تزرع في قلب وروح المصلّي تلك السكينة وذلك الإطمئنان اللذين يعتبران الشرطين الأساسيين للنجاح في جميع ميادين الحياة، و تبعد عنه التزلزل و الاضطراب اللذين يعتبران مانعا كبيرا في طريق السعي الجاد في التربية الأخلاقية.

و كل واحدة من هذه الخصائص الثلاثة جدير بالتدبّر و الإمعان؛ لتتضح من خلاله الكثير من معارف الصلاة.

و عند ما نرى الصلاة بهذه الخصائص و بتأثيرها الاستثنائي، وسعة دائرتها حيث إنّها تشمل كل المجتمع الإسلامي - أي يجب على الجميع أداء الصلاة تحت أي ظرف و في أي مكان كانوا -، و لم يخرج أحد عن دائرة هذه الفريضة الإلهية أبدا؛ فحينها ندرك مدى تأثيرها البالغ في تحقيق السعادة لشعب و مجتمع ما.

و الحقيقة أنّه متى ما شاعت الصلاة بكل شروطها بين فئة من الناس، فإن هذا الواجب الإلهي بعينه سيرفعهم تدريجيا نحو كل أشكال السعادة و إقامة صرح الدين في حياتهم.

و لا يفوتنا القول إنّ كل هذه تتعلّق بتلك الصلاة التي تقام بروحها أي مع الإنابة و حضور القلب، فمثل هذه الصلاة تجعل المصلّي متناغما و متماشيا مع عالم الخلق كله، و تفتح السبيل أمام تطبيق السنن الإلهية في الطبيعة و التاريخ؛ لأنّ عالم الخلق كله - وفق الرؤية الإسلامية - في حالة تسبيح و عبودية للحق تعالى يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ (1).

وصيتي الأكيدة للجميع و لا سيّما الشباب هي الانس بالصلاة و الإلتذاذ بها، أي أن يقيموا الصلاة مع فهم لمعانيها و شعور بالحضور لدى حضرة الربّ المتعال جلّت

ص: 212

1- سورة الجمعة: 1.

عظمته، وأن يسهّلوا بالممارسة هذا العمل على أنفسهم؛ ليتمكّنوا من الإتيان بالنوافل لا سيّما نافلتَي الصبح والمغرب أيضًا. وإن كان بين الأرحام والأقرباء والأصدقاء من حرم نفسه من فيض الصلاة، فليردّعه عن ارتكاب هذا الذنب الكبير والخسارة العظمى، وليكون ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. طبعًا على الآباء والامتهات مسؤولية أكبر تجاه أبنائهم لا سيّما الأحداث(1).

ص: 213

1- من كلمة ألقاها في: 10 ربيع الثاني 1416 هـ

من جملة المهام الخطيرة التي تقع على عاتق المؤمنين والخيرة من عباد الله، والتي يقترن وجوبها بإقامة الحكم الإلهي في أية بقعة من بقاع الأرض، هي إقامة الصلاة التي منحها القرآن شأنًا خاصًا وجعل لها مكان الصدارة، فقال: الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ... (1) ولو لم يكن لإقامة الصلاة أهمية أساسية ولو لم ينظر إليها كعمود راسخ من أجل تحقيق الأهداف الكبرى للنظام الإسلامي، لما كانت قد حظيت بكل هذا التأكيد.

والحقيقة أن الصلاة بما لها من دور تربوي جسيم وتأثير عميق في تحقيق الطمأنينة والسكينة في قلوب المؤمنين، وغرس روح التوكل والتقوى والإخلاص في قلب المصلي، وإشاعة جو زاخر بالنفحات القدسية والمعنوية من حوله، وتنزيهه والآخريين عن ارتكاب المعاصي، إضافة إلى ما تنطوي عليه ألفاظها وأذكارها من معان ودروس في المعرفة، فهي أكبر من مجرد فريضة فردية، بل لها دور حاسم في إدارة شؤون الفرد والمجتمع.

التأكيدات البليغة التي وردت بشأن أداء هذه الفريضة، والمهمة التي ألقيت على عاتق الأبوين في تعويد أولادهما منذ الصغر على الأُنس بها، أعطتها صفة لا تضاهيها فيها جميع الفرائض الأخرى. ويعود السبب في هذا إلى الدور الاستثنائي للصلاة في تهذيب الحوافز الروحية لدى الإنسان وتمهيد الأجواء الإيجابية التي تمكّنه من تحمل الأعباء الثقيلة لواجباته في المجتمع.

ص: 214

وفي ضوء كل هذه الأبعاد يجب حقًا اعتبار الصلاة كأفضل الأعمال.

وشعار «حيّ على خير العمل» الوارد في نداء الصلاة يعتبر بحق كلامًا فياضًا بالحكمة.

الصلاة هي التي تنفخ في روح الإنسان دواعي الإيثار و نكران الذات و التوكل و التعبّد، باعتبارها السند الحتمي للواجبات الخطيرة و المهام العسيرة كالجهاد و النهي عن المنكر و الزكاة، و تدفعه لتحمّ تلك الميادين بكل بسالة.

عند ما يقع هجوم من الأعداء تصبح لفريضة الجهاد أهمية استثنائية، أو حينما تواجه بعض الشرائح الإجتماعية ضغوطا معاشية تصبح فريضة الزكاة و الانفاق شاملة للجميع، و ربّما تؤدي الجهود المحمومة للأعداء في ميادين الثقافة و الأخلاق إلى أن تتخذ فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر صبغة شمولية، في كل هذه الظروف لا تضعف الصلاة عن كونها (خير العمل) و لا تهبط من هذه المرتبة بل تزداد أهمية بسبب ما تضيفه من دعم روحي و معنوي لجميع ألوان الجهاد و الإيثار و تحمّ المخاطر.

لقد بات الإنسان و الإنسانية اليوم يرزحان تحت وطأة الحياة الآلية و ضغوطها، و ذلك لهيمنة الماكنة على المجتمعات البشرية كافة. حتى صار كل واحد من بني الإنسان يجد نفسه مرغما على برمجة نمط حياته الفردية و الإجتماعية مع الإيقاع الثقيل و الممل للماكنة و الحياة الآلية. و من الطبيعي أن سجايا الرأفة و الشفقة و الإيثار و التضحية و غيرها من القيم الأخلاقية الأخرى تفقد تأثيرها في خضم صخب هذا الإيقاع و تغدو باهتة لا روح فيها، و تهدم و تسحق في ظل مثل هذه الأوضاع أسس الأسرة، و علاقات اللفة و المحبة فيها.

وقد استشعر معالم هذا الخطر و حدّر منه قبل عشرات السنين الحريصون و ذوو النظرة الثاقبة حتى في قلب الحضارة الصناعية و الآلية، و لكن ممّا يؤسف له أن ملايين الناس و خاصة من الشباب - أصحاب النفوس الرقيقة و الأكثر عرضة للضرر - لا زالوا

يعيشون هذا البلاء الكبير مجردين من كل وسيلة دفاع و مجابهة.

هذا هو السبب الذي يجعل العلاقة المعنوية مع الرب الرحيم و الكريم لجميع بني الإنسان اليوم أكثر أهمية من أي وقت مضى.

و تبرز الصلاة هنا كأفضل و أجدى أداة لتأمين هذه الحاجة، البشرية اليوم أكثر حاجة من أي وقت مضى للصلاة الخالصة و الكاملة. و أنتم المسؤولون عن إشاعة الصلاة يجب عليكم بعون الله إرواء جميع النفوس المتعطشة و الحائرة؛ ليس بالنسبة لشبان بلدنا فحسب بل لكل البشرية في جميع أرجاء العالم، تمهدون ربيها من ينبوع الصلاة الفياض (1).

ص: 216

1- من كلمة ألقاها في: 26 جمادى الأولى 1418 هـ.

إشارة

«إن للصلاة إجمالاً مقامات و مراتب، بحيث يكون لصلاة المصلي في كل مرتبة فرق كبير عن المرتبة الأخرى، مثلما أنّ لمقامه (فيها) فرقاً كبيراً عن المقامات الأخرى.

فما دام الإنسان على "صورة" الإنسان، أي أنّه إنسان بالصورة (الشكل) فصلاته أيضاً تكون صورة الصلاة و صلاة صورته.

و فائدة هذه الصلاة تنحصر في صحّتها الفقهية و كونها مجزية (صورياً و فقهياً) فلا يجب عليه إعادتها.

هذا إذا أقامها بجميع أجزائها و شروط صحّتها، و لكنها غير مقبولة و لا مرضية عند الله.

أمّا إذا انتقل الإنسان من مرتبة الظاهر إلى الباطن و من الصورة إلى المعنى، اكتسبت صلاته من الحقيقة عندئذ مقدار المرتبة التي تتحقّق فيها، بل إنّ الحال تنعكس (في علاقة التأثير) بناء على ما تقدّمت الإشارة إليه أنّ الصلاة هي مركّب السلوك و براق السير إلى الله؛ فما دامت صلاة الإنسان هي صورة الصلاة، و لم يتحقّق الإنسان في مرتبتها الباطنية و سرّها، فالإنسان أيضاً هو (هنا) "صورة الإنسان" و لم يتحقّق بحقيقته.

إذن فالميزان في كمال الإنسانيّة و حقيقتها هو العروج بالمعراج الحقيقي و الصعود إلى أوج الكمال، و الوصول إلى باب الله بمراقبة الصلاة.

لذا يلزم المؤمن بالحق و الحقيقة و السالك إلى الله بقدّم المعرفة أن يعدّ نفسه لهذا السفر المعنوي و المعراج الإيماني، و يصحب معه ما يلزم من العدّة و العدة و المؤونة

والمعونة؛ وبيعد عن نفسه موانع السير والسفر وعقباتهما، وأن يطوي هذا الطريق مع الجنود الربانيين والمصاحب والموافق لكي يظلّ مصوناً محفوظاً من الشيطان و جنوده وهم قَطّاع طريق الوصول(1).

الصلاة المقبولة

من وصية أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: «يا كميل، ليس الشأن أن تصلي وتصوم وتتصدق، الشأن أن تكون الصلاة بقلب نقيّ وعمل عند الله مرضيّ وخشوع سويّ . وانظر فيما تصلي وعلى ما تصلي إن لم يكن من وجهه وحله فلا قبول»(2).

من هذه العبارات يريد الإمام علي عليه السلام من تلميذه الوفي أن ينفذ من القشر الظاهري إلى ما وراء ذلك ويدخل إلى باطن و حقيقة الأعمال.

ويستفاد من ذلك أن لكل عمل جسماً وروحاً، فإذا لم تكن الروح موجودة فيه فالجسم ميت ولا قيمة له، ولا ينبغي للإنسان أن يفرح قلبه بالقشر من دون اللب، فإنّ اللب والمخ هما الأهم. وكما قال الإمام السجاد عليه السلام: «اللهم ارزقني عقلاً كاملاً، وعزماً ثاقباً، ولباً راجحاً، وقلباً زكياً، وعلماً كثيراً، وأدباً بارعاً واجعل ذلك كله لي، ولا تجعله عليّ برحمتك يا أرحم الراحمين»(3).

والمهمّ في الصلاة هو كفيّتها فيجب أن تؤدي الصلاة بقلب طاهر ونقي، وخاضع خاشع لتكون مرضية لله تعالى. وأما إن كانت الصلاة في مكان مغصوب أو لباس مغصوب أو غير حلال فلا تكون صحيحة عند الله تعالى.

ص: 218

1- عن كتاب سرّ الصلاة، ص 50.

2- تحف العقول، صفحة: 174.

3- الصحيفة السجادية: 177.

و الرواية وإن كانت واردة في الصلاة إلا أن كل الأعمال الأخرى يجب أن تكون كذلك، حتى النشاطات السياسية أيضا يجب أن تكون مصحوبة بروحية إصلاح الأمة الإسلامية وإلا فلا تكون مطلوبة لله تعالى(1).

ص: 219

1- كلمات مضيئة: 217.

روي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «يا بن آدم لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك»⁽¹⁾.

فالموعظة التي تأتيك من نفسك تسدي النصح لعقلك ولقلبك ولضميرك ولإيمانك.

صحيح أن الموعظة التي تأتي من الآخرين مفيدة ومجدية، إلا أن ما هو أكثر فائدة وجدوى هو أن يكون للإنسان واعظ من نفسه: (ما كان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة من همك)⁽²⁾. أي يجب أن لا تترك أنفسنا على هواها بل نحاسبها، فإذا صدر منّا كلام يجب أن نحاسب أنفسنا على سبب صدور ذلك الكلام. وإذا قمنا بعمل ما أو أخذنا مالا أو أعطينا مالا ينبغي أن نحاسب أنفسنا على ذلك العمل و على سبب ذلك الأخذ و على سبب ذلك الإعطاء.

و من الطبيعي أن محاسبة الإنسان لنفسه تكون أكثر دقة من محاسبة غيره له؛ لأنه لا يخفى عليه شأن من شؤون نفسه.

ص: 221

1- وسائل الشيعة: 96/16.

2- وسائل الشيعة: 96/16.

وإنك أيها الإنسان ستكون بخير (ما كان الخوف لك شعارا و الحزن لك دثارا)(1).

أي عليك أن تحذر و أن تخشى عذاب الله و سخطه و غضبه و أن تضع ذلك نصب عينيك عند محاسبتك لنفسك، و احذر أن تزلّ قدمك إلى ما يوجب سخط الله عليك.

وإنك ستكون بخير ما دمت مواظبا على موعظة نفسك و محاسبتها و كنت على حذر و خوف من عذاب الله و سخطه؛ و سيكون في ذلك خير دنياك و صلاح آخرتك، و تهذيب لأخلاقك و صفاء لحياتك، و إزالة لأسباب الإضطراب و فقدان الأمن في ما بينك و بين الناس، و ستكون الحياة عندئذ طيبة هنيئة.

يا ابن آدم إنك ميت و مبعوث و موقوف بين يدي الله عزّ و جلّ و مسؤول، فأعدّ جوابا.

و هذا اليوم سنقف فيه جميعا أنا و أنت بهذه المشاعر و بهذا الكيان بين يدي الله تعالى بعد أن نبعث من التراب. سيجمعنا الله تعالى يوم القيامة و يسألنا، و علينا أن نعدّ لذلك اليوم جوابه.

و روي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «المؤمن.. يجلس ليعلم، و ينصت ليعلم، لا يحدث بالأمانة الأصدقاء، و لا يكتم الشهادة للبعءاء، و لا يعمل شيئا من الحق رياء، و لا يتركه حياء»(2).

عند ما يسأل البعض عن سبب عدم أداء الصلاة أو النافلة في أول وقتها في الموضع الفلاني، تراه يقول إنه لم يفعل ذلك خجلا.

و هنا تأتي نصيحة الإمام عليه السلام بعدم ترك عمل الخير خجلا أو حياء، و عليك أن لا تترك حسنة دفعا لأسباب توجيه التهم إليك بالرياء و التظاهر، و لا ينبغي لك ترك كلام الحق و عمل الخير نزولا عند مشاعر الآخرين و توجهاتهم.

ص: 222

1- وسائل الشيعة: 96/16.

2- وسائل الشيعة: 145/11.

و من جملة الخصال الأخرى للمؤمن أنه إن زكّي خاف ممّا يقولون، و يستغفر الله لما لا يعلمون(1). أي أنه يستغفر الله للعمل السيئ الذي ارتكبه، و لكن المزكّي ليس على علم به، و من خصاله أيضا أنه (لا يضره جهل من جهله)(2).

أوصيكم يا أعزائي، و خاصة الشباب، بتعلم هذه الخصال و التحلّي بها، و تهذيب أنفسكم بهذه الإرشادات. و لا شك في أنّ البلد و الشعب الذي يزدان بمثل هؤلاء الشبيبة المؤمنين المهذّبين لن يتخلف في أي ميدان من ميادين الحياة، و ستصبح دنياه و آخرته عامرتين(3).

و من وصايا الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام لهشام: «يا هشام، أصلح أيّامك هو الذي أمامك. فانظر أي يوم هو؟ و أعدّ له الجواب. فإنّك موقوف و مسؤول.

و خذ موعظتك من الدهر و أهله، فإنّ الدهر طويله قصير و قصيره طويل و كل شيء فان(4).

أحسن الأيام و أصلحها هو اليوم الذي أنت فيه فعلا أي اليوم الحاضر أمامك.

فاليوم الحاضر هو أفضل الأيام و أحسنها، بخلاف الماضي و المستقبل.

لأنّ الماضي و إن كان من الممكن أن يبعث على التأسّف إلاّ أنه لا ينبغي أن يعطى من الأهميّة بالنحو الذي ينسيه الحاضر.

و المستقبل و إن كان يجب أن يضع له برنامجا عمليا إلاّ أنه لا ينبغي أن يشغلنا ذلك عن الحاضر و ينسيه.

نعم لا ينبغي أن ننسى الماضي بل يجب أن نتعظ من الزمن الماضي و أهله، لأنّ أعظم موعظة لنا هي الزمان الماضي و أهل ذلك الزمان و أعمالهم التي أتوها فيه.

ص: 223

1- الكافي: 111/2، ح 2.

2- بحار الانوار: 138/75، ح 19.

3- من كلمة ألقاها في 16 ربيع الثاني 0241 هـ - طهران.

4- تحف العقول، صفحة: 391-494.

و البعض قد لا يلتفت إلى الماضي ولا يهتم به ويغفل عنه إلا أن البعض الآخر ينظرون إلى الماضي بمسؤولية و معرفة و يتعظون منه. (1)

وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام: «يا هشام، ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حسنا استزاد منه، وإن عمل سيئا استغفر الله منه و تاب إليه» (2).

المراد من قوله «ليس منّا» أي ليس من خواصنا المقربين إلينا و لذلك فإنّ الإنسان الذي لا يحاسب نفسه كل يوم ليس من خواص أهل البيت عليهم السلام.

و المحاسبة هنا تشمل المحاسبة المالية و الكلامية و العملية بل حتى المحاسبة في القرارات و المواقف الإجتماعية أيضا.

و حينئذ فإن وجد منها شيئا حسنا و مرضيا ازداد منه. و أما إذا وجد منها شيئا سيئا غير مرضي طلب من الله تعالى المغفرة و العفو و تاب إليه منه.

و ذلك لأنّ أعظم و أكبر آفة و خسارة للإنسان في حياته هي الغفلة و التغاضي عن نفسه، و من هنا جعل الشارع المقدّس البرامج لأجل جبران و تعويض هذه الخسارة كالصلوات الخمس اليومية فإنّ الإتيان بها في أوقاتها المقررة لها يوقظ الإنسان من غفلته و تناسيه و جهله. و هذا أحد حكم و علل محاسبة النفس أيضا (3).

ص: 224

1- كلمات مضيئة: 124.

2- تحف العقول، صفحة: 396.

3- كلمات مضيئة: 124.

قال تعالى في الآيات الأخيرة من سورة الحشر: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاسْتَقِيمُوا وَتُحْتَظِرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ (1)، اتقوا الله - أي راقبوا أنفسكم - و احذروا الوقوع في المزالق والأخطاء والانحرافات، و ثمرة هذه المراقبة المتمثلة في قوله تعالى:

وَاسْتَقِيمُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ، ما قاله تعالى مباشرة في هذه الآية، من قوله تعالى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (2).

إذا علينا مراقبة أنفسنا، وأرى أن هذا هو الخط والاتجاه الأساسي الذي لو التزمنا به وأولينا اهتمامنا سيؤدي إلى وضع خطط ناجحة في حياتنا الإجتماعية (3).

وقد قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في هذا المجال: «وسئل عن خيار العباد؟ فقال عليه السلام: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا عفوا» (4).

خيار العباد لله تعالى هم الذين تتوفر فيهم هذه الصفات الخمس والتي أهمها:

1 - إذا قاموا بعمل الخير والإحسان فرحوا واستبشروا.

2 - إذا ارتكبوا سيئة أو قاموا بعمل غير صالح تابوا واستغفروا منه.

فإنّ واحدة من آفات و عيوب الإنسان أنه لا يراقب أعماله بل يقف حياديا مقابل أعماله السيئة أيضا. وعلى عكس ذلك الإنسان الذي يراقب أعماله وإذا ارتكب عملا

ص: 225

1- سورة الحشر: 18.

2- سورة المائدة: 8.

3- من كلمة ألقاها في: 1384/3/8 هـ ش - 20 ربيع الثاني 1426 هـ - 29 مايو 2005 م.

4- تحف العقول، صفحة: 445.

سَيِّئًا تَذَكَّرُ وَاسْتَغْفِرُ رَبَّهُ وَتَابَ إِلَيْهِ، فَإِنَّ هَذِهِ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا (1). (2).

وقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: «من مقت نفسه دون مقت الناس آمنه الله من فرع يوم القيامة» (3).

إنَّ الغفلة هي أساس زلّات الإنسان. وأحد مظاهر الغفلة عدم توجّه الإنسان إلى نفسه و عيوبه.

وما أكثر الأمور التي يراها الإنسان في غيره ولكنه يتسامح ويتساهل بها إذا وجدها في نفسه. وهذا الأمر موجب لأن يرى عيوب الناس كبيرة بينما لا يرى عيوب نفسه.

و أما إذا التفت إلى عيوبه و اعتنى بها فسوف يحصل على فائدتين:

1 - أن يقوم بإصلاحها، و كما ورد في دعاء مكارم الأخلاق «و استصلح بقدرتك ما فسد منّي» (4). أي أنه يستعين بالقدرة الإلهية ليصلح مادة الفساد في نفسه.

2 - أن لا يتحدث عن عيوب الناس، و لذلك ورد في هذا الحديث أن الإنسان إذا مقت و عادى الصفات المذمومة الموجودة فيه و عمل على رفعها و إزالتها من نفسه قبل أن ينظر إلى عيوب الناس و يفتش عنها فإنَّ الله تعالى سوف يؤمنه من فرع أهوال يوم القيامة (5).

و من مواعظ أبي جعفر عليه السّلام: «من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً فإنَّ مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً» (6).

ص: 226

1- سورة الأعراف: 201.

2- كلمات مضئية: 5.

3- الخصال، باب الواحد، ح: 54.

4- الصحيفة السجادية: 99.

5- كلمات مضئية: 125.

6- تحف العقول، صفحة: 295.

الإنسان الذي لا يوفقه الله تعالى لأن يكون له من داخله و باطنه واعظ فلا تنفعه مواعظ و نصائح الآخرين و لا تؤثر فيه.

من الممكن أن يؤثر فيه كلام الأستاذ أو العالم أو قراءة رواية ما، إلا أنه تأثير مرحلي و سريع الزوال.

بخلاف ما إذا كان الواعظ باطنيا و نفسانيا لأنه أعرف الناس بعيوبنا لأنه يعظ الإنسان و يأمره و ينهاه لكي يتقدم في طريق التكامل و السمو و حينئذ سوف تحلّ مشكلته التربويّة(1).

ص: 227

1- كلمات مضنيّة: 125.

إشارة

قال علي بن الحسين عليه السلام: «إبن آدم، إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، و ما كانت المحاسبة من همّك، و ما كان الخوف لك شعارا، و الحذر لك دثارا»(1).

الإنسان وإن كان لا يستغني عن وعظ الآخرين له إلا أنّ الموعظة الأفضل هي الموعظة الناشئة من داخله، لأن كل شخص أعرف من كل الناس بعيوبه و صفاته.

و يجب أيضا أن يكون همّه في محاسبته نفسه فإنه إذا لم يحاسبنا الآخرون فهذا لا يكون دليلا و حجة على أن لا نحاسب أنفسنا لأن محاسبة النفس تجنّب الإنسان في المستقبل من الوقوع في الزلّات.

و المقصود من الخوف هنا الخوف من الله تعالى و عذابه و أعمال الإنسان السيّئة، لا الخوف من الناس و القوى المتهافتة.

و الحذر معناه الإحتياط و لكن لا بمعنى أن لا يقدم الإنسان على القيام بالنشاطات و يحجم عنها، بل يجب على الإنسان الدخول إلى مختلف الميادين و الساحات و لكن مع مراعاة الإحتياط و الورع و هذا هو معنى التقوى أيضا(2).

يجب على المرء مراقبة ذاته

إن المراقبة و المحاسبة و مقارنة اليوم بالأمس في أعمالكم الفردية أمر مطلوب

ص: 228

1- تحف العقول، صفحة: 280.

2- كلمات مضيئة: 47.

- المقصود وجود روح التقوى في أعمالكم و لو كانت أعمالا عامة - مثلا هل أن الأعمال العبادية التي كنتم تمارسونها في العام الماضي تمارسونها هذا العام أيضا أم لا؟ و هل قلت أو كثرت؟ و هل تحسنت نوعيتها أم لا؟ هل ازداد مقدار ما كنتم تتلونونه من القرآن أم نقص؟ و هل أن كثرة المشاكل تمنعكم من تلاوة القرآن أو على الرغم من وجود تلك المشاكل فإنكم تجدون فرصة لتلاوة القرآن بتدبر و تفكر؟ و هل أن عدد الأشخاص المؤمنين، و من أبناء حزب الله و المعروفين بالتدين و الإلتزام ازداد هذه السنة في محيط عملكم و مسكنكم أم نقص؟

إذن فهذه امور يجب الاهتمام بها في موضوع المحاسبة و المراقبة(1).

إن أيّا مّا غير مصون ولا- منزّه عن الوقوع في المفساد، و حتى المؤمنين و الصالحين؛ تشير الرواية الشريفة إلى أنه «هلك العاملون إلا العابدون و هلك العابدون إلا- العالمون، و هلك العالمون إلا- الصادقون، و هلك الصادقون إلا المخلصون، و هلك المخلصون إلا المتقون، و هلك المتقون إلا الموقنون و إن الموقنين لعلى خطر عظيم، قال الله لنبيه صلى الله عليه و آله: وَ أَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (2)»(3).

فإذا كان الموقنون في خطر، فما بالك بنا؟! و لهذا يجب علينا الإكثار من مراقبة أنفسنا؛ فالفساد قد يبدأ من نقطة صغيرة ثم يستفحل و لا يشعر به الإنسان إلا إذا هلك أو أوشك على الهلاك، و عندها يصبح من الصعب عليه إتخاذ القرار القاطع؛ لأن الإنسان يصعب عليه إتخاذ القرار من بعد أن يفهم أن المرض سرى و استفحل في أوصاله.

إذن يجب على المرء مراقبة ذاته، و هذه هي المراقبة التي أكدتها الأديان كلها، وركز

ص: 229

1- من كلمة ألقاها بتاريخ 22 ربيع الأول 1415 هـ

2- سورة الحجر: 99.

3- البحار: 245/67، و مستدرك الوسائل: 100/1.

عليها القرآن ونهج البلاغة، وهي التقوى التي ظل أمير المؤمنين (ع) يوصي بها طوال فترة حكمه - ربّما لا تجد في نهج البلاغة موضوعا حظي بالاهتمام مثلما حظي به موضوع التقوى - وأكثر الأدعية والروايات من طلب التقوى، وكثيرا ما كان الإمام الخميني (رضوان الله عليه) يحث في كلماته على التمسك بالتقوى، على اعتبار أنها حصن.

إن المراقبة الدائمة لأنفسكم بمثابة حصار يحيط بكم، فإياكم وأن يكسر هذا الحصار. فالمهم هو مراعاة هذا الجانب في كل لحظة إلى حين اليوم الاخير والساعة الاخيرة لوجودكم في هذه(1).

ص: 230

1- من كلمة ألقاها في: 15 صفر 1420 هـ - طهران.

وعليه فإن المراقبة المستمرة للجوارح والقلب والفكر والعقل، من التقوى؛ فإن الكثير من الأعمال التي نرتكبها والمزالق التي تقع فيها تنشأ من عدم المراقبة، وكثير من المعاصي تصدر عنا لا بقصد سابق، وإنما نغفل عن أنفسنا فنقع في الغيبة والتهمة وبت الشائعات والكذب، وهكذا الأمر بالنسبة إلى أيدينا وأعيننا.

إذا الغفلة هي التي توقعنا في البلاء.

فلو أننا راقبنا أعيننا وألسنتنا وأيدينا وتواقيعنا وأحكامنا وكتاباتنا وكلامنا، فسنبكون بمنأى عن كثير من الأخطاء والذنوب الكبيرة والصغيرة.

ولو أننا راقبنا أفئدتنا، لما ترسخ الحسد وإرادة الشر وسوء الظن والحقد والبخل والمخاوف الواهية والطمع بالأموال الدنيوية، والتعرض لأعراض الآخرين وممتلكاتهم.

إن هذه المراقبة تعتبر طريق العبد إلى النجاة، وأن العبد ليحصل على حسن العاقبة من خلال هذه المراقبة وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَمَيِّنِ (1) ولو توقرت هذه المراقبة لدى العبد، فستقل نسبة احتمال وقوعه في المعصية، كما تثبت العدالة للعبد من خلال هذه المراقبة، وتنشأ استقامة الإنسان والأمة والمطالبة بالحق وإتباعه من هذه المراقبة.

فإن هذه المراقبة وهذه التقوى أم كل الفضائل، كما تحصل الهداية من خلال هذه المراقبة، وأن التقدم في الدنيا والآخرة ناشئ من هذه المراقبة.

وعند ما نراقب يشرع فكرنا بالعمل، ويصان قلبنا من الخطأ، ولا تقع جوارحنا

ص: 231

وأعضاؤنا في الخطأ أو الزلل وقلّما يقع (1).

قال أبو عبد الله عليه السلام لابن جندب: «و اجعل نفسك عدوّاً تجاهده، و عارية تردّها، فإنك قد جعلت طيب نفسك، و عرّفت آية الصحة، و بين لك الداء و دلت على الدواء» (2).

المقصود من النفس شخصية الإنسان و هوّيته ذات الأبعاد المختلفة، ففيها جهات الخير كالفطرة و القوى العقلانية، و فيها عناصر الفساد أيضاً كالغرائز و الصفات المذمومة.

و للأسف فإنّ الإنسان بسبب حبّه لنفسه - و هو مصداق لقاعدة حبّ الشيء يعمى و يصم (3) - ينزلق و يسقط مقابل طغيان شهوته و ميوله النفسانية.

وقد ورد في الآيات و الروايات الذمّ للنفس لأجل هذه الجهة السليّة الموجودة فيها.

و الإمام الصادق عليه السلام هنا يأمر ابن جندب بأن يعتبر نفسه عدواً له تجب مجاهدته و ذلك بأن لا تطيعها و لا تسمع لها فيما إذا دعتك للشهوات و العمل على خلاف إرشادات العقل.

و في نفس الوقت يجب أن تعلم أن النفس أي هذه المجموعة من القوى و الإرادات العقلانية ليست من عندك بل هي عارية يجب عليك إرجاعها إلى صاحبها و هو الله تعالى، و يجب أن تعلم أيضاً أنّ مجاهدة النفس أمر ممكن لأن أنبياء الله قد بيّنوا و شخّصوا أمراض النفس و أعطوا الإنسان الدواء المناسب لها. إذن فكل إنسان يجب أن يكون طيب نفسه (4).

ص: 232

1- من كلمة ألقاها في: 1384/5/28 هـ ش - 1426/7/13 هـ ق - 2005/8/19 م.

2- تحف العقول، صفحة: 304.

3- انظر تفسير الرازي: 73/3.

4- كلمات مضيئة: 126.

إشارة

من وصية أبي جعفر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي: «إنّ المؤمن معنيّ بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها، فمرة يقيم أودها ويخالف هواها في محبة الله، و مرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله فينتعش، و يقيل الله عثرته فيتذكّر، و يفرع إلى التوبة و المخافة فيزداد بصيرة و معرفة ما زيد فيه من الخوف»(1)

إنّ المؤمن مطلوب منه مجاهدة نفسه بإرادة و عزم لكي لا يدعها تسقط في كل طرق الظلل و الأهواء و الوسوس المذلّة.

و حينئذ فتارة ينتصر الإنسان في مجاهدته هذه الأهواء من خلال الإستعانة بالمحبة الإلهية و هذا هو سروره و سعادته.

و المحبة الإلهية سبب مهم جدا ليفوز الإنسان و ينجح في سعيه لتحصيل الفضائل و اجتناب الرذائل.

و لذلك عمل الأئمة المعصومون عليهم السلام قبل أي شيء على سوق الناس باتجاه المحبة الإلهية.

و تارة أخرى يهزم الإنسان في جهاده مع هواه و لكن الله تعالى يمدّ إليه في هذه الحالة يد العون فيأخذ بيده من جديد نحوه و بالتضرّع و الشكوى و الأنين يدخل إلى الساحة الإلهية، و هذا التضرّع و الشكوى يوجبان زيادة معرفته و بصيرته.

و هذا هو الفرق بين الإنسان الذي يدخل ميدان الجهاد لهوى النفس و بين الإنسان القاعد و المتقاعس عن ذلك. فإنّ الأول يكون متعرّضا للإمدادات الإلهية الغيبية

ص: 233

بخلاف الثاني، قال الله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (1). (2).**

الجهاد الأكبر هو جهاد النفس

قال الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله بعد أن رجع القوم من ميدان معركة ضارية: إنَّ هذا الجهاد الأصغر وبقية الجهاد الأكبر و هو جهاد النفس (3).

وينبغي أن لا نحصر جهاد النفس في حدود الشخص الواحد. طبعاً محاربة الشهوات و الركون الى الدعة و الطمع و الأخلاق الرذيلة في وجود الإنسان يمثل صراعاً مع النفس و هذا مهمّ بحدّ ذاته.

على الإنسان أن يصارع دائماً شيطانه الباطني، و يسيطر عليه لكي لا يستطيع أن يجرّه الى الأعمال الرذيلة. لكن الجهاد مع النفس له معنى آخر في الإطار الاجتماعي الكبير، و هو نفس إيجاب المعنويات للانتصار، إنَّ هذه الأفكار و الأحاسيس هي التي تؤدي الى اجتياز الإمتحانات بفخر (4).

ص: 234

1- سورة الأعراف: 201.

2- كلمات مضيئة: 49.

3- مستدرك الوسائل: 137/11 ح 12639.

4- من كلمة ألقاها في 8 جمادى الأولى 1413 ق.

الوحدة في الدين الإسلامي الحنيف أصل أساسي، ابتداء من الذات المقدسة للباري تعالى - التي هي أصل و مظهر الوحدة و الوحدانية - و إلى آثار هذه الوحدة؛ حيث يتجه كل عالم الوجود نحو ذلك المركز العظيم و السامي وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (1) و الجميع سائرون نحو الذات الإلهية المقدسة إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (2).

فحركة عالم الخلق متجهة إلى الباري عز شأنه. و في الرؤية الإسلامية تنحصر حركة و صيرورة الإنسان و بقية الموجودات بالسير نحو الله، أي على الرغم من اختلاف الأصناف و الأنواع، و التفاوت الظاهري في الدوافع، و تنوع المواطن الجغرافية، و تباين العناصر المكوّنة للموجودات، و ما تتميز به من تفاوت فيما بينها، على الرغم من كل هذا التنوع الظاهري، إلا أنّ عالم الخلق يسير بأجمعه كالقافلة الواحدة نحو غاية واحدة، هو الباري تعالى.

إنّ سعادة كل إنسان رهينة بمعرفته لتلك الغاية و مطابقة سلوكه الاختياري معها، و يكمن شقاء و تعاسة كل امرئ في جهله لتلك الغاية و عدم التوجه بسلوكه الفردي

ص: 235

1- سورة آل عمران: 28.

2- سورة البقرة: 156.

و مشاعره و مجمل تصرفاته في سياق هذا المسار العام و المتسق و الشامل لجميع العالم، على أنه سيفضع بضربته. و مثل هذه الوحدة هي الحجر الأساس في الرؤية الكونية و التفكير و التصور الإسلامي عن عالم الوجود.

لا تعيروا أهمية للإدعاءات و الدوافع الظاهرية و الفهم المنحرف و الخاطئ من قبل الأشخاص الناقصين و القاصرين؛ فكل عالم الوجود كالنهر الجاري صوب نقطة واحدة و يسير باتجاه واحد.

و لقد كانت المهمة الكبرى للأنبياء عليهم السلام هي تعريف بني الإنسان بتلك الغاية القصوى و المقصد الأعلى و إرشاده إلى الطريق، و ليقولوا إن الصراط المستقيم هو الصراط إلى الله، و يبينوا أن كل القوى الإنسانية التي تحت تصرف الإنسان من عقل، و مشاعر، و حواس ظاهرية، و قدرة، و يد، و رجل، و عين، إضافة إلى ما في الطبيعة من نعم، هي أدوات لكي يطوي بها الإنسان هذا الطريق بصورة أسهل، و إن أفضل الناس هو من يعرف هذا الطريق، أي طريق الله و هدف عالم الوجود - الذي هو هدف الخلق نفسه - و يسخر طاقاته و نعم الطبيعة لبلوغ هذا الطريق.

و لهذا فإن كل فعل يصدر من عباد الله الصالحين، من نوم، و طعام، و تجارة، و كلام، و رياضة، و دراسة، و عمل سياسي و إجتماعي أو أي نشاط دنيوي آخر، فهو لأجل هذا الهدف. و بالسير صوب هذا الهدف تتكون حول الإنسان جنة منشؤها انسجام و تجانس مشاعره و إرادته مع المسار الطبيعي لعالم الوجود. و هذه الحياة الإسلامية التوحيدية المعنوية لا يشوبها التناقض و التضاد و لا التصارع و الاختلاف.

و قد بعث الأنبياء عليهم السلام لأجل هذه الحقيقة، و وضعوا أقدامهم بين الناس ليبيّنوا لهم أن هذه الاختلافات الظاهرية و سطحية، و كل ما لديكم من إرادة، و عين، و لسان، و ثروة، و قدرة، و منصب، و وعي سياسي و فني، و علم، و صناعة، و قوة سواعد من الممكن وضعها في خدمة هدف عالم الوجود، كالإنسان الذي يسبح مع تيار الماء، و لا يبقى أي أثر للصراع و التباغض و الحسد و الأحقاد في صدره.

هذه هي الحياة التي أوصانا بها الأنبياء عليهم السّلام، على العكس ممّا في حياة الشياطين وأشباه الشياطين، التي يسودها التنازع، و التناحر، و السباحة ضد تيار عالم الوجود وفي الإتجاه المعاكس لهدف الخلقة و هذا أول الطريق للسلوك نحو الباري عز اسمه(1).

الإِنسان الكامل و السير نحو الله تعالى

إن أشرف الناس وأكثرهم تكاملا- هو القادر على السير في سبيل الله و نيل رضاه، و أن لا تستعبده الشهوات، و هكذا يكون الإنسان الكامل.

أما الإنسان المادي المنقاد لشهوته و غضبه و أهوائه النفسية و نزواته فهو إنسان تافه حتى و إن كان في الظاهر كبيرا و يحتل منصبا ما. و حتى رئيس أكبر دولة في العالم و من يملك أكبر ثروات العالم إذا كان عاجزا عن مجابهة نوازعه النفسية إنما هو شخص دنيء.

أما الفقير القادر على كبح رغباته و السير على الصراط السوي - و هو طريق الله و طريق التكامل - فهو إنسان كبير حقا.

الاستغفار يستتقذ الإنسان من حضيض الحقارة، و يحرره من القيود و الأغلال، و يطهر القلب و يزيل عنه الكدورة. و القلب هنا بمعنى روح الإنسان و نفسه و ذاته الحقيقية. لكل إنسان نور، و حتى الإنسان الذي لا يعرف الله و لا صلة له به، له في ذاته و جوهره نور، غاية ما في الأمر أن الصداً يتراكم عليه نتيجة للجهل و كثرة الذنوب. و الإستغفار يجلو عنه الصداً.

إن كل ما يراه في هذا العالم إنما هو مقدمة لذلك العالم الذي تعتبر لحظة الاحتضار مدخلا إليه.

ص: 237

أيها السالكون، إننا في لحظة الاحتضار نرد عالماً آخر، ونبغي لنا إعداد أنفسنا لذلك اليوم. فهذه الدنيا وما فيها من ثروات وما من الله به علينا من طاقات، وكل ما أَرَادَهُ اللهُ لِبَنِي الْإِنْسَانِ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ وَحَيَاةٍ زَاخِرَةٍ بِالرَّفَاهِ، وَ مَا شَابَهُ ذَلِكَ، فَهِيَ لِأَجْلِ أَنْ يَعِدَ الْإِنْسَانَ ذَاتَهُ لِلنَّشْأَةِ الْآخِرَةِ، فَاسْتَعِدُّوا لِذَلِكَ الْيَوْمِ وَ اذْكُرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفِرُوهُ.

و من الطبيعي أنّ الإنسان الذي يتوجه إلى ربه بهذه الصورة و يطهر قلبه و يعرض عن المعاصي و يعقد العزم على فعل الخير هو إنسان عظيم و قادر على مجابهة المعضلات في هذا العالم. و مثال ذلك هو إمامنا الكبير الخميني و المثال الآخر هم المؤمنون من أبناء الشعوب المسلمة و المستضعفة؛ من الشبان المخلصين، و من الشهداء و المعوقين، و من الذين تحملوا السجن في فترة الأسر، و من الذين تحملوا فراق أعزّتهم، و من الذين تحملوا مصاعب ساحات الحرب، كل واحد من هؤلاء مثال رفيع، و خليق بكل شعب لديه شخص واحد من هؤلاء أن يكرمه و يمجّده و يجعله مثالا يحتذى به(1).

عالم اليوم بحاجة لندائكم في التطهير و التزكية. أمّا هذا الظلم و القهر و التمييز الذي يجتاح العالم، و هذا الشقاء الذي يلف الإنسان في الكثير من البلدان، و هذا الضلال الذي يعيشه الشباب في البلدان المتقدمة، و هذه العلاقات الشاذة بين الرجل و المرأة، و هذه الرذائل التي تثيرها الشهوات، و هذا الانحطاط السياسي، و الرذائل التي تقترب على الصعيد المالي، كلها إفرازات لعدم سعي الناس نحو تطهير و تزكية أنفسهم.

إنّ القرآن ينادي بالتزكية، و رسول الله صلّى الله عليه و آله دأب على تطهير بني الإنسان عبر الصلاة، و عن طريق الزكاة، و بالصوم و بعيد الفطر. و هذه الفرصة متاحة أمام الجميع في ظل الحكم الإسلامي و انتشار الوعي و الصحوة الإسلامية.

ص: 238

1- من كلمة ألقاها في: 21 رمضان 1417 هـ - جامعة طهران.

يتعين على الجميع السير إلى الله، وأن يرفعوا أيديهم بالدعاء و يستعينوا به و أن يسعوا إلى تطهير أذياتهم و تجنب الرذائل. فالعاملون في الحقل المالي معرضون لمخاطر الوقوع في الرذائل المالية، و العاملون في النشاطات السياسية و الإجتماعية مهددون بمخاطر رذائل من نمط آخر، و الذين تستحوذ عليهم الشهوات يخشى عليهم الإنحراف في مهاوي الرذائل الجنسية و الشهوية، و الذين في مقام الرئاسة معرضون لرذائل الظلم و الجور، و الذين يؤتمنون على الأعمال عرضة لمخاطر الوقوع في الخيانة.

إذن فالجميع مطالبون بالحذر، و الكل مكلفون بمراقبة سلوكهم، و هذه الرقابة هي المعروفة بالتقوى التي امرنا بها(1).

قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام: «يا هشام، إنَّ المسيح عليه السلام قال للحواريين: يا عبيد السؤ يهولكم طول النخلة و تذكرون شوكتها و مؤونة مراقبها و تنسون طيب ثمرها و مرافقها، كذلك تذكرون مؤونة عمل الآخرة فيطول عليكم أمده و تنسون ما تقضون إليه من نعيمها و نورها و ثمرها»(2).

يقول النبي عيسى عليه السلام في وعظه و نصحه لخواص أصحابه المعروفين بالحواريين:

كما أنكم تخافون و تفزعون حينما تنظرون إلى النخلة الطويلة المرتفعة حيث تذكرون الصعاب و المتاعب التي تواجهونها عند صعودكم عليها من شوكتها و غيره و لكنكم في الوقت نفسه تنسون لذيذ و طيب ثمرها. فكذا حالكم في هذه الدنيا تذكرون التعب و المشقة و الصعاب التي سوف تواجهونها إذا نظرتم إلى الآخرة حيث تتطلب العبادة من صلاة و صيام في الأيام الطويلة الحارة و الإستيقاظ ليلا للعبادة في

ص: 239

1- من كلمة ألقاها في: 1 شوال 1417 هـ

2- تحف العقول، صفحة: 392.

نصف الليل و الحضور في ساحات الجهاد و القتال في سبيل الله، و لكنكم في الوقت نفسه تنسون الثواب العظيم و الأجر الجزيل و النعيم الأخرى الذي أعدّه الله لكم.

و هذا الكلام موعظة و درس كبير لنا في كل مراحل حياتنا، فإذا واجه الإنسان في أي عمل يريد مرارته و مشقاته و أتعابه فعليه فوراً أن يتذكر منفعه و ثماره و أجره و ثوابه ليهون و يسهل عليه القيام به(1).

ص: 240

1- كلمات مضيئة: 120.

إن فلسفة الإسلام هو السعي لتحقيق العدالة و نشر السلوكيات الأخلاقية في المجتمع، أي الاهتمام بالبعد الروحي و كذلك بالبعد المادي للحياة. و مثل هذا الأمر، مع أنه عظيم و مقدس، لا يخلو من الصعوبة و العراقيل. و إن كافة مساعي الجمهورية الإسلامية كانت منصبة على بلوغ هذا الهدف الرفيع.

إنهم لمخطئون اولئك الذين يسرون في اتجاه معاكس متغافلين عن العدالة. و إن تجاهل المعنويات لمن الأخطاء الفاحشة. كما أن الذين لا يقدرّون إنجازات الآخرين مخطئون.

إن الطريق ليس ممهدا دائما لبلوغ الآمال الكبرى، بل أنه محفوف بالعراقيل و العقبات الكأداء، و هو ما ينبغي أخذه بالحسبان.

إننا لا يمكن أن نرضي أنفسنا بالكلمات و الخطب و الإتكاء على أريكة السلطة - أو على سدة الحكم حسب التعبير الشائع - دون التفكير في وضع و مستقبل البلاد الإسلامية و العمل على التقدم المادي و المعنوي، فهذا لا يصح. إن النظام الإسلامي يطالب المسؤولين بوضع أنفسهم و محاكمتها أمام الله تعالى دون الأخذ بالاعتبار ما إذا كان الناس يفهمونهم أم لا أو أنهم يثنون عليهم أم لا. فكل هذا يأتي بالدرجة الثانية. و أما ما هو مهم بالدرجة الأولى فهو أن يشعر المسؤولون بالمسؤولية أمام الله تعالى في تقديم الخدمات للمواطنين و إقرار العدالة في المجتمع (1).

ص: 241

إن السلوك الديني المنخلص من أهم الامور التي تزكي النفس، وينبغي التأكيد على عنصر الإخلاص في مسألة السلوك، إذ يمكن للسلوك الديني أن يكون ناشئاً عن الرياء والتصنع، كما يمكنه أن يكون منبثقاً عن الإخلاص، فعلينا حثّ الناس على العمل الديني الصالح، وأن يصدر عنهم بإخلاص (1).

إعرفوا قدر أنفسكم، لأنّ الدنيا خلقت لأجل السعي والعمل والبناء والجهاد والإعمار على يد الإنسان. وجميع النشاطات سواء الإقتصادية والإجتماعية والسياسية، وكذا العسكرية والجهادية - عند الضرورة - والنشاطات العلمية والتحقيقية لازمة للإنسان، ولا شك أنّ على كلّ إنسان القيام بدوره في هذه المجالات حسب قدره والفرصة المتاحة له، لكن الأبعد من كلّ ذلك هو هذه النكتة المعنوية والإلهية؛ وهي أن كل مسؤولية تتحمّلونها - سواء كانت نشاطاً سياسياً أو علمياً، و سواء كانت دراسة أو تدريسا أو تحقيقاً وبحثاً، و سواء كانت بناءاً لأركان المجتمع أو هدماً لأركان الفساد والضلال - فهي لا تخرج عن حالتين، فإمّا أنّ هذا العمل الذي تقومون به يعينكم على السلوك المعنوي الذي خلق الإنسان لأجله، أو أنّه يصدّكم عن ذلك، و لا ثالث له.

لقد كان هدف جميع الأديان الإلهية، و جهود جميع الأنبياء عليهم السّلام، و شهادة كبار رجال الحقّ كلّها لأجل إيصال البشر إلى الطريق الأوّل، أي القيام بعمل يجعل البشرية على الصراط المستقيم ولتتحرك نحو العروج المعنوي والكمال الإنساني و معرفة الله

ص: 242

1- من كلمة ألقاها في: 17 /شوال/ 1425 هـ الموافق: 1383/9/11 هـ ش.

و تأمين مستقبلها الذي هو الهدف الرئيسي للحياة، أي مرحلة ما بعد الموت، ف «الدنيا مزرعة الآخرة».

إننا هنا نعدّ مقدّمات الحياة الأبدية، و كل ما نقوم به من دراسة و تدريس و جهاد و رياضة و بناء و عمران للدنيا و مقارعة للأعداء و سائر الأعمال التي يقوم بها الإنسان - و التي هي ضرورة - يجب أن تتصف بروحية السير على الصراط المستقيم، و كل ما يصدّكم عن هذا الطريق فهو معصية. و المعصية - في الإصطلاح الديني و في أقوال الأنبياء - هي العوائق و الموانع في طريق الكمال الإنساني. و ليس معناه أنّ الله - و العياذ بالله - أراد حرمان عباده من السعادة و من اللذائذ، كلاً، بل اللذة التي تمنع الإنسان من السير نحو الله كالطعام اللذيذ الضائر الذي يتناوله الإنسان. فيقرّبه من الموت، فالعقل لا يتناول هذا الطعام و ينبذ هذه اللذة. لهذا فقد تمّ التأكيد على ذكر الله تعالى و الإستغفار في القرآن بقوله تعالى: **وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَا حِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ (1)**.

عليكم أن تكونوا امثولة للنزاهة للوصول الى السلوك المعنوي، ف شباب العالم اليوم يعاني من مختلف ضروب المآسي و يتلقّى نتائج معاصيه. و ما ترون من استمرار الشذوذ في المجتمعات الغربية، و معاناة الاسر و الآباء و الامهات من ضروب المآسي و أشكال التعاسة؛ فذلك لا يتعادهم عن رحاب الله و غفلتهم عن الاستغفار و لعدم ارتداعهم عن ارتكاب المعاصي. و لهذه الظاهرة - طبعا - عوامل، منها أنّهم لا يستطيعون إرواء الشباب معنويا، فالشباب يبحث عن الارتواء من منبع صاف، فإن لم يجدوا ذلك، انحرفوا.

إنّ المجتمعات الغربية رغم غفلتها الكبيرة عن الامور المعنوية، و انحصار و عيها في الامور المادية فقط، و رغم وقوفها على الإشكالات و الإنحرافات متأخراً إلا أنّها

ص: 243

1- سورة آل عمران: 135.

اليوم أفقت، بحيث إن ساستها وزعماءها قد اعترفوا بذلك. وهذا أول الغيث؛ لأنّ هذا السيل الجاري من المفسد الأخلاقية الذي بدأ بالجريان لم يصل إلى أسفل الجبل بعد، وعندها يبدأ بهدم ما يعترضه فتنهار عندها الحضارة الغربية القائمة على المادّية المحضّة، وقد ترون هذا الأمر بأعينكم في المستقبل أيها الشباب، ولن يكون ذلك بعيداً (1).

ص: 244

1- من كلمة ألقاها في: 15 ربيع الثاني 1416 هـ - مشهد المقدسة.

كيف نبليج درجة الكمال و السلوك المعنوي

قال الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام: «المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله و واعظ من نفسه و قبول ممن ينصحه»(1).

الإنسان المؤمن يحتاج من أجل بلوغه درجات الكمال و المعنويات و التحرك في الصراط المستقيم إلى ثلاثة أمور:

1 - توفيق الله تعالى له، و التوفيق هنا بمعنى تهيئة الأرضية و المقدمات من أجل الإتيان بالأعمال الحسنة.

2 - الواعظ الداخلي في نفسه، بمعنى أن يكون بداخله باعث و محرّك يحذّره دائماً.

3 - قبول النصيحة و الموعظة و التذكير من الآخرين.

نسأل الله تعالى أن يشملنا بتوفيقاته و عناياته الخاصة(2).

و قال النبيّ صلّى الله عليه و آله لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي أحبّ العمل إلى الله ثلاث خصال: من أتى الله بما افترض عليه فهو من أعبد الناس

و من ورع عن محارم الله فهو من أروع الناس

و من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس»(3).

يوجد في هذا الحديث جملتان يجب على الذين يريدون الوصول إلى المقامات

ص: 245

1- تحف العقول، صفحة: 457.

2- كلمات مضنية: 120.

3- تحف العقول، مواظ النبيّ صلّى الله عليه و آله، صفحة: 7، الحديث الأول.

المعنوية و السالكين و العارفين و المتعرضين للفتن الإلهية أن يلتفتوا إليهما و يعوهما بشوق و شغف لكي يصلوا إلى تلك المقامات. و لا يتوهموا أن طريق الوصول إلى الله تعالى شيء آخر غير فعل الواجبات و ترك المحرمات.

و ما أشد غفلة الذين يغرقون في الشهوات و المحرمات بينما يجري على ألسنتهم اسم العرفان و المعنويات و يفرحون قلوبهم بذلك.

فليعلموا أن الطريق إلى الله تعالى يسلك من خلال هذه الفرائض و ليس هناك طريق آخر غيرها(1).

و قال أبو عبد الله عليه السلام: «بحق أقول لكم، إنكم لا تصيبون ما تريدون إلا بترك ما تشتتهون، و لا تنالون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون»(2).

لكل شخص في هذه الحياة هدف و مقصود، و الواجب عليه أن يترك كل الشهوات و الأهواء المانعة من الوصول إلى ذاك الهدف. فمثلا الشخص الذي يريد الوصول إلى المقامات العلمية العلية يجب عليه الإجتناى عن الكسل و قلة العمل، و كذلك الشخص الذي هدفه الوصول إلى المقامات المعنوية و الكمالات الإنسانية العلية يجب أن يزيل كل الموانع من وصوله لذلك.

و كذلك فالإنسان و لأجل الحصول على ما يريد و يتمنى يجب عليه تحمّل الصعاب و المشقّات و المكاره و الصبر و الإستقامة على ذلك(3).

ص: 246

1- كلمات مضيئة: 121.

2- تحف العقول، صفحة: 305.

3- كلمات مضيئة: 121.

أهمية التربية

مثّلت مسألة التربية بالنهر الذي تختلف مجاريه و تتعدد، فهذا «نهر اروند» مثلا يحصل عند مصبه في الخليج الفارسي تياران: أحدهما تيار المدّ و الجزر حيث يندفع الماء المالح من الخليج إلى نهر اروند، و هناك تيار آخر لنهر أروند يجري في الطبقة السفلى من النهر، و ماؤه حلو.

الفارق بين هذين التيّارين هو أنّ الأول منهما يكون سطحيًا، و يكون موجودا تارة و غير موجود تارة اخرى، و ذلك تبعا لوجود المد و الجزر. و بالإضافة إلى ما يتصف به هذا التيار من عدم الاستمرار و الديمومة، فهو كالرغوة و الزبد، يكون على السطح العلوي.

أما التيار الآخر الذي يجري في الاسفل فهو دائم لا إنقطاع فيه.

أعتقد أنّ التربية الأساسية شبيهة بذلك التيار السفلي.

أما التربية العارضة الطارئة فأشبهه ما تكون بهذا التيار السطحي. و لكن هذا لا يمنع أن تكون التربية في الجامعات و المدارس ذات بعد أساسي و جذري و تسير في الإتجاه الصحيح. و هذا ما يوجب عليكم إعطاء أهمية بالغة للتربية التي تتصف بالجذرية و الدوام.

إعداد الإنسان من مادّته الإنسانية الخام يفوق في أهميته نحت تمثال من الحجر

على غرار التماثيل التي نحتها ميكالنجلو. و بإمكانكم إنجاز مثل هذه الإبداعات الفنية في ما يخص الأطفال.

يجب أن تنشئوا الأطفال على الأمل والنشاط، وهو ما بوسعكم صياغته في ضمن المناهج الدراسية، وفي الوصايا التي تقدّم للمعلمين، و في مجمل سلوككم(1).

التربية في مرحلة الشباب

تعتبر مسألة تربية الناشئين واليافعين والأطفال أخلاقيا مسألة ذات أهمية لجميع الدول والمجتمعات، و تتضاعف هذه الأهمية لنا؛ لأنّ المجتمع الإسلامي - أي المجتمع الذي يراد بناؤه طبقا للأفكار والأحكام الإسلامية - قد أعدّ نفسه لكفاح أسمى وأشق من الكفاح الاعتيادي لسائر المجتمعات و تحمّله قهرا، فجميع المجتمعات تخوض كفاحا، و لا يمكن تحقق الصلاح في المجتمع دونما كفاح، و الكفاح يعني السعي و المجاهدة ضد القوى المعارضة.

ففي كل مكان هناك عناصر تعلّم الصغار - كل حسب ثقافته - على السرقة و الفساد و الكسل و الإنحراف، و الصغار بدورهم يتلقون هذه التعاليم. فكم هي نسبة الأطفال الذين يتعلّمون هذه الأمور المرفوضة و المنبوذة مع أنها تختلف من مكان إلى آخر؟ فعلى كل دولة أو الوزارة المتصدية للأمر أن تحارب بعض الأمور؛ ليمكنها تربية شبابها خبراء نشطين و مفيدين و مواطنين صالحين في خدمة بلدهم، و لا يتحقّق هذا العمل دون الكفاح.

إذن يوجد كفاح ضد عناصر الشر في كل الدول، و لا يختص بالبلاد الإسلامية، لكن كفاحنا مضاعف. فعلى سبيل المثال المجتمعات غير الإسلامية لا تجد مشكلة في اختلاط الجنسين لتعالجها، فإنها مسألة طبيعية لهم و لا تنافي أهدافهم؛ مع أنها

ص: 248

1- من كلمة ألقاها في: 3 ربيع الثاني 1419 هـ ق - طهران.

تنافي أهدافنا، ولهذا نحن نخوض كفاحا أشق.

وكذا تعاطي الشباب للخمور - وإن كانوا لا يجيزون للأطفال تعاطي الخمر - لا يمثل عندهم منكرا مع أنه حرام عندنا ويجب محاربته.

فعلى جميع الشرائح وبالخصوص الشباب الكفاح؛ ليعيش المجتمع حياة طيبة ويسلك طريق الصلاح.

وهذا لا يخصنا بل يلزم على كل المجتمعات القيام بهذا الكفاح، وبدونه تفسد كل الأجيال. ولهذا يلاحظ غلبة الفساد في بعض الدول؛ بسبب فتور وضعف هذا الكفاح الناشئ من فساد مؤسسات تلك الدولة وأجهزتها.

وقد قرأتم أو سمعتم أخيرا في الإحصائيات أنه يقتل في كل شهر عدد من الشباب أو الأطفال في المدارس الأمريكية بواسطة زملائهم! و هي مسألة خطيرة أن يقتل الأطفال في بلد ما بعضهم البعض باستمرار؛ وذلك نتيجة لكسل العاملين هناك، وجراء مفاسد أخرى، أو نتيجة الهجوم العنيف لتيار الفساد.

إذن يلزم الكفاح في كل مكان بالدليل الذي ذكرناه، إلا أن كفاحنا كمسلمين أشق.

هناك عامل آخر يجعل كفاحنا أكثر صعوبة وهو وجود أباد - إضافة إلى عوامل الفساد والشر الموجودة في كل مجتمع بشكل قهري - تعد البرامج لترويج الشر والفساد في أوساط الشباب والناشئين بمجتمعنا، وهذا أمر واضح ومسلم. وقد يشك البعض في هذا الموضوع، و لكن لا- ينتابني أدنى شك في ذلك، فأنا أشاهد قرائن وعلامات لا تدل على شيء سوى على وجود أباد و عقول أو أجهزة منظمة و خفية تروج الفساد في الجمهورية الإسلامية وبالخصوص بين الشباب.

فقد تكون طبيعة حركة المجتمع أو حياة الناس أحيانا بشكل تبعث على الفساد؛ لأن الطبيعة الإنسانية تميل إلى الأدنى والأسفل، وهذا موجود في كل مجتمع ومنها مجتمعنا، لكن تشاهد عناصر في المجتمع قد شددت أحزمتها لتروج الفساد وبالخصوص في أوساط الجيل الناشئ بصورة مستمرة، لهذا يجب أن يكون كفاحنا

وعلى سبيل المثال إقامة العلاقات مع الناشئين في سائر الدول عمل عالمي وجيد، لكنه يأتي في الدرجة الثانية من حيث الأهمية، أما بعض الأهداف والتي لها تأثير فردي من الناحية التربوية على الأفراد، فهي مهمة جدا ورئيسية. فيجب أن نحافظ على هذه المجموعة التربوية لحاجة البلاد إليها هذه الأيام، فكما أنّ المدرسة من غير معلم لا تعتبر مدرسة، كذلك يجب أن تكون نظرتنا إلى مسألة التربية هكذا. فإن لم يوجد التربوي في المدرسة أو كان غير نشط، تكون نظرتنا إليه كنظرتنا إلى مدرسة من غير معلم. فهي في الحقيقة لا تقل أهمية عن ذلك.

إن هدف النظام الإسلامي هو تقديم أنموذج للحياة الإنسانية، فأنواع الحياة الموجودة هي دون شأن الإنسان، إن بعضها شأن الحيوانات، شأن المجرمين. ففي كل نظام يعيش أناس من أهل الترف و البذخ، لكن الترف و البذخ ليس من شأن الإنسان، فالإنسان من حيث الحاجة الدنيوية يطلب الراحة و الأمن اللذين لا يتوفران إلا قليلا في عالمنا، و من حيث محتوى الحياة هو بحاجة إلى التكامل و العروج المعنوي و الوصول إلى القرب الإلهي و التي لا أثر لها في حضارة اليوم.

إن أساس حياة الإنسان هو الراحة و الأمن؛ و أنّ المال يطلب أيضا من أجل الراحة و الأمن.

فلو قدّم لك اقتراحان و قالوا: إننا مستعدون أن ندفع لك مبالغ طائلة - و افرضوا عشرة ملايين تومان شهريا - على أن يسلبوا منك الراحة النفسية و الأمن في الحياة، أو أن يدفع لك في الشهر 40 ألف تومان و يوفر لك تمام الراحة و الأمن، فأيهما ينتخب الإنسان؟ و أيّ عاقل مستعد لقبول الأول و فقد الثاني؟ قد ينتخب البعض الأول غفلة، لكنه سيفسخ العقد قبل إنتهاء الشهر الأول.

إن الإنسان يطلب الراحة و الأمان، لأن روح الإنسان كجسمه على أقل تقدير، فهل يمكن لإنسان أن يستمر في الحياة و جسمه يعذب يوميا؟ كذلك الروح؛ لأنّ الروح

التي لا تتمتع بالراحة والأمن كالجسم الذي يحترق دوماً. فهذه لا تعتبر حياة، إن الحياة هي أن يشعر الإنسان بالراحة والأمان والتي لا وجود لها في عالمنا اليوم. وأساس الراحة والأمان هو أن يملك الإنسان وسائل المعيشة على أقل تقدير، وإلا فلو واجه الإنسان الجوع و النقص والمشاكل، فلا معنى للراحة والأمن عنده. (1)

ص: 251

1- من كلمة ألقاها في: 27 رمضان 1415 هـ

يحثّ الله تعالى و روايات أهل البيت عليهم السّلام الإنسان على العروج المعنوي. فالراحة و الأمان مطلوبان في هذه الدنيا و نافعان حتى لحظة الاحتضار، لكن لا نفع بهما بعد الموت، عندها يلزم شيء آخر و هو التكامل و العروج و الفتح الروحي و التقرب إلى الله. فالتخلق بأخلاق الله هو الباقي هناك، و يبلى جسم الإنسان لكن شكل الروح باق و نافع هناك.

لكن لا أثر لهذا و لا ذاك في الحضارة البشرية الحالية، بل الموجود هو الشهوات و اللذات و التحرر الجنسي و تعاطي المشروبات الروحية و التي تأخذ الإنسان إلى عالم الأوهام بعيداً عن المشاكل فترة ثم تعود عليه المشاكل نفسها بصورة أشد. قد يمتلك البعض الثروة أحياناً، لكن الثروة لا تعني الحياة و الراحة و الأمان.

فالنظام الإسلامي يودّ توفير هذه الأمور و الوصول إلى مجتمع توفر فيه الراحة أي السكينة ثم أنزل الله سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (1)، و الأَمْنِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ أَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (2) رَبِّ إِجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا (3). فعند ما دعا النبي إبراهيم عليه السّلام لمكة، فلم يقل رب اجعل هذا البلد مخصراً، بل قال (رَبِّ إِجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا).

إذن الأمان في المرحلة الأولى، فإن أرادت حضارة أن تكون قدوة توفر للبشر الأمان

ص: 252

1- سورة التوبة: 26.

2- سورة قريش: 4.

3- سورة إبراهيم: 35.

و الراحة، فعليها أن تسعى كثيرا، و لا يحصل ذلك بمرور ستة عشر عاما من عمر الثورة، بل لتحقيق هذين الهدفين يجب القيام بحركة بعيدة المدى؛ لأنه سوف يأتي يوم يذهب فيه الجيل الذي قام بالثورة، فما ذا للغد؟ و ما ذا بعد ذهاب هذه المجموعة، و ما ذا عن الجيل الذي يريد ديمومة هذا النظام و يكون قاعدة متينة للحياة؟ فعليكم اليوم الإعداد لذلك، و لا أمل إلا في التربية.

فقوموا بهذا العمل لله و بنية القربة إلى الله، و نظرا لآثاره و نتائجها الكثيرة اجعلوا جزاءه على الله و اسعوا لأن لا يقع أدنى تقصير في ذلك.

و التربية بحاجة إلى مهارة و متابعة و علم، فحذار أن يتصدى لهذه الأمور أناس جهلة غليظو الطباع متعصبون معقدون غير مطلعين على أصول التربية؛ لأنّ هذا علم ظريف و مهم و أسمى من عمل المعلم، فليكن المتصدون لهذه المسألة و المبعوثون إلى المدارس أو المراكز الثقافية أهلا لها، فلا يكن هؤلاء - لا سمح الله - عناصر سوء في التربية و كارهين لأصول التربية، و لتكن أساليبهم علمية (1).

ص: 253

1- من كلمة ألقاها في: 27 رمضان 1415 هـ

وتقسم هذه التربية إلى تربية تعنى بقواه الفكرية والعقلية، وهي ما تسمى بالتعليم، وينصبّ هدف الاخرى على تهذيب نفسه وقواه الروحية وقواه الشهوية والغضبية، وهي ما تسمى بالتزكية.

وإذا ما تعلّم الإنسان وركّى نفسه بشكل سليم، فهو تلك المادة الخام التي سبكت في قالبها المناسب في المصنع المطلوب وبلغت مرحلة كمالها. ويصبح في هذه النشأة مصدر خير وبركة وسببا لإعمار الدنيا وبناء قلوب الناس. وبعد ما يرد عالم الآخرة ينال الخاتمة التي ترنو إليها الإنسانية منذ البداية وحتى يومنا هذا؛ أي النجاة والحياة السعيدة الخالدة في الجنة.

لقد حدد الأنبياء عليهم السلام من أولهم وحتى خاتمهم - النبي الكريم صلّى الله عليه وآله - هدف بعثتهم وأنه التزكية والتعليم فقال تعالى في كتابه الكريم: يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ (1) أي يربون الناس تربية عقلية وفكرية من جهة، و تربية روحية من جهة اخرى.

و جميع العبادات والتكاليف الشرعية التي أمرنا بأدائها تمثل في الحقيقة أدوات لهذه التزكية أو التربية، وهي بمثابة الرياضة التي يكون فيها كمالنا، مثلما أننا إذا لم نمارس الرياضة تضعف قوانا الجسمية، ونفقد قدراتنا ونصبح عرضة للأمراض الجسدية، فإذا أردنا لأجسامنا القوّة و القدرة والجمال والكفاءة للقيام بالأعمال المختلفة يجب علينا أن نمارس الرياضة.

ص: 254

وكذلك هذا الجانب؛ فالصلاة رياضة، والصيام رياضة، والإنفاق رياضة، واجتناب المعاصي رياضة، وعدم الكذب رياضة، وحب الخير للناس رياضة. وممارسة هذه الرياضات تصفي على الروح جمالا وقوة وكمالا. ونحن إذا لم نمارس هذه الرياضات الروحية قد يبدو ظاهرا جميلا، ولكن يبقى باطنا في غاية البشاعة ومنتهى الوضاعة وعرضة لنزول الأضرار به.

الصوم واحد من تلك الرياضات، والصوم لا يتلخص بالامتناع عن الطعام والشراب، فلا بد أن يكون الامتناع عن الطعام والشراب صادرا عن نيّة، وإلا فقد تعرض للإنسان مشاغل أحيانا تلهيه عن الطعام والشراب 12 ساعة أو 15 ساعة، لا ينال عن ذلك أي ثواب. أما إذا كان الامسك عن نيّة، «إجعلنا ممّن نوى فعلم» أي أن ينوي ويعمل في أعقاب النيّة، فهذا هو الجوهر الوضّاء الذي يضيء عليكم الجلال ويزين أرواحكم بالكرامة.

شرط الصيام النيّة. ولكن ما هو المراد بالنيّة؟ المراد بها أنّ هذا العمل وهذا الإمسك وهذه الرياضة تؤدّي في سبيل الله وامتثالاً لأمره. وهذا هو الذي يضيء على كل عمل قيمة.

ولهذا السبب جاء في دعاء الليلة الأولى من شهر رمضان المبارك: «اللهم اجعلنا ممّن نوى فعلم ولا تجعلنا ممّن شقى فكسل»⁽¹⁾.

فالكسل والتقاعس والتلكؤ عن أداء العمل سواء كان عملا ماديا أم معنويا يجلب على الإنسان الشقاء.

الصوم من أفضل الأعمال. ومع أنه ظاهريا لا ينطوي على أي إقدام، إلا أنه في الباطن إقدام وعمل إيجابي، وسبب ذلك هو انعقاد النيّة على أداء هذا العمل. وهذا هو ما يجعلك أيها الإنسان في حالة عبادة منذ لحظة الصيام الأولى من طلوع الفجر وعلى

ص: 255

مدى النهار حتّى وإن كنت نائما أو كنت ماشيا.

و هذا هو ما نقل عن رسول الله (عليه وعلى آله الصلاة والسلام) أنه قال:

«أنفاسكم فيه تسبيح و نومكم فيه عبادة»(1).

ولكن كيف يكون النوم عبادة، و التنفس تسبيحا؟ و ذلك لأن الإنسان يدخل إلى هذا الوادي بهذه النيّة، حتى وإن كان لا يؤدي أي عمل فهو في حالة عبادة مستمرة.

و جاء في رواية اخرى: «نوم الصائم عبادة، و صمته تسبيح، و عمله متقبّل، و دعاؤه مستجاب»(2).

و سبب هذا يعود إلى أنّ الإنسان يمسك و يقلع عن بعض لذاته الجسدية طوال ثلاثين يوما و هي أيام شهر رمضان، في سبيل الله و لنيل رضاه.

و هذه العبادة و ما سواها من العبادات الاخرى تدور كلها حول محور مكافحة الإنسان لشهواته و أهوائه التي تنزع به صوب الرذيلة و العبودية للهوى.

لا يبني إطلاق لجام النفس على أية حكمة، و إن السعي لنيل اللذات كيفما كان لا يجلب السعادة للإنسان.

بل هذا يدخل في إطار الحيوانية، و هو من صفات الحيوانات. و الإنسان طبعا فيه جانب حيواني، و مثل هذا السلوك فيه تكريس للصفة الحيوانية.

من الطبيعي أنّ الجانب الحيواني جزء من وجودنا، و لا أقصد أن لا يكون فينا، و الطعام و الشراب و الراحة و اللذة المباحة جزء من وجودنا و لم يمنع أحد عنها، أما ما نهى عنه فهو أن يغمس فيها الإنسان، و جنوح الإنسان نحو الجانب المادّي يؤدي به إلى الانغماس في هذا الجانب.

أما الأديان و الأساليب العقلانية التي أرسى الإله نظام الكون على أسسها، فهي

ص: 256

1- بحار الأنوار: 356/93 ح 25.

2- وسائل الشيعة: 401/10 ح 13689.

تصد الإنسان عن الانحدار في هذه الهاوية، ولا تجعله يفقد زمام ذاته فيتدرج فيها.

كل دعوة تحثّ الإنسان على إرخاء الزمام لنفسه في منحدرات اللذة و مشتتهيات الحياة؛ فهي دعوة له إلى النار، وإلى الشقاء والهلكة. أما دعوات الأنبياء عليهم السّلام والحكماء فهي تدعو الإنسان إلى كبح جماح نفسه عن اللذائذ. والصوم كعبادة يدخل في هذا العداد.

إعتبرت رواياتنا شهر رمضان فرصة ثمينة يمرّن فيها الإنسان نفسه على الاقلاع عن الذنوب، وقد دوّنت في هذا الباب بضع روايات؛ جاء في أولها عن الإمام الصادق (ع) أنه قال لمحمد بن مسلم: يا محمد إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك ولحمك ودمك وجلدك وشعرك وبشرتك(1).

فلا- تكذب ولا- تضمر لغريك الشر ولا- توقع الناس في المهالك ولا تضلّ القلوب، ولا تتأمر على أخيك المسلم وعلى مجتمعك الإسلامي، ولا تحقد ولا تبخس الناس في البيع، وتمسّك بالأمانة، وما إلى ذلك.

الإنسان الذي يصوم شهر رمضان من خلال كفّ نفسه عن الطعام والشراب والمشتهيات النفسية والجنسية يجب عليه أيضا أن يصوم بصره وسمعته وكل أعضائه وجوارحه، وأن يعتبر نفسه ماثلا بين يدي ربّه، وهاجرا للذنوب والمعاصي.

و جاء في تتمة الرواية: ولا يكون يوم صومك كيوم فطرك.

وإنطلاقا من ضرورة تربية أنفسنا، يجب علينا اغتنام هذه الفرصة.

و جاء في رواية أخرى عن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسّلام) أنّ صوم النفس غير صوم الجسم، ف صوم النفس إمساك الحواس الخمسة عن سائر المآثم، و خلو القلب من جميع أسباب الشر(2). أي أن نظهر القلب من كلّ غل و غش لله

ص: 257

1- روضة الواعظين: 350.

2- ميزان الحكمة 1687/2 ح 2358.

و لعباده.

كما توجد روايات كثيرة اخرى في هذا المضممار.

يجب علينا إذن انتهاز فرص العبادة كشهر رمضان المبارك للتقرب إلى الله، و الاقتراب من مرحلة الكمال و تنقية نفوسنا من المفسد و المعاصي.

إن فرصة الاستغفار التي تتاح في هذا الشهر فرصة ثمينة ينبغي أن لا يفرط بها.

و شهر رمضان هذا سينطوي على وجه السرعة، و إذا بقينا على قيد الحياة حتى شهر رمضان القادم، فسيمر هو الآخر كالبرق، أو كمر السحاب، و ستضيع منا فرصة ثمينة.

فيجب إذن استثمار كل يوم من أيامه و كل ساعة من ساعاته.

أوصيكم أيها الأخوة و الأخوات، و خاصة الشباب منكم بالاستفادة من ربيع الرحمة الإلهية هذا و الدخول في ضيافة الله و الاستغفار من معاصي الجسم و معاصي الروح و معاصي الفكر و معاصي القلب. و المجتمع الذي ينال توبة الله و غفرانه، يصبح مجتمعاً تيراً ينزل عليه الباري تعالى - بركة ذلك النور - وافر خيراته، مثلما أنزل على هذا الشعب و على هذا البلد خيراته و بركاته و لطفه على مدى الثماني عشرة أو التسع عشرة سنة التي مرت على إنتصار الثورة، بفضل طهارة قلوبكم و طيب أرواحكم أنتم يا أبناء هذا الشعب، إذن يجب الدخول في ضيافة الله لأجل استئزال رحمته(1).

ص: 258

1- من كلمة ألقاها في: 3 رمضان 1418 هـ - جامعة طهران.

لا ينبغي حصر مسألة التربية في الأمر بالمعروف، نعم يجب علينا الأمر بالمعروف، فالأمر بالمعروف لا يتم بالرجاء، بل يجب إيجاد حركة تأمر الناس بالمعروف، ويجب تكرار الأمر، نعم لو أمرتم بشيء و تابعتموه، حينها لا يعتبر ذلك أمرا باللسان، بل يكون تكليفا آخرا، فلو كرر خمسة أو عشرة أشخاص تلك الكلمة الواحدة، فسيظهر أثرها، ولا داعي إلى إلحاق الأذى و تضيق الخناق على الآخرين؛ لأن الأمر بالمعروف عندها لا يترك أثره، و لا ينحصر الواجب في الأمر بالمعروف فإنه تكليف يجب القيام به و ضمانة لكثير من الأمور، لكن التربية أمر مستمر و ظريف و دقيق. و القصد من هذا الكلام هو الدقة التامة في الأساليب و في إنتخاب الأفراد؛ ليتمكنكم القيام بهذا العمل العظيم و حمل هذا الثقل؛ و حينها يضمن المستقبل أصحاب العمل(1).

ص: 259

1- من كلمة ألقاها في: 27 رمضان 1415 هـ

يستشف من مجموع ما يتعلق بعيد الفطر و عيد الأضحى أن هذا اليوم الشريف يوم تزكية و طهارة؛ ففي إحدى السورتين اللتين تقرأ في صلاة العيد يقول تعالى:

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (1) الفلاح يراد به الموقفية في مضمار الحياة و بلوغ هدف الخلقة.

و يقول تعالى في السورة الثانية: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (2) و هي تشتمل على نفس المضمون، أي أن من يزكي نفسه يكون قد بلغ الفلاح و النجاة. و كلا السورتين تتحدثان عن التزكية و الطهارة.

و الزكاة أيضا حق مالي يوجب تطهير الإنسان: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَدَقَاتِكَ سَكِّنُ لَهُمْ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . (3)

و دفع هذه الصدقة المالية يطهر الروح من الرذائل و اللؤم و الحرص و البخل و سائر القذارات.

عيد الفطر إذن يوم طهارة و تزكية.

و قد تكون هذه التزكية انطلاقا من صيامكم لمدة شهر و ترويض أنفسكم و تنقيتها من الخبائث.

و قد يكون إضافة إلى ذلك بسبب حضوركم إلى ميدان العبادة هذا، و التوجه إلى الله بالعبادة الجماعية (صلاة العيد).

ص: 260

1- سورة الأعلى: 14.

2- سورة الشمس: 9.

3- سورة التوبة: 103.

و على كل حال يتبين من هذا أن المسلم يدخل من بعد شهر رمضان في يوم عيد الفطر إلى مضمار الطهارة و التزكية.

أنتم طهّرتم أنفسكم و زكّيتموها. و إذا كنتم قد صمتم كما ينبغي، و أدبتم صلاة العيد بشكلها الصحيح عليكم أن تدركوا قدر تهذيب النفس و تطهير الروح.

و إن ما ينجي الإنسان هو هذه الطهارة، و ما يوقعه في المهالك هو الانغماس في المفاسد الأخلاقية و المفاسد الناتجة عن الشهوة و الغضب و الحرص و البخل و غيرها من الرذائل الأخلاقية. و لم يكدر صفو العالم إلا مجموعة من بني الإنسان تحمل هذه الصفات القذرة، و لوثوا وجه المعمورة و كفروا بأنعم الله تعالى.

في ظل الحكم الإسلامي - و هو نظام إلهي و قرآني - يتيسر للناس توفير الطهارة الروحية أفضل مما في ظل النظم الأخرى، فاعرفوا قدر هذا.

عالم اليوم بحاجة لندائكم في التطهير و التزكية. أما هذا الظلم و القهر و التمييز الذي يجتاح العالم، و هذا الشقاء الذي يلف الإنسان في الكثير من البلدان، و هذا الضلال الذي يعيشه الشباب في البلدان المتقدمة، و هذه العلاقات الشاذة بين الرجل و المرأة، و هذه الرذائل التي تثيرها الشبهوات، و هذا الإنحطاط السياسي، و الرذائل التي تقترب على الصعيد المالي، كلها إفرازات لعدم سعي الناس نحو تطهير و تزكية أنفسهم.

إنّ القرآن ينادي بالتزكية، و رسول الله صلّى الله عليه و آله دأب على تطهير بني الإنسان عبر الصلاة، و عن طريق الزكاة، و بالصوم و بعيد الفطر. و هذه الفرصة متاحة أمام الجميع في ظل حكم الإسلام أو انتشار الإسلام.

أيها الفتیان و الفتیات يا من تمرّون اليوم في مرحلة التهذيب و نورانية القلوب و النفوس، يجب أن تكونوا أكثر من غيركم إدراكا لأهمية هذه الطهارة، و أن تصونوها و بلدكم سيكون بلدا حرا و عامرا بفضل الله تعالى و بفعل هذا التهذيب الروحي، و سيطوي مراحل نموّه و تزول منه معالم الدمار و الفقر و التمييز و الشقاء و غيرها من الظروف العصيبة.

يتعين على الجميع السير إلى الله، وأن يرفعوا أيديهم بالدعاء ويستعينوا به وأن يسعوا إلى تطهير أذياتهم وتجنب الرذائل.

فالعاملون في الحقل المالي معرضون لمخاطر الوقوع في الرذائل المالية، والعاملون في النشاطات السياسية والاجتماعية مهددون بمخاطر رذائل من نمط آخر، والذين يستحوذ عليهم الشهوات يخشى عليهم الإنحراف في مهاوي الرذائل الجنسية والشهوية، والذين في مقام الرئاسة معرضون لرذائل الظلم والجور، والذين يؤتمنون على الأعمال عرضة لمخاطر الوقوع في الخيانة.

إذن فالجميع مطالبون بالحدزر، والكلّ مكلفون بمراقبة سلوكهم، وهذه الرقابة هي المعروفة بالتقوى التي امرنا في صلاة عيد الفطر بأن نوصي بها أنفسنا و مستمعينا(1).

ص: 262

1- من كلمة ألقاها في: 1 شوال 1417 هـ

التزكية و التربية

إن الصلاح الأخلاقي والسلوكي يزكي الناس ويطهرهم من رذائل الأخلاق وأدرانها، و يصنع إنسانا خلوقا زاكيا كما قال سبحانه و تعالى: وَ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ (1)، فالتزكية هي إحدى المرتكزات الأساسية التي كان يستند إليها النبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي عَمَلِهِ التَّبَوِي مَعَ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ فَرْدًا فَرْدًا لِبِنَاءِ الْإِنْسَانِ (2).

لواقترن الفضل الإلهي بتوفيق الاستفادة الحقيقية من هذه الضيافة الإلهية و الانتفاع من مائدة الإنعام و الإحسان الإلهي، فإنه لا يمكننا القيام بشكر الله تعالى حق شكره حتى و إن بقينا نشكره على هذه النعمة إلى آخر إعمارنا.

لقد خلق الباري تعالى الإنسان بشكل يحتاج معه إلى أن يربّي من الخارج و يربّي ذاته من الداخل (3).

التزكية و العلم

جاء في الحديث الشريف: «الناس ثلاثة: عالم رباني، و متعلم على سبيل نجاة، و همج رعا» (4)، الأمر الذي يؤكد أن الإسلام يعطي القيمة بالدرجة الأولى الى العلم تعلمًا و تعليمًا.. و من هنا عليكم أن تدركوا أيها الأعزة أن خوضكم في ميادين المعرفة

ص: 263

1- سورة آل عمران: 164.

2- من كلمة ألقاها في: 24 صفر 1422 هـ - طهران.

3- من كلمة ألقاها في: 3 رمضان 1418 هـ - جامعة طهران.

4- نهج البلاغة: 35/4.

و العلم سواء أ كان من العلوم الإنسانية أم القرآنية أم الطبيعية أم غيرها، و الغور في مجال التحقيق العلمي، لا ينبغي أن يصدكم عن التقدم في ميادين المعرفة الدينية و ممارسة الأخلاق و اكتساب الفضائل بل عليكم أن تجمعوا بينهما، و هذا هو الذي أشار إليه قوله تعالى: وَ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ (1).

و عليه فإن التعليم توأم التزكية، و لا- يفترق أحدهما عن الآخر، و إن الاعتقاد بأن من يلج ميدان العلم عليه الخروج تلقائيا من ميادين الفضيلة و الأخلاق اعتقادا خاطئ تم استيراده من الأجواء التي سادت أوروبا المسيحية في العصور الوسطى، و هي أجواء مختلفة تماما عن مناخ التعاليم الإسلامية و أجنبية عنها؛ إذ أن العالم الذي ينعم بالفضيلة و الأخلاق أيا كان مجال اختصاصه سيعمل على رقي النوع الإنساني و إعلاء شأن بلاده، و يجعل من الأهداف أهدافا قيّمة، و تنتهي جهوده لصالح الإنسانية و العدالة و الفضيلة، و الحيلولة دون الشرور المحدقة بالعالم المعاصر، فعليكم أن تكونوا من صنف هؤلاء العلماء في المستقبل، و ما عليكم إلا أن تعدوا العدة لذلك، و أن تطورا المقدمات الكثيرة للوصول الى ذلك الهدف. (2).

ص: 264

1- سورة آل عمران: 164.

2- من كلمة ألقاها في: طهران، 1383/7/5 ه. ش.

الدعاء هو ارتباط الإنسان باللّٰه، الدعاء هو بمعنى النداء وليس بمعنى الطلب، نعم قد يكون معه الطلب لكن هو ليس بمعنى الطلب، فالمناجاة أيضا دعاء، فالدعاء يعني أن ينادي و يناجي و يكلم الإنسان ربّه، فقد قال اللّٰه سبحانه و تعالى في الآية الشريفة اُدْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ (1)، فعند ما تقول: «يا اللّٰه» فهذا دعاء، فيعقبه «لبيك» من البارئ تعالى، فالدعاء شيء قيم جدّا، و إتني أعتقد أنّ الشعوب الإسلامية اليوم بحاجة مضاعفة الى الدعاء، لقد كان الدعاء في يوم ما وسيلة للإنشغال فقط، فقد كانوا يذيعون الأدعية في الإذاعات أيام شهر رمضان، فكان الدعاء هيكلا بلا روح و معنى، و كان لا شيء، و إن كان بصوت جميل يهيج الإنسان قليلا و لا غير، و هذا ليس دعاءا.

إنّ الدعاء هو الارتباط باللّٰه تعالى، فإن كان المحيط معنويا و فيه الصالحون الذين يأنسون بمخاطبة اللّٰه - كعصرنا الحاضر في الجمهورية الإسلامية - كان للأدعية في الإذاعة فائدة و تأثير، لأنّ القلوب مستعدّة، و الأرواح مأنوسة باللّٰه هنا، فهنا للدعاء قيمة كبيرة و فيه حاجة ماسّة.

ص: 265

قال الله تعالى في محكم كتابه قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ (1).

لقد بنى الأمر والإرادة الإلهية في شهر رمضان على أن يتحرك الإنسان المؤمن بكل استعداداته وطاقته ويسعى بكل سرعة إلى الكمال والتهديب والسمو والعروج، والقضية هكذا، إنَّ الهدف من شهر رمضان هو أن تعطي للإنسان المؤمن فرصة لتطهير نفسه ولتصفية باطنه.

فالإنسان مبتلى بالسهو والنسيان والغفلة والمشاكل، يرتكب الذنوب ويتعد عن الله وعن الهدف من خلقه، فيلزم إعطاؤه فرصة ليحبر النواقص وما فاتته، وشهر رمضان أفضل فرصة لهذا الأمر.

طبعاً إنَّ ليالي الجمعة ويوم عرفة وكذا ليلة النصف من شعبان ويوم الغدير هي أيضاً فرص لذلك، بيد أنه لا فرصة كشهر رمضان المبارك، فكل ساعة في الثلاثين يوماً ليلاً ونهاراً فرصة مستقلة يمكن للإنسان فيها التزوّد من الفيوضات الإلهية في هذا الشهر إلى أقصى درجة ممكنة، وهذه فرصة جيّدة لمن ينوي العروج المعنوي والسير نحو الكمال والخلاص من المادّيات وبلوغ المقام المعنوي، فيجب عليه أن يقطع هذا الطريق بهمته وإرادته.

طبعاً هي تمرّ أيضاً كالبرق، فالיום هو اليوم الأول، فإن بقينا أحياء، نلاحظ بعد فترة قصيرة إننا في نهاية الشهر، فتطوى هذه الصفحة إلى العام القادم، إنني كنت أوصي الاخوة دائماً بقراءة دعاء الوداع لشهر رمضان في بداية الشهر ولو لمرة واحدة، لأنّه عند ما نقرأ هذا الدعاء بخشوع وأنين في آخر ليلة من شهر رمضان المليء بالفضائل

ص: 266

و الحسنات، فقد انتهت الفرصة فينبغي على المؤمنين قراءة هذا الدعاء في بداية الشهر ليعرفوا قيمة هذه الفرصة (1).

لا يتصور أحد بأن الدعاء و التوسل ليس له دور في حياة شعب يمرّ بمرحلة إعمار بلاده، بل أقول إنّه لا بدّ لشعب أمامه طريق شاق و طويل و يهدف الى إنجاز عمل عظيم أن يفتح لنفسه بابا واسعا للدعاء و التضرّع و طلب العون من الله تعالى الى جانب العمل الجاد و السعي الحثيث.

ولهذا نرى النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلّم) و الأئمة المعصومين عليهم السّلام كانوا يمدّون يد التوسل و الدعاء و يلتجئون الى الله سبحانه و تعالى في الحروب و في ساحات الخطر و عند القيام بالأعمال الكبيرة و عند إتخاذ المواقف المهمة. فهل بإمكان أحد أن يقول بأن النبي (صلى الله عليه و آله و سلّم) و المسلمين في الصدر الأول لم يبذلوا الجهود المضنية من أجل أداء مسؤولياتهم؟ و هل توجد مساع و جهود أكبر من المساعي و الجهود التي بذلها أولئك المؤمنون؟ فالعشر سنوات التي تولّى فيها النبي صلى الله عليه و آله و سلّم زمام الامور في المجتمع الإسلامي كانت مليئة بالجهود الجادة و المساعي الحثيثة.

وإلى جانب تلك الجهود و المساعي التي كان يبذلها النبي صلى الله عليه و آله و سلّم و المسلمون، كان للدعاء و التوسل و الاستغفار و الإنابة مكانة خاصّة في حياتهم.

إذن فالسبيل الوحيد الذي تستطيع الامّة من خلاله تحقيق النجاح في حياتها هو تعزيز و توطيد العلاقة مع الله سبحانه و تعالى.

فإذا أرادت الامّة إنجاز الأعمال الكبيرة لا بدّ لها من طلب العون و المدد من الله، و إذا ما أرادت إزالة الخوف من الأعداء فيجب عليها أن لا تخشى أحدا إلاّ الله؛ لأنّ مصائب الشعوب ناشئة - كما تعرفون - من خشيتها و خوفها من القوى الإستكبارية

ص: 267

1- من كلمة ألقاها في: 1 رمضان 1414 هـ

و الأَشقياء وقطّاع الطرق الدوليين، و الأمة تبدأ بالسقوط في منزلق الذلّة و الهوان عند ما يتسرّب الخوف إلى قلبها من أصحاب القوة و الأَشقياء في العالم.

و هذا الأمر لا يقتصر على أبناء الأمة فحسب، بل إذا تسرّب الخوف من القوى الكبرى إلى قلوب مسؤوليها و أولياء الامور فيها، فسوف تكبّل أيديهم و أرجلهم و لا يستطيعون القيام بأيّ تحرّك من أجل خدمة شعوبهم. و السبيل الوحيد لتقدّم أيّ شعب و تمكينه من الاستغلال الصحيح لقابلياته و طاقاته الذاتية ينحصر في عدم خوفه و خشيته من القوى الطاغوتية و قطاع الطرق الدوليين.

و لكي لا يخشى الإنسان من القوى الكبرى يجب عليه تركيز الخوف من الله تبارك و تعالى في نفسه. فالقلب المليء بالخوف من الله و العامر بحبّ الله عزّ و جلّ لا يتسرّب إليه الخوف و الرعب من أية قوّة في العالم مهما تعاضمت: «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء و من لم يخف الله أخافه الله من كل شيء»(1).

و هذه هي الفائدة الحقيقية المترتبة على الدعاء و التوسّل إلى الله.

و السرّ الكبير في نجاح إمامنا الراحل (رض) الذي وقف كالجبل الشامخ بوجه القوى الكبرى - كما كنتم ترون - يتمثّل في علاقته الوطيدة مع الله سبحانه و تعالى.

فيجب على الشباب أن لا يسمحوا للخوف من القوى الكبرى أن يتسلّل إلى قلوبهم، و أن لا ينهروا بالمظاهر التي تمتلكها تلك القوى.

و هذا لا يتحقّق إلاّ عن طريق الانس مع الله و الدعاء و التصرّع و التوسّل إليه تبارك و تعالى(2).

ص: 268

1- أصول الكافي: 68/2 ح 3.

2- من كلمة ألقاها في 7 ذي الحجة 1414 هـ

أما سبب وجوب الدعاء علينا، فهو للشكر أولاً، ولطلب الهداية الإلهية في المستقبل ثانياً، وللصبر على المصائب و ما سيحلّ بنا ثالثاً.

فلكلّ هذه الامور نحن بحاجة الى الدعاء و الارتباط بالله، و هذا إجمال الكلام حول الدعاء(1).

الدعاء تحدّث الى الله تعالى

إنّ الإحساس بالقرب من الله و بث هموم القلب بحضرته، و رجائه و تمجيده و تحميده، و التودد إليه، هو من معاني الدعاء.

إنّ الدعاء هو أحد أهم العبادات للفرد المؤمن و الإنسان الراغب في الصلاح و الفلاح و النجاة، و هذا من الأدوار الأساسية للدعاء في تطهير الروح(2).

ص: 269

1- من كلمة ألقاها في: 1 رمضان 1414 هـ

2- من كلمة ألقاها في 1 /شهر رمضان المبارك/ 1426 هـ - طهران.

إنّ للدعاء ثلاثة أبعاد، و لكلّ بعد أهمّيته الخاصة:

البعد الأول: الدعاء علة ضمن قانون العلية

الدعاء لعرض الطلب و الرغبة على الله، كأن يغفر الذنوب، و يمدّ في العمر، و طلب السلامة، و شفاء المريض، و سلامة المسافر، و رفع المشاكل، و طلب المال، و قضاء حوائج الدنيا، و ما يطلب في الدعاء عادة، و هذا بعد مهمّ من أبعاد الدعاء.

و الباري تعالى وعد بالإجابة إن كان الدعاء و الطلب حقيقيا لا لقلقة لسان و لا يتعارض مع مصلحة أخرى، كأن يكون في طلب شيء نفع لك و ضرر على غيرك، فيدعو هو و تدعو أنت أيضا، فلا يمكن القول أن يستجاب دعاؤك دون دعائه، و طبقا للمثل المعروف فإن صانع الفخّار يدعو لعدم هطول الأمطار خوفا على سلامة الفخار الموضوع في الشمس، و الفلاح يدعو لهطول الأمطار لإنقاذ الزراعة من الجفاف، فالطلب واحد لكن الدعاءين متناقضان، فيمكن استجابة دعاء أحدهما دون الآخر.

فإن دعا أحدكم ربّه و لم يستجب دعائه، فلا يتصوّر أنّ الله سبحانه و تعالى لا يعتني بدعائه، كلا، بل لكلّ دعاء مقتضى في الإجابة كما ورد في الحديث الشريف: «و دعوة

من نالناك مستجابة، وعدادناك لعبادناك منجزة»(1) فالطلب من الله مستجاب لا محالة.

و من الوعود الإلهية قوله تعالى: «أدعوني أستجب لكم»(2)، فالجواب لا يكون بالنفي، و لا معنى أن تكون الاستجابة بالنفي بأن يقول «لا اعطيك ما تريد» بل تكون بالإيجاب أي «اعطيك ما تريد».

فالدعاء على هذا الأساس هو أحد أسباب الخلقة و هو علة في سلسلة العلل و العوامل، فلا يتصور أحد أن الدعاء نقض لسلسلة العلة و المعلول و نقض لقانون العلية في الخلق، كلا، بل الدعاء في نفسه علة، فمن أوجد قانون الجاذبية الأرضية بحيث يجذب الجسم الصغير الى ما هو أكبر منه - كسقوط جسم الى الأرض - فكل جسم في هذا الكون يجذب نحو الجسم الأكبر منه. إن الكواكب في المنظومة الشمسية تدور حول كوكب أكبر أي الشمس، فهذا قانون جعله الخالق، فالذي جعل قانون الجاذبية الأرضية و قانون الذرة، و القوانين المختلفة المرتبطة بالحياة المادية.

كذلك جعل قانون أدعوني أستجب لكم في سلسلة العلل و العوامل، طبعاً بشروطها، و في مقدمة الشروط أن يكون الدعاء واقعيًا و حقيقيًا و نابعا من القلب.

تأملوا في الروايات، تلا-حظوا الكثير من الروايات في هذا الباب و هو طلب الامور الصغيرة من الله، فقد ورد في الحديث «اتقوا الله و أجمعوا في الطلب»(3) فلا فرق عند الله تعالى بين القليل و الكثير، فإن طلبتم مائة شيء فاطلبوا الواحد بعد المائة و هكذا، و اطلبوا الأشياء الكبيرة من الله تعالى أيضا.

وقد ورد في الصحيفة السجادية في باب دعاء السحر: «إلهي طموح الآمال قد خابت إلا إليك، و معاكف الهمم قد تعطلت إلا عليك»(4) فكل ما طلبتم فهو قليل،

ص: 272

1- مصباح المتعجب: 739 ح 830.

2- سورة غافر: 60.

3- أصول الكافي: 74/2 ح 2.

4- مستدرک الوسائل: 41/13 باب استحباب الدعاء في طلب الرزق.

فاطلبوا الأكلر لدنياكم و آخرتكم، طبعاً لا تتوقعوا الإجابة، فدعاؤكم بمقتضى الاستجابة لا العلة التامة للاستجابة، فمن الممكن وجود مصلحة معارضة فلا يستجاب دعاؤكم، فقد يكون ما لا يستجاب خيراً لنا مما يستجاب كما ورد في دعاء الافتتاح «و لعلّ الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور»(1) فنحن لا- نعلم بالخير و الشرّ، بل الله سبحانه و تعالى يعلم ذلك، فيعمل ما هو خير لنا و لو كان خلافا لدعائنا.

ص: 273

1- مصباح المتهدد: 573.

و هو بعد المعرفة، أي أنّ الأدعية المأثورة عن الأئمة هي بحر من المعارف الإسلامية، فلا شيء يحوي من المعارف أكثر مما في الأدعية، و هذه نتيجة استنتاجي الإجمالي من الأدعية، طبعاً من رغب في الوصول الى النتيجة القطعية فعليه أن يتتبع كلّ رواية على حدة، و لكنني احتمل أنه لو جمعت كلّ الروايات حول المعارف فإنّها لا تكون بمقدار المعارف الواردة في الأدعية، فالمعارف الإسلامية في أدعية الصحيفة السجادية و دعاء أبي حمزة الثمالي و المناجات المتعددة المأثورة عن الأئمة، و المناجاة الشعبانية، و دعاء كميل... كثيرة جدّاً، و خصوصاً في الصحيفة السجادية، إنّ كلّ دعاء فيها هو كتاب للمعارف الإلهية في الموضوعات المختلفة.

ففهم الأدعية يجعل الإنسان على معرفة بالإسلام و بالمعارف الإسلامية و يبعده عن الخرافات، فأهل الخرافة غالباً هم اناس بعيدون عن الأدعية و المعارف الحقيقية، فالتأمل و التدبّر في الأدعية يرشدنا الى ما يجب الإعتقاد و الإيمان به و ما يجب رده.

إشارة

العلاقة و الارتباط بالله، فيجب على كل إنسان الإحساس بهذا، وفي هذه الحالة يكون الدعاء هدفا لا وسيلة، وبهذه النظرة يكون الدعاء هو العلقة نفسها، و هو نفس الاحساس الذي نحتاجه، و هذا الاحساس يحصل بالدعاء و هو لازم و ثمين جدا، إن جميع الأشياء في الدنيا مرتبطة بالذات الربوبية المقدسة، و الإنسان كذلك باعتباره أشرف المخلوقات وجوده مرتبط بالذات الإلهية المقدسة، و هذا الاحساس يعطي للإنسان حالة من المعنوية و العروج و السلوك، و هذه أعظم فوائد الدعاء.

و هذا ما يستفاد من الأدعية الماثورة عن المعصومين و كيف أن الأئمة عليهم السلام كانوا يناجون ربهم و ينسون أنفسهم، و قد لحقت بالبشرية اليوم خسائر عظيمة جزاء عدم الإحساس هذا، طبعا هذه الخسائر في مجتمعنا أقل؛ لأن الناس هنا يحسبون أنفسهم مرتبطين بالله و عبيدا له، فكلما زاد هذا الاحساس عندهم كلما حالفهم التوفيق أكثر، و كلما قل كلما قلت نسبة التوفيق و النجاح في المجتمع، فلا تتصوروا أن النجاح هو في صنع القنبلة الذرية، إن هذا ليس نجاحا، إن التقدم العلمي سيف ذو حدين، فقد يكون نجاحا و قد يكون خسرانا، و اليوم أصبح العلم وسيلة خسران و هلاك للمجتمع الغربي المنحرف.

أثر الإرتباط بالله تعالى

ما ذا يريد الإنسان من الحياة ليكون سعيدا و مرتاح البال؟ هو بحاجة الى الأمن و المحبة و الراحة، و هل هذه الأمور موجودة اليوم في العالم؟، و هل هناك أمن و محبة

وراحة في عالم العلم اليوم؟، وهل لدى رئيسهم ووزيرهم ووكيلهم وأصحاب الشركات هذه الامور؟ أم أنّهم يحترقون في جهنم الحرص
والطمع والتجبر والاعتداء المسعور؟. فلا تتصوّروا أنّ السعادة هي في العلم، وإلاّ لما سمعتم أنّ امرءاً وزوجته في تلك الدولة يهجران
المدينة ويعيشان وسط الغابات وهما سعيدان لما يشهدانه من تحول المجتمع الى جهنّم من المصائب والآلام.

ص: 276

إشارة

من يشعر بالارتباط بالله فهو سعيد؛ لأنّ عمدة مصائب الإنسان إمّا من الإحساس باليأس والذلّ والوحدة والضعف، وإمّا من الطغيان.

1 - الإرتباط يزِيل الإحساس باليأس:

إنّ شقاء و تعاسة أكثر الشعوب و الأمم و المجتمعات و الأفراد هي من العجز و الضعف و عدم وجود الناصر و المعين و الوحدة و الغربة المطلقتين.

فارتباط الإنسان بالله تعالى معناه الارتباط بمركز القدرة و العلم، فهو ليس وحيدا إن كان الله معه «يا عون من لا عون له، يا رجاء من لا رجاء له»⁽¹⁾.

فلو كنتم في قلب العدو لكنكم تؤمنون بوجود وسيلة عندكم يمكنكم الارتباط و الاتصال بها في لحظة واحدة فتحميكم من العدو، فهل تشعرون في هذه الحالة بالخوف و الضغط عليكم، و هذا إحساس من يعتقد و يرتبط بالله، و قد جرّبنا ذلك في سجون الطاغوت، فقد كان معنا سجناء شيوعيون أو سجناء لم يؤمنوا بشيء أبدا، لقد يسّوا و أصبحت الحياة عندهم مرّة و اصبّوا بأنواع الأمراض الروحية، و أمّا المؤمنون من السجناء فلم يكونوا هكذا، إنني كنت أتألم لهؤلاء المساكين، إننا عند ما تضيق صدورنا، عند ما نخاف فنتكلّم مع الله، لكن من لا يملك الإيمان فهو شقيّ و تعيس.

ص: 277

2 - الإرتباط يمنع من الطغيان:

و العامل الثاني هو الطغيان والإستكبار، إنّ الارتباط بالله يمنع الإنسان من الطغيان والإستكبار، و من يرتبط بالله وإن كان قويًا ويشعر بالقوة لكن يعلم أنّ هذه القوة ليست من ذاته، بل من الله تعالى.

فالإستكبار و الطغيان و الغنى عن الله سببها عدم ارتباط الإنسان بالله، و تصوّر الإنسان أنّ القوة الظاهرية منه، و الثروة الظاهرية ملكه، و لا يتصوّر أنه يمكن أن تزول في لحظة واحدة.

فإن دعا الإنسان ربّه و شعر بالارتباط، فلا يصاب بالضعف و الانكسار، و لا بالطغيان و الإستكبار، فببركة الدعاء يمكن بناء مجتمع مؤمن متكامل مرتبط بالله تعالى. فلا تغفلوا عن أدعية شهر رمضان، اقرؤا دعاء أبي حمزة و دعاء الافتتاح و أدعية الأيام التي لها مضامين عالية و بقية الأدعية في ليالي القدر، و ادعو الله بغير هذه الأدعية المأثورة و في كلّ مكان، في الطريق، و في العمل، و اطلبوا من الله التوفيق و العون و الهداية و النورانية القلبية أكثر من كلّ شيء.

نسألك اللهم و ندعوك باسمك العظيم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم يا الله، يا رحمن يا رحيم، يا مقلّب القلوب ثبتّ قلوبنا على دينك... اللهم اهدنا بحقّ محمد و آل محمد، و تفضّل علينا بخيراتك و بركاتك.

اللهم نور قلوبنا بحقّ محمد و آله محمد و اهدنا و أعنّا على المضيّ في صراطك المستقيم، و اجعلنا شاكرين للإسلام (1).

ص: 278

1- من كلمة ألقاها في: 1 رمضان 1414 هـ

اشارة

عند ما نناجي الباري عزّ وجلّ ، ونشعر بوجوده قربنا، و نعتقد أنّه مخاطبنا و يستمع لكلامنا، هذه المعطيات هي من جملة فوائد و عوائد الدعاء(1).

إن كلّ الأدعية سواء الأدعية المأثورة عن المعصومين، أو غيرها من الأدعية التي يطلب فيها الإنسان قضاء حاجته من الله تبارك و تعالي، لا تخلو من فائدة أبدا، و هناك من الأدعية ما تتوفّر على أكثر من فائدة و هذه الفوائد في غاية الأهميّة:

1 - الطلب و التضرع من الله تعالى لا إلى غيره

اشارة

الغرض من الدعاء و هو الطلب من الله تعالى، فلدينا حاجات كثيرة، بل إنّ كياننا برمّته محتاج و فقير، و لو أمعنا النظر في وجودنا لرأينا أنّ وجودنا كلّ فقر، من أعلى رأسنا إلى أخصص قدمينا، بدءا بالتنفّس و الأكل، المشي، الاستماع و النظر، و إلى غير ذلك ممّا نحتاج إليه.

أودع الله تعالى فينا مجموعة من القوى و الإمكانيات لنستطيع من خلالها أن نعيش، و جميع هذه القوى و الإمكانيات تحت إرادة الله و مشيئته. فإذا اختلّت إحدى هذه القوى، فسيواجه الإنسان مشكلة أساسية في حياته.

مثلا لو توقّف وعاء دموي في جسم الإنسان عن العمل، أو اختلّ عمل مجموعة

ص: 279

خلايا عصبية، أو عضلة من العضلات، أو غيرها من المشاكل التي تطرأ على الإنسان من الخارج، أو المشاكل الروحية أو الإجتماعية. إذن الإنسان وجود محتاج وفقير، فممن نسال و ممن نطلب لسد حوائجنا هذه ورفع المشاكل التي تواجهنا؟

نطلب كل ذلك من الله المتعال الذي يعلم حاجتنا و سد ملأوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً (1) وقال تعالى: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ (2).

بقي أن نقول إن الاستجابة لا تعني قضاء الحاجة، فهناك شروط كثيرة بالإضافة إلى الحاجة التي طلبها الإنسان، كلها تدخل ضمن الاستجابة.

إذا النقطة الأولى هي: أن للإنسان إحتياجاته ولقضاء هذه الإحتياجات لا بد من الدعاء و الطلب من الله، و قرع بابه تعالى؛ ليستغني الإنسان من التضرع إلى الآخرين.

ص: 280

1- سورة النساء: 32.

2- سورة غافر: 60.

وفي الأحاديث الشريفة عن أئمتنا عليهم السّلام ما يرشد لذلك نذكر بعضها:

الحديث الأول: «أفضل العبادة الدعاء»، والحديث الآخر للنبي جاء فيه: «ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدرّ أرزاقكم، قالوا: بلى يا رسول الله.

قال صلّى الله عليه وآله: تدعون ربّكم بالليل والنهار فإن سلاح المؤمن الدعاء»⁽¹⁾.

إذن لقضاء الحاجات لا بدّ من التسلّح بسلاح الدعاء، كما أنّه لا بدّ من التسلّح به لمواجهة الأعداء والحوادث والابتلاءات.

وهناك رواية اخرى عن الإمام السّجاد عليه السّلام يقول: «الدعاء يدفع البلاء النازل و ما لم ينزل»⁽²⁾.

وهذه مسألة مهمّة جدّا وهي أنّ الله تعالى أعطى الإنسان سببا يمكن من خلاله أن يقضي جميع حاجاته ويحصل على كلّ ما يريد؛ إلاّ في الموارد المستثناة والتي ساشير إليها بعد قليل.

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: «ثمّ جعل في يدك مفاتيح خزائنه بما أذن فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمه (خزائنه)⁽³⁾»، وهذا أمر عظيم ومهمّ جدّا، فلما ذا يحرم الإنسان نفسه من هذا السبب والذي هو على غاية الأهميّة والخطورة ؟

ص: 281

1- الكافي: 468/2 ح 3، و جواهر الكلام: 131/12.

2- الكافي 469/2 ح 5.

3- نهج البلاغة: 48/3.

2 - الدعاء هو لتوفير الأسباب المادية

و هنا تواجهنا عدّة أسئلة، منها: إذا كان للدعاء مثل هذا الدور الإعجازي، فما الذي يعنيه وجود هذه الأسباب المادّية والوسائل والأدوات والعلم والصناعة؟

الجواب: هو أنّ الدعاء ليس من قبيل الأدوات والأسباب المادّية، ولا من سنخها.

ولا يعني أنّ الإنسان إذا رغب في السفر مثلا فعليه أن يذهب إمّا بالقطار أو بالقطار أو بالطائرة أو بالدعاء، ولا يعني أنّه إذا أراد أن يحصل على شيء فإمّا أن يحصل عليه أزاء مبلغ من المال أو بالدعاء. ليس هذا ولا ذلك، الدعاء معناه أن يطلب الإنسان من ربّه أن يوفّر له هذه الأسباب المادّية، إنّ المقصود من الدعاء هذا المعنى:

فمثلا قد يكون هناك شخص مدين لك بمبلغ من المال، لكنّه يأبى أن يسدّد لك هذا الدين، وفي ليلة وضحاها يلقي في روعه أن يأتي و يدفع لك أموالك، إذا هناك سبب أدى بهذا الإنسان أن يغيّر موقفه، وما المانع من أن يكون السبب في ذلك هو الدعاء، أي أنّ الدعاء هو الذي جعله يدفع لك أموالك. وكلّ الأسباب والعلل الموجودة في العالم هي من هذا النوع.

إذا ينبغي أن لا يكون الدعاء ذريعة ومدعاة للكسل، أو أن يهمل الإنسان العلم والأسباب المادّية وقانون العلّية، فالدعاء ليس في عرض هذه الامور وإنّما هو في طولها.

وغالبا ما تكون مهمة الدعاء هي توفير كلّ هذه الامور.

وأما بالنسبة للمعجزة والتي قد تحدث في بعض المرّات، فلها موضوعها المستقل، وهو من موارد الإستثناء، وفي غير موارد الإستثناء فإن مهمة الدعاء كما أشرنا هي تهيئة وإعداد الأسباب والمستلزمات التي لا بدّ من وجودها في الحالات

فعند ما يطلب أحدكم من الله أن يتم العمل الفلاني مثلا، والذي أنتم بحاجة إليه، فلا بدّ وأن تكونوا قد استنقذتم قواكم لتحقيقه إلى جانب الدعاء.

وإذا أحسستم بالكسل فعليكم أن تدعو الله تعالى أن يطرد عنكم هذا الكسل، ولكي يطرد عنكم الكسل لا بدّ لكم من إرادة وعزم وإصرار على تركه.

إذا هنا يوجد سبب طبيعي ومادّي آخر وهو العزم والإرادة، ولا يتصوّر أحدكم أنّ الله تبارك وتعالى سوف يقضي حاجتنا بمجرد أن نجلس في بيوتنا ندعوه تعالى من دون أن نحرك ساكنا أو نقوم بشيء أو نصمّم على القيام بشيء، فهذا لا يمكن أن يكون أبدا.

إذا الدعاء يجب أن يكون إلى جانب العمل ومع العمل، ومن هنا نجد أنّ كثيرا من الأعمال لا تكمل بالنجاح، من دون الدعاء، فإذا ما دعا الإنسان تكلّلت جهوده بالنجاح ووفق لما كان يطمح إليه(1).

3 - إحياء ذكر الله تعالى في القلوب:

إحدى فوائد الدعاء هي: أولاً: إحياء ذكر الله في القلوب، وإزالة الغفلة - التي هي أساس الانحراف والفساد اللذين يعتريان حياة الإنسان - وتعويد الإنسان على الذكر وترسيخه في قلبه.

إنّ أكبر الخسائر التي تحصل نتيجة ترك الدعاء هو زوال ذكر الله من القلب.

إنّ النسيان والغفلة عن الله تعالى هو من أكبر خسائر البشر، وفي القرآن الكريم ذكرت عدّة آيات في هذا الصدد، وفيها بحث مفصّل (1).

ص: 284

1- وقد تقدم الكلام عن الغفلة وأثرها.

4 - تقوية و ترسيخ الإيمان في قلب الإنسان:

لأنّ من خصوصيات الدعاء هو إقامة و تثبيت الإيمان في القلب.

إنّ الإيمان مهدد بخطر الزوال عند اصطدامه بأحداث العالم و مشاكله و مغرباته و ملذاته و الحالات المختلفة للإنسان.

لقد تعرّفنا على أشخاص مؤمنين، إلاّ أنّهم فقدوا إيمانهم عند ما امتحنوا بالأموال و السلطة و الشهوات الجسدية و القلبية، إنّ مثل هذا الإيمان مزلزل و غير ثابت.

إنّ من خصوصيات الدعاء ترسيخ الإيمان و استقراره في قلب الإنسان؛ و من خلال الدعاء و استمراره، و التوجه لله تعالى يزول الخطر الذي يهدد الإيمان بالزوال.

5 - نفث روح الإخلاص في النفس

إنّ الحديث مع الله تعالى و القرب منه يعمّق في الإنسان روح الاخلاص، و الإخلاص: هو العمل لله بنية خالصة، إنّ جميع الأعمال يمكن أن تنوى لله تعالى.

إنّ بعض المؤمنين يقومون بتأدية جميع أعمالهم الحياتية اليومية مع نية التقرب لله تعالى، و بعضهم لا يستطيعون أن يؤدوا حتى أهم الأعمال العبادية - كالصلاة - قربة لله تعالى.

إنّ عدم الاخلاص ثقل كبير على روح الإنسان، و الدعاء وظيفته أن يهب للإنسان روح الإخلاص.

ص: 285

6 - ترسيخ و تنمية الفضائل الأخلاقية في النفس

إنّ الإنسان من خلال الارتباط بالله تعالى و مناجاته، يقوّي الفضائل الأخلاقية في نفسه؛ أي أن الدعاء هو من الأمور التكوينية والطبيعية للإستئناس بحضرة الباري تعالى، وبناء على ذلك، فإنّ الدعاء يعد سلّم عروج الإنسان نحو الكمالات.

والمقابل، فإنّ الدعاء يزيل الرذائل الأخلاقية من نفس الإنسان وبيعدها عن وجوده، فهو يبعد الإنسان عن البخل والتكبر والأنانية و العدا لعباد الله و ضعف النفس والجبن والجزع.

7 - إيجاد المحبة لله تعالى

و الدعاء يحيي العشق القلبي لله تعالى، و هو مظهر لجميع كمالات الباري تعالى.

الدعاء والأنس و النجوى مع الله تعالى يخلق هذه المحبة في القلوب.

8 - بثّ روح الأمل في وجود الإنسان

إنّ الدعاء يعطي للإنسان قابلية التصدّي للتحديات التي يواجهها في الحياة، فإنّ كل إنسان لا بد أن يصطدم مع مشاكل الحياة، و يواجه بعض التحديات في حياته.

الدعاء يعطي للإنسان القوّة و القابلية، و يجعله قادرا على مواجهة المشاكل؛ و لهذا عبّر عن الدعاء في الرواية بأنّه سلاح، فقد نقل عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله أنّه قال: «ألا أدلّكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم، تدعون ربّكم بالليل و النهار فإنّ سلاح

إن الاستعانة بالله هو كالسلاح القاطع في يد الإنسان المؤمن؛ ولهذا فإن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مع ما كان يمارسه من أعمال في ساحة الحرب، كتجهيز الجيش، وتعديل الصفوف، وتوفير الإمكانيات اللازمة له؛ كان يسجد في وسط الميدان رافعا يديه بالدعاء و التضرع الشديد، يناجي الله عزّ وجلّ ويستمد منه العون.

إن هذا الارتباط بالله يبعث على القوة في قلب الإنسان.

9 - قضاء الحوائج

إن إحدى مكتسبات الدعاء هي قضاء الحوائج التي يطلبها الإنسان من الباري عزّ وجلّ .

إن قضاء الحوائج ليس هو الهدف الوحيد للدعاء؛ بل هو أحد فوائد الدعاء، يذكر الى جانب الفوائد الأخرى كما قال تعالى: **وَسَبِّحُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ (2)**، التي تظهر نتيجته في دعاء أبو حمزة الثمالي المنقول عن الإمام السجاد عليه السلام حيث قال فيه:

(و ليس من صفاتك يا سيّدي أن تأمر بالسؤال و تمنع العطيّة و أنت المئان بالعطيّات على أهل مملكتك)(3).

عند ما يأمرنا الله تعالى أن ندعوه و نسأله قضاء الحوائج، فهذا يعني أنه عازم على أن يعطينا ما نريد؛ ولهذا جاء في الرواية: «ما كان الله ليفتح لعبد الدعاء فيغلق عنه باب الإجابة و الله أكرم من ذلك»(4). (5).

ص: 287

1- الكافي: 468/2 ح 3، و جواهر الكلام: 131/12.

2- سورة النساء: 32.

3- مصباح المتهجد: 583.

4- ميزان الحكمة: 873/2 ح 1196 باب الدعاء مفتاح الاجابة.

5- من كلمة ألقاها في 1 /شهر رمضان المبارك/ 1426 هـ - طهران.

وأهم فوائد الدعاء هو تعميق العلاقة مع الله تعالى، والشعور بالمحبة والعشق للتقرب من خالق الكون، وأنه يتكلم مع الله تعالى بلسان و
اله يعبر عن قلب مفعم بالمحبة والعشق لله عز وجل (1).

ص: 288

1- . من كلمة ألقاها في 1 /شهر رمضان المبارك/ 1426 هـ - طهران.

الهدف من الدعاء

إن الهدف من الدعاء هو قضاء الحاجات. فلا تستعظموا أيّ حاجة، ولا تقولوا إنّ هذه الحاجة، أو هذا الأمر لا يمكن أن نطلبه من الله تعالى. بل أنّ كلّ شيء إذا لم يكن في تضاد مع السنن الحاكمة في العالم يمكن أن تطلبوه من الله تعالى مهما كان كبيرا.

ففي شهر رمضان عادة ما يدعى بهذا الدعاء بعد كلّ صلاة وهو «اللهم أدخل على أهل القبور السرور، اللهم أغن كل فقير»⁽¹⁾ هنا لم يقل أغن فقراء إيران أو فقراء الإسلام. وهذا ليس بالأمر المستحيل؛ لأنّ الفقر ليس أمرا ملازما بالضرورة للمجتمعات البشرية، بل هو أمر مفروض على هذه المجتمعات. فإذا أمكن القضاء على العوامل المؤدية للفقر كان من الممكن القضاء على الفقر نفسه.

و تقرأون في الدعاء أيضا «اللهم اشبع كلّ جائع اللهم اكس كلّ عريان»⁽²⁾.

في هذا الدعاء نجد أنّ الإنسان يطلب من الله تعالى هذا الطلب العام والشامل، كما تقرأون في الدعاء الخاص بسحر ليلة الجمعة وهو من الأدعية المستحبة والرائعة والقصيرة والتي اوصي بقراءتها، تقرأون «إلهي طموح الآمال قد خابت إلاّ لديك

ص: 289

1- المصباح: 617.

2- مستدرک الوسائل: 477/7 ح 14.

وعواكف الهمم قد تعطلت إلا عليك»(1).

نعم يا إلهي قوافل الحاجات لا تقضى إلا إذا أناخت ببابك، الله سبحانه وتعالى لا يخاف من حاجات الإنسان مهما كانت كبيرة وعظيمة، فاسألوا الله تعالى عظامم الامور. و حذار من أن يتصوّر أحدكم أنّ هذا الشيء الذي اریده لو طلبته لنفسی فإن الاستجابة ممكنة ولكن لو طلبت العافية مثلا لجميع الناس فهذا شيء عظيم كيف يمكن أن أطلب من الله مثل هذا الطلب.

أقول: اطلبوا ذلك للناس كافة. وهناك من الامور التي ينبغي أن نسألها الله، كما في الدعاء «اللهم اصلح كل فاسد من امور المسلمين» فهنا الدعاء خاص لأهل الإسلام، والسبب في اقتصره على المسلمين لأنه لا يمكن أن يصلح الله تعالى جميع ما فسد من الامور من دون أن يكون الإسلام هو الحاكم، إذ أنّ شرط الإصلاح هو الإسلام.

و لا تترددوا في أن تطلبوا من الله الحوائج الصغيرة والحقيرة. فقد ورد في الروايات: أن اسأل الله حتى في شسع النعل.

وفي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «لا تحقروا صغيرا من حوائجكم فإن أحب المؤمنين إلى الله أسألهم»(2). فالإنسان يحتاج حتى إلى شسع النعل وللحصول عليه لا بدّ من الدعاء.

إذا كلّ شيء مهما كان صغيرا إذا احتجتم إليه، يجب أن تتوجهوا بقلوبكم إلى الله و تدعوه أن يوفّقكم للحصول عليه، وإن كان المال متوفرا لديكم ذلك لأنّ الله هو الذي يعطي هذا الشيء لكم و من دون الله لا يمكنكم أن تحصلوا على أيّ شيء.

ص: 290

1- المصباح: 53.

2- ميزان الحكمة: 872/2 ح 1197 باب شرائط الاستجابة.

لماذا نسأل الحاجات الصغيرة

و السؤال المطروح هنا هو لماذا ينبغي لنا أن نسأل الله تعالى الحاجات الصغيرة؟

الجواب: لكي نتبّه إلى إحتياجاتنا و عجزنا و فقرنا و حقارتنا. فلو أنّ الله تعالى لم يرزقنا القدرة و الفكر و الإبداع، و لم يوفّر لنا الأسباب فلن نستطيع الحصول على أيّ شيء حتّى شسع النعل، فمن الممكن أن تذهبوا لتشتروا ما ترغبون و في الطريق تسرق أموالكم أو تقتقد، تصادفكم حادثة في الطريق، و بالتالي ترجعون دون أن تشتروا شيئاً.

أسألوا الله تعالى أقلّ الأشياء و أحقرها حتّى شسع النعل، و قوت اليوم، و حطّموا هذه «الأنا» ذات العظمة الكاذبة المتضخّمة في صدورنا، لنحطّم هذه النفس التي نتصوّر أنّها مصدر كلّ القوى، لقد كانت هذه «الأنا» سبباً في شقاء و تعاسة الكثير من الناس.

إنّ بإمكان الإنسان الحصول على ما يريدّه بواسطة الدعاء.

و الآن لينظر كلّ واحد منكم إلى ما يحتاجه هو و ما يحتاجه المسلمون، و إخوته المؤمنون و المرضى و المعوّقون و ما تحتاجه البلاد الإسلامية. انظروا إلى ذوي القلوب الحرّى، إلى التّاس الّذين يعيشون حواليكم في دولتكم الإسلامية و في العالم الإسلامي و في الكرة الأرضيّة، فيدعو لجميع هؤلاء في ليالي القدر.

نموذج قرآني لحب الأنا

في أحد البحوث القرآنية التي أعدتها في وقت سابق أشرت إلى أنّ القرآن الكريم قد تحدّث عن تجربة موسى في موارد كثيرة.

فقصة النبي موسى عليه السّلام من القصص المعبّرة و العجيبة و الحديث عنها

يبقى معبراً و مجدياً و لا يستنفذ أغراضه مهما طال و تشعب. في هذه القصة توجد عدّة شخصيات من أصحاب النبي موسى عليه السّلام قد ارتدّت و انحرفت. منها:

السامري و قارون و غيرهم من الذين امتنعوا عن الذهاب إلى الأرض المقدّسة، هؤلاء كانوا مصاديق بارزة للارتداد و الجبن...

و تعتبر قضية قارون من أكبر القضايا المريرة في حياة النبي موسى عليه السّلام لقد كان قارون من أقرباء موسى عليه السّلام و كان إسرائيليّاً مؤمناً مريداً للنبي موسى عليه السّلام أوّلاً، ثمّ صار مبغوضاً، خبيثاً، حلّت عليه اللّعة الإلهيّة ثانياً. و قد خصّه القرآن الكريم بآيات عديدة، و هذا يبيّن مدى خبث و سوء سريرة هذا الرجل.

مشكلة قارون أن ردّ على نصيحة النبي موسى عليه السّلام: أُوتِيَتْهُ عَلَيَّ عِلْمٌ عِنْدِي (1) أي بذكاءي و بتديري، و لكن هنا أقول: ألم يكن الله سبحانه و تعالى هو الذي رزقه المال، كما يرزق الإنسان الحياة و البنين، كم كان جاهلاً هذا الإنسان؟ لماذا يعصي و يخطأ و يعجب بنفسه و يكثر من تريد «أنا و أنا».

ما هي ال (الأنا)؟ و ما قدرها؟ يقول الله تعالى في حديثه عن المجاهدين الذين تصدّوا للأعداء و أوقعوا فيهم الهزيمة: وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (2) أي أنّ ما تملكه من قوّة و إرادة و دقّة في إصابة العدو كلّها من عند الله، و بعبارة أخرى كلّ ما عندك فهو من الله، و مع هذا كلّه أتطاول على هذه القوّة المالكة المدبّرة المحيطة، أتطاول على الله الذي في قبضته كلّ شيء و أقول (أنا). هذه النقطة الأساس في فساد البشريّة، و هي مذمومة و باعثة على الفساد أينما وجدت.

فذاك الصهيوني الذي يتّأس إحدى الشركات المتعدّدة الجنسيات و يقول (أنا و أنا) و يتصوّر أنّه يدير العالم برمته، أو هتلك الإنسان الذي أشعل فتيل الحرب، أو

ص: 292

1- سورة القصص: 78.

2- سورة الأنفال: 17.

أحد رؤساء أمريكا الطغاة، أو أحد قطاعي الطرق، أو ذاك الشخص الذي يتلبس بلباس الدين، و يدعو في الحقيقة لنفسه، أو أنا و أنتم الذين لا- ننتمي إلى أي من الطوائف التي ذكرناها في حال اتّباعنا للهوى و تحكيمننا (الأنا) و إستكبارنا، في كلّ هذه الموارد تكون المحصّلة النهائية، مزيدا من الفساد و الإنحراف.

و بالطبع كلّما كبر الإنسان، تكبر (الأنا) فيه، و مهمة الدعاء هي أن يهزم (الأنا)، و لذلك جاء في الروايات أسألوا الله الامور الصغيرة لتنتبه إلى عجزك و فقرك. فقد يحدث أن تكون هناك ذبابة أو بعوضة تضنّ بالإنسان، بحيث تعيقه عن العمل تماما(1).

ص: 293

1- من كلمة ألقاها بتاريخ 17 رمضان 1415 هـ.

و هذا يختص بالأدعية الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام. و منها ما جاء في الصحيفة السجادية، حيث أودع فيها الإمام السجاد عليه السلام الكثير من المعارف الإلهية و المفاهيم الإسلامية بصيغة الدعاء. فالتوحيد الخالص إنما تجدونه في الصحيفة السجادية.

كما أنّ فيها معاني سامية في النبوة و الحبّ و الذوبان في شخص و منزلة نبي الإسلام صلوات الله و سلامه عليه و على آله. و فيها أيضا من المعارف ما يخصّ عالم الخلقة كما هو موجود في سائر الأدعية الماثورة الاخرى من قبيل دعاء أبي حمزة الثمالي الذي تقرأونه في الأسحار. و ما أرجوه منكم هو أن تقرأوا هذا الدعاء و تدبروا فيه.

و دعاء كميل الذي يقرأ كل ليلة الجمعة أو ليالي شهر رمضان هو الآخر ملي بالمفاهيم و المعارف الإسلامية و الحقائق التي صيغت بلسان الدعاء. و هذا لا يعني أنّ الإمام عليه السلام لم يكن هدفه الدعاء و أنّه عليه السلام أراد أن يغطّي على حديثه بالدعاء، لا، بل كان عليه السلام في مقام الدعاء، و كان يناجي به، و كلّ ما في الأمر أنّ الإنسان الذي يفتح قلبه على الله و على المعارف الإلهية، يكون حديثه متضمّنًا لهذه المعاني، و دعاؤه أيضا يكون طافحا بالحكمة.

و من هنا نجد في الأدعية الماثورة عن أئمتنا عليهم السلام الكثير من المعارف التي يحتاجها الإنسان حقيقة. و من خلال الدعاء يعلّمنا الأئمة عليهم السلام ما ذا نطلب من الله تعالى.

و من هنا احاول أن اشير إلى عدّة فقرات من دعاء أبي حمزة الثمالي هذا الدعاء

الشريف الذي يتضمّن جانباً رائعاً من المناجاة و سأسعرض مقتطفات من المقطع الثالث لهذا الدعاء.

في مناجاته هذه يسأله الإمام عليه السّلام الله تعالى جملة أمور منها أن يجعل حياته هنيئة طيبة فيقول: «ارغد عيشي»⁽¹⁾. و كما تعلمون فإن العيش الرغيد لا يأتي بالمال ولا بالسلطة ولا بالذهب. فقد يكون هناك من الناس من له ثراء واسع لكنّه يفتقد إلى الحياة الرغيدة نظراً لما يعاينه من قلق واضطراب ناشيء من مشكلة عائلية، كأن يكون له ولد سيّئ الخلق - نستجير بالله - يجعل من حياته جحيماً لا يطاق. قد يتناهى إلى سمع الإنسان نبأ سيّئ يجعل حياته مرّة المذاق، فنجد هذا الإنسان مع ما يمتلك من إمكانيات ومقدرات لكنّه يفتقر إلى الحياة الهائلة.

وفي المقابل نجد شخصاً آخر فقيراً يعيش حياة بسيطة جداً، ولكن قد تكون حياته على بساطتها أكثر هناءاً وسعادة من حياة ذلك الشخص الثري صاحب الجاه العريض.

انظروا الإمام عليه السّلام كيف يشخص النقطة الأساس في المسألة حيث يقول:

«و أرغد عيشي وأظهر مروءتي» أي وقّفتني أن أظهر مروءتي في ساحة العمل، لا أن يكون الهدف هو أن يراني الناس صاحب مروءة. وإذا أردنا للمروءة أن تظهر بيننا وتنتشر، فيجب أن نجسّدها نحن أولاً.

ينبغي للإنسان أن يجسّد المروءة على الصعيد العملي ولا يكفي أن يحملها في داخله، وهذا معنى قوله: «و أظهر مروءتي واصلح جميع أحوالي».

ثمّ يسأل الإمام عليه السّلام الله تعالى أن يصلح له جميع أحواله.

إنّه دعاء كامل وجامع يشمل الأحوال العائلية والشخصية وجميع الخصائص الأخرى. «و اجعلني ممّن أطلت عمره و حسّنت عمله و أتممت عليه نعمتك

ص: 295

1- مصباح المتهجد: 594.

هكذا يعلمنا الأئمة عليهم السلام ما ذا نسأل من الله تعالى. البعض يطلب الوفرة، ويدعو أن تتم هذه الصفقة، أو أن يسافر إلى المكان الفلاني، أو أن يحصل على هذا العمل أو ذلك. وأما الأئمة فيعلموننا كيف نسأل من الله و ما ذا نسأل.

وبالطبع فطبيعة الدعاء ونوع الطلبات التي يجب أن نطلبها من الله والتي يحاول الأئمة عليهم السلام أن يربّونا عليها يشكّل بحثاً مستقلاً و موسّعاً في حدّ نفسه.

وهناك نقطة اخرى نود الإشارة إليها وهي أنّ هذه الأدعية تبين لنا مواطن الضعف في الإنسان والتي قد تؤدّي به إلى السقوط في الهاوية. و هذا ما نجده في دعاء أبي حمزة الثمالي: «اللهم خصّني منك بخاصّة ذكرك و لا تجعل شيئاً ممّا أتقرّب إليك في آناء الليل و أطراف النهار رياء و لا سمعة و لا أشراً و لا بطراً»(2)، إذا يجب أن لا يكون العمل مصحوباً بالغرور و الرياء و التي تشكل مواطن الضعف. فقد يقوم الإنسان بعمل صالح و رائع لكن بمجرد أن يخالطه شيء من الغرور و السمعة، يصبح ذلك العمل هباءً منثوراً.

و من هنا سعى الأئمة عليهم السلام و من خلال الدعاء أن ينبّهونا و يحذّرونا من هذه المطبّات.

و النقطة الاخرى في هذه الأدعية تتضمّن معارف و مفاهيم كثيرة. ففي دعاء كميل نقراً: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تغيّر النعم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء»(3)، أي أنّ هناك من الذنوب ما تهتك العصم، و قسم منها تكون سبباً في نزول النقم، و منها ما تغيّر النعم، و من الذنوب ما تحبس الدعاء فتري الإنسان بعد

ص: 296

1- المصدر السابق.

2- الصحيفة السجادية (أبطحى): 230.

3- فقرة من دعاء كميل أنظر مصباح المتعبد: 844.

أن يرتكب هذه الذنوب يدعو فلا يستجاب له ولا يجني أيّ فائدة من دعائه هذا.

إنّ الدعاء يفقد روحه و أثره عند ما يسلب عن الإنسان حالة التوجّه و الانفتاح على الدعاء.

و هنا أنقل لكم مقولة لأحد العظماء جاء فيها «أن أمنع الدعاء أخوف من أن أمنع الإجابة»⁽¹⁾.

ففي بعض المرات قد يسلب الإنسان حالة الإقبال و التوجّه إلى الدعاء، و يفقد الرغبة و النشاط في مواسم الدعاء، و هذا نذير خطر. و من الممكن تلافي حالة الإدبار هذه و ذلك بالتوسّل إلى الله و الإلحاح عليه بأن يرزقه حالة الإقبال و الإنابة و النشاط في الدعاء.

كلّ هذه المعاني نجدها في دعاء كميل.

هدف الدعاء إظهار الخشوع و التذلل أمام الله

و هذا هو اسّ الدعاء و ركيزته الاولى. و من هنا جاء في الحديث الشريف عن الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله «الدعاء مخّ العبادة»⁽²⁾.

فالدعاء يعبر عن حالة الاندكك المطلق في الله تعالى و الخشوع في ساحة الرب و هذا هو أصل العبادة و أساسها.

و الآية الكريمة و قال رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ⁽³⁾ تبين هذا المعنى و هو أنّ الهدف الأوّل من الدعاء هو ترويض النفس الإنسانيّة و إخضاعها للرقابة الإلهيّة و تذليلها لله.

ص: 297

1- تاريخ مدينة دمشق: 242/19.

2- مستدرک الوسائل: 167/5 ح 5576.

3- سورة غافر: 60.

أعزائي لو ألقىتم نظرة إلى البيئة التي تعيشون فيها وإلى بلدكم وإلى العالم كله، فإن ما ترونه من فساد وشر إنما هو ناشيء من أنانية و
إستكبار وغرور النفس الإنسانية، وهدف الدعاء التغلب على كل هذه المسائل.

إن الهدف من الدعاء هو التضرع إلى الله وطلب الحاجة منه والتواضع إليه والابتعاد عن الإستكبار والاستعلاء، قال تعالى في محكم
آياته: **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ
زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (1)** وهذا التضرع الذي يحدثه الله تعالى في نفوسنا جراء المصائب والابتلاءات هو لأجلنا نحن؛ وإلا
فهو غني عنه ولا حاجة له به(2).

ص: 298

1- سورة الأنعام: 42-43.

2- من كلمة ألقاها بتاريخ 17 رمضان 1415 هـ.

إشارة

في بعض الأحيان قد لا يستجاب الدعاء مهما دعا الإنسان، فما هو السبب؟ وقد أجابت الروايات على هذا السؤال، بأنّ للدعاء شروطاً، و لا بدّ من توفّر هذه الشروط في الدعاء(1).

وأحيانا يدعو الإنسان ويشعر أن حاجته لم تتحقق بحسب الظاهر.

إنّ الشرط المهم لاستجابة الدعاء هو أن يكون دعاء صادقاً بمعنى الكلمة و متضمناً لشرائطه.

[الشروط التي وردت على لسان الأئمة عليهم السّلام]

إشارة

من هذه الشروط التي وردت على لسان الأئمة عليهم السّلام هي:

1 - طهارة القلب

وذلك أن ندعو بقلوب صادقة و طاهرة كقلوب الشباب؛ و لهذا فإنّ قابلية الاستجابة لدعاء الشباب أكثر من غيرهم.

البعض كانوا يقولون لي: أدعو لشبابنا، أنا دائماً أدعو للشباب؛ ولو علم هؤلاء الشباب بأهمية القلب النقي و الحيوي، لتيقنوا بأنّ دعاءهم يمكن أن يكون أقرب للإستجابة من دعاء غيرهم.

ص: 299

1- من كلمة ألقاها بتاريخ 17 رمضان 1415 هـ.

2 - الدعاء مع المعرفة

بأن يعلم الإنسان أنه يدعو موجودا قادرا على تلبية جميع حاجاته، و يعتقد بأثر الدعاء في الاستجابة.

جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل: (ندعو فلا يستجاب لنا) فقال عليه السلام: (لأنكم تدعون من لا تعرفونه)⁽¹⁾.

و ذكر معنى المعرفة في إحدى الروايات المتعلقة بالدعاء التي جاء فيها: (يعلمون أنني أقدر أن أعطيهم ما يسألوني)⁽²⁾.

و اطلبوا على الدعاء و اطلبوا الحاجات الكبيرة، اطلبوا الدنيا و الآخرة، و لا تقولوا إن ذلك كبير و كثير؛ كلا، فإن ذلك ليس بالشيء الكثير على الله تعالى؛ الشرط الأساسي هو أنكم تدعون مع العمل بشروط الدعاء.

و لكون الإنسان غافلا تجد أنه في بعض الأحيان لا يعلم أن العمل الذي تحقق له، هو إجابة لدعائه.

3 - الإجتنب عن المعاصي و التوبة منها

إننا جميعا مبتلون بالمعاصي و التقصير، تقصيرا كثيرا أو قليلا؛ علينا أن نعتذر لله و نستغفره و نتوب و نؤوب إليه.

و لا بد أن نعزم على أن لا نتطرق إلى المعصية.

أحيانا يعزم الإنسان و يصمم على أن يتجنب المعصية، ثم يبتلى بالذنوب مرة أخرى نتيجة لغفلته و خطأه، فعليه أن يستغفر و يتوب مرة أخرى، إلا أن الاستغفار لا بد

ص: 300

1- ميزان الحكمة: 873/2 ح 1197 باب شرائط الاستجابة.

2- تفسير الميزان: 43/2.

أن يكون صادقا و حقيقيا كما تقدم تفصيله.

تية الإجتتاب عن المعاصي لا بد أن تكون جدية و صادقة و حقيقية.

جاء في إحدى الروايات فيما يتعلق بالدعاء و استجابته: (و ليخرج من مظالم الناس)(1) على الإنسان الخروج من مظالم الناس حتى يستجاب دعاؤه.

وفي رواية أخرى يخاطب الله تعالى موسى عليه السلام بقوله: (يا موسى ادعني بالقلب النقي و اللسان الصادق)(2)، و إذا تحقق هذا فإنّ الدعاء لا بد أن يكون مستجابا.

4 - حضور القلب و عدم الغفلة

كما قلنا إنّ معنى الدعاء هو الكلام مع الله، و أن نشعر بأنّ الله حاضر أمامنا و ينظر إلينا.

إنّ طلب الإنسان من الله شيئا بلسانه - كالدعاء لنفسه أو لوالديه - دون أن ينتاب قلبه حالة من الشعور بالحاجة لله لا يعتبر دعاء، بل لقلقة لسان (لا يقبل الله عزّ و جلّ دعاء قلب لاه)(3).

إذا دعا الإنسان الغافل الذي تلوث قلبه بالشهوات النفسية و أهاه الأمل، فإنّ الله تعالى لا يقبل دعائه، فكيف يتوقع الإنسان الإجابة من الله و هو على هذه الحال؟!!

البعض يؤجلون العبادة و الدعاء و التوبة الى سنّ الشيخوخة، إنّ هذا خطأ كبير.

يقولون لنا توبوا، نقول لهم لدينا متسع من الوقت.

أولا: ليس من المتيقّن أنه سيكتب لنا عمرا طويلا من أجل التوبة لكي نتوب، فلا

ص: 301

1- تفسير الميزان: 875/2.

2- بحار الأنوار: 341/90.

3- الكافي: 473/2 ح 2.

يدري الإنسان متى يموت.

و ثانيا: لو فرضنا أننا واثقون من بقائنا الى سن الشيخوخة - كأن نفترض أن الإنسان يستطيع أن يقضي فترة شبابه غافلا و غارقا بالشهوات، و عند سن الشيخوخة يتوب و هو مرتاح البال - فإن هذا خطأ كبير.

إنّ حالة التوجه للدعاء و الإنابة ليست من الأ-مور التي تحصل للإنسان في كل الأوقات، ففي بعض الأحيان نحاول أن نتوجه للدعاء فلا نتمكن: ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ يَدَاكَ (1).

إنّ الإنسان الذي لا يمتلك أرضية التوجه لله و الإنابة إليه، لا يتوقع أنه متى ما أراد التوبة يستطيع الدخول في حرم الله تعالى فيتوب عليه.

أنتم تعلمون أن بعض القلوب الطاهرة - قلوب الشباب غالبا - تستطيع الاقتراب من الله تعالى بسهولة، أما قلوب البعض الآخر لا تستطيع ذلك مهما حاولت.

إنّ الذين يمتلكون فرصة للتقرب من الله تعالى و المحافظة على صفاء قلوبهم، يجب عليهم الحفاظ على تلك العلاقة و تقويتها؛ لكي يستطيعوا أن يدخلوا حرم الله متى شاؤوا(2).

علينا أن ندعو بحضور قلب و بتوجه، و أمّا لقلقة اللسان و الدعاء بقلب لاه، كأن يقول: إلهي ارحمني، إلهي وسّع عليّ في الرزق، إلهي أدّ ديني، إلهي أعطني الشيء الفلاني، فلو بقي عشر سنوات يدعو بهذا النحو من الدعاء لن يستجاب له و لن يجني فائدة من ورائه.

فمن شروط الدعاء قول المعصوم عليه السلام: «اعلموا أنّ الله لا يقبل دعاء عن قلب غافل»(3).

ص: 302

1- سورة الحج: 10.

2- من كلمة ألقاها في 1 /شهر رمضان المبارك/ 1426 هـ - طهران.

3- ميزان الحكمة: 875/2 ح 1197 باب شرائط الاستجابة.

و من هنا لا بدّ من أن تتضرّعوا و أن تلجّوا بالدعاء و بالتضرّع و أن تطلبوا و تطلبوا منه تعالى، و بلا أدنى ريب سيستجيب الله هذا الدعاء(1).

5 - عدم طلب المستحيل

أن لا تسألوا الله امورا مستحيلة التحقّق. فقد ورد في الرواية أنّ الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله سمع رجلا يدعوقائلا: «اللهم لا تحوجني إلى أحد من خلقك» فقال له رسول الله صلّى الله عليه و آله: «لا تقولن هكذا، فليس من أحد إلاّ و هو محتاج إلى الناس» فسأل الرجل رسول الله صلّى الله عليه و آله: فيم أدعو يا رسول الله.

فقال الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله: «قل اللهم لا تحوجني إلى شرار خلقك»(2).

هذا ما ينبغي أن تدعوه به.

و أمّا الدعاء بالامور المستحيلة فلا يستجاب لمخالفته للسنن الحاكمة على العالم(3).

إستجابة الدعاء مقيدة بالقوانين الطبيعية

ليس من الضروري أن ينجم عن الدعاء نقض القوانين الطبيعية، و السير في الإتجاه المغاير لها. كالأ و إنما يستجاب الدعاء و تلبى الحاجات في إطار القوانين الطبيعية؛ فالقدرة الإلهية قد تهيب الأسباب و تجعل القوانين تسير في نسق تلبى في

ص: 303

1- من كلمة ألقاها بتاريخ 17 رمضان 1415 هـ.

2- مستدرک الوسائل: 263/5 ح 5831.

3- من كلمة ألقاها بتاريخ 17 رمضان 1415 هـ.

ضوئه حاجة الداعي.

و من الطبيعي أنّ الدعاء لا يستجاب فيما إذا تضارب مع قانون إلهي آخر، إنّ الوعد الإلهي حق، و لكن في الوقت ذاته ليس هناك ضمانة توجب استجابة دعاء الأشخاص البطلين الذين يريدون تحقيق أمنيتهم من غير كد و تعب، فإذا ما دعا المرء ربه؛ قد يستجاب دعاؤه و قد لا يستجاب. فحينما يتعارض الدعاء مع قانون طبيعي، لا توجد ثمة ضمانة بتلبيته.

و لكن هنالك حالات يخرق فيها الدعاء حتى القوانين الطبيعية. و إذا قلنا إنّ الدعاء يستجاب فلا يعني ذلك أنه يستجاب حتى لو تعارض مع السنن الإلهية، و لم يقترن بالعمل، و لم ينبعث من قلب ملتفت صادق؛ غير أنّ الدعاء إذا كان عن طلب و إرادة و إصرار، فإنه يستجاب، أما إذا رافق الدعاء عمل و جهد و سعي على طريق الغايات الكبرى، فيصبح احتمال الاستجابة أكبر.

و في الحالات التي يتواصل فيها الدعاء، تكون الاستجابة أكبر. و إذا تكرر الدعاء و لم تحصل الاستجابة له فينبغي عدم اليأس، خاصة إذا كان الموضوع يتعلق بقضايا كبرى و بمصير الإنسان، و مصير الدول و الشعوب؛ لأن من طبيعة القضايا الكبرى أن يستغرق تحقيقها وقتاً طويلاً أحياناً(1).

الوعد الإلهي باستجابة الدعاء

قال الله تبارك و تعالى بسم الله الرحمن الرحيم... وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (2).

ص: 304

1- من كلمة ألقاها في: 6 رمضان 1419 هـ ق - طهران.

2- سورة البقرة: 186.

ونقل عن النبي نوح عليه السلام أنه؛ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرُ (1).

وجاء عن موسى (ع)؛ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (2) شاكياً إلى الله مستجيراً به.

وعد الباري تعالى في آيات عديدة من كتابه الكريم باستجابة الدعاء، و من ذلك ما جاء في الآية الشريفة: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ (3) ويحتمل أن لا تكون الاستجابة بمعنى تلبية تلك الحاجة مئة بالمئة؛ فقد لا تقتضي قوانين الخلقة ذلك أحياناً - وذلك لوجود قوانين في بعض الحالات، لا تسمح بتلبية تلك الحاجة، أو قد لا تسمح بتليبيتها في ذلك الحين - أما القاعدة المتعارفة في غير هذه الموارد فهي أنه تعالى يستجيب الدعاء.

كما ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي الذي يقرأ في أسحار شهر رمضان. و جاء في القرآن الكريم: وَ سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (4) وهذه الآية نفسها وردت في الدعاء، مع اختلاف طفيف طبعاً؛ إذ وردت في الدعاء «إن الله كان بكل شيء رحيمًا» بينما وردت في القرآن بصيغة كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ثم يقول الإمام السجاد عليه السلام: «و ليس من صفاتك يا سيدي أن تأمر بالسؤال و تمنع العطية» (5).

بمعنى أن القدرة الإلهية و الرحمة الإلهية و الكرم الإلهي إذا أمرت بالطلب و الدعاء، فإنها كفيلة بتلييته.

و هذا هو الوعد الإلهي الذي صرّحت به الآية الكريمة بقوله تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ

ص: 305

- 1- سورة القمر: 10.
- 2- سورة الدخان: 22.
- 3- سورة غافر: 60.
- 4- سورة النساء: 32.
- 5- مصباح المتعجب: 583.

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (1). فكل من يدعو الله، هنالك بلا ريب جواب له وهو ما جاء بلسان أهل البيت عليهم السلام: «لكل مسألة منك سمع حاضر و جواب عتيد»(2).

هذه قضية على جانب كبير من الأهمية، و يجب على عباد الله المؤمنين أن يقدروها حق قدرها.

و من الطبيعي أنّ من لا إيمان له لا يغتنم هذه الفرصة، مثلما يفترط في الكثير من الفرص الأخرى.

هذا وعد إلهي حتمي بالاستجابة لكل من يتوجه له بالدعاء؛ وهذا وعد، و من الطبيعي أنّ لكل وعد شروطه، وقد جمعت في هذا المجال آيات عن الوعد الإلهي، و لا أروم دخول البحث تفصيلاً وإنما أكتفي باستذكار بضع نقاط بإيجاز:

نموذج قرآني للوعد الإلهي

قطع الله تعالى على نفسه الكثير من الوعد لعباده؛ و من جملتها هذا الوعد الذي نتحدث عنه.

و كمثال على الوعود الإلهية الأخرى نذكر قوله تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا (3).

و من الوعود الإلهية الأخرى أيضاً قوله: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (4).

و هذا الوعد لا يقتصر على الآخرة، بل يشمل الدنيا والآخرة، أو إحداهما. و الوعد

ص: 306

1- سورة البقرة: 186.

2- مصباح المتهجد: 801.

3- سورة فصلت: 46.

4- سورة الكهف: 30.

الآخر هو قوله عزّ من قائل: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ (1).

شروط الوعد الإلهي

ومن الطبيعي أنّ التعجيل لمن يريد العاجلة له شروط هي أن يسعى ويكد ويثابر حتى ينال ما يريد.

وهذا ينطبق حسب ما تعرفونه على بعض الشعوب التي كدّت وتحملت الصعاب واقتنعت بالقليل واقتصدت في ما ينبغي لها الإقتصاد فيه حتى استطاعت بلوغ مكانة عظيمة.

وقال تعالى استمرارا لهذه الآية: وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ (2) أي أننا نعين من يريد نيل الآخرة، ونساعد أيضا من يسعى لنيل الدنيا، فيما إذا كان في سعيه رضا الله. وهذه هي سنة الخلق وهذه هي سنة الله في الوجود؛ فإذا ما سعى الإنسان فلا بد وأن يحصل على نتيجة سعيه؛ فهو تعالى لا يترك عملا بلا نتيجة، بل من المؤكد أن تستتبع السعي نتيجة.

وقد يتسنى لبني الإنسان أحيانا معرفة تلك النتيجة؛ كأن يضعوا نصب أعينهم غاية معينة ثم يسعوا باتجاهها حتى يبلغوها، ولكنهم أحيانا لا يعلمون على وجه الدقة النتيجة التي تترتب على ذلك العمل، ويتأملون من ورائه نتيجة أخرى، إلا أنّ ذلك العمل يعطي النتيجة المترتبة عليه هو نفسه.

و خلاصة القول هي أنّ الله عزّ وجلّ لا يترك أي سعي بلا مقابل.

ص: 307

1- سورة الإسراء: 18.

2- سورة الإسراء: 19-20.

وعد إلهية أخرى

و من الوعود الإلهية الأخرى هو قوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (1) وهذا وعد إلهي قطعي؛ فكل قوم أو جماعة أو شعب يؤمن ويعمل صالحا يصبح خليفة الله في الأرض، أي بيده زمام السلطة في الأرض. وهذا ما حصل فعلا- في إيران الإسلامية، و حصل في كل مرحلة من مراحل تاريخنا توفرت فيها مثل هذه الشروط لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ فَإِذَا كَانَ هُنَاكَ إِيمَانٌ وَلَكِنْ غَيْرَ مُقْرُونَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فلن يصبحوا خلائف لله في أرضه.

فالإيمان المجرد من العمل لا جدوى من ورائه، أما إذا اقترن الإيمان بالعمل فلا بدّ وأن يؤدي النتيجة المتوخّاة منه.

إقتران الوعد الإلهي بالعمل

ثمة وعد إلهي آخر، و هو قوله: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (2) وهذا ما كنّا نقرؤه ونقولُه ونعتقد به ذات يوم في أيام شبابنا، بيد أننا لم نلمسه بالتجربة على نحو واضح، و مع أننا كنّا نؤمن بصحة كلام الله، لكننا لم نجرب ذلك، أما اليوم فقد لمسنا هذه الحقيقة بالتجربة، ففي العهد الذي اندلعت فيه النهضة الإسلامية في إيران، إذا كان أحد يريد أن يعيش حياة إسلامية كريمة في إيران التي أضحت اليوم مهد الإسلام ومثذنته العليا، أو في طهران، لم يكن ذلك بالأمر الهين اليسير، بمعنى أنه

ص: 308

1- سورة النور: 55.

2- سورة العنكبوت: 69.

إذا كان يريد أن يحيا حياة إسلامية تامة بدون هداية و تربية الآخرين لما استطاع، إذ كان هنالك معوقات و موانع شتى؛ فإذا قال أحد أنّ هذه النهضة التي أشعل ذلك السيد فتيلها في قم و هناك عدد من طلبة العلوم الدينية يلتفون حوله، و ما أن يرفعوا صوتهم بالاحتجاج على الحكومة حتى تسارع الأ-جهزة الأمنية إلى اعتقالهم و تعذيبهم و التنكيل بهم، و إنّ الأمور ستدول على أثر صبر و ثبات هؤلاء الرجال الإلهيين السائرين على طريق الحق، و تستقطب زعامتها الحكيمة المسددة نحوها كل القلوب و تنجح في إستتفار جميع أبناء الشعب، لما كان أحد يصدّق ذلك.

و لو قيل إنّ الحكومة ستتحوّل يوما ما - بفضل مشاركة الشعب في الساحة السياسية - إلى حكومة إسلامية، ما كان أحد يصدق ذلك، إلاّ أنّ الوعد الإلهي حينما اقترن بالعمل تحوّل إلى حقيقة واقعة(1).

الوعد مشروط بالثبات و الصبر

إن الوعود الإلهية للمسلمين لا تتحقق على أي نحو كان، فقد يتحقق بعد مضي مدّة من الزمن. فهناك وعد إلهي بعزّة المسلمين، غير أنه لا يتحقق بين ليلة و ضحاها، و لا يمكن أن يصبح حقيقة بلا سعي و عمل؛ هنالك وعد إلهي بنصرة كل شعب يؤمن و يجاهد في سبيل الله تعالى. و ها هو الشعب الإيراني على سبيل المثال و شعب لبنان قد آمن و جاهد فانتصر(2).

فانظروا كيف تمكن عدد قليل من الشباب الذين لم يكن لهم من سلاح سوى الإيمان من القيام في لبنان بعمل عجزت عنه جميع الجيوش العربية برغم ما تمتلكه من السلاح المتطور، حيث تغلب هؤلاء الشباب على جيش إسرائيل المدجج

ص: 309

1- من كلمة ألقاها في: 6 رمضان 1419 هـ ق - طهران.

2- من كلمة ألقاها في: 6 رمضان 1419 هـ ق - طهران.

بالسلاح وأنواع الأجهزة المعقدة، ووصم جبينه بالخزي والعار، وهذا هو السرّ في انتصار المؤمنين عبر التاريخ الاسلامي (1).

وينصّ الوعد الإلهي على أنكم بعد هذا الإنتصار تدخلون في صراع مع أعداء الله تعالى وإذا ما صمدتم وصبرتم فسيكون النصر حليفكم أيضاً إن تَصَبَرُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (2). أي أن هناك وعدا بالنصر ووعدا أيضا بخوض هذا الصراع.

أجل متى ما تظهر القدرة الإلهية وترتفع راية الإسلام، وراية القرآن، وراية القيم والمثل المعنوية، يهب لمانهضتها الظلمة والمفسدون وكل من لا يحتمل سيادة القيم المثلى قال تعالى: وَ لَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ (3)؛ ففي غزوة الأحزاب، لمّا تكالبت قريش من جهة، واليهود من جهة، و ثقيف من جهة، وغيرهم من الأعداء الآخرين، وحاصروا المدينة، انقسم الناس عندها إلى فئتين؛ إذ تبلور المؤمنون على رؤية معينة، و اتبع غير المؤمنين و من في قلوبهم مَرَضٌ (4) رؤية أخرى، فكانوا يقولون: مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (5).

لقد غررنا ولم يتمكن الإسلام من توفير العزة والأمان لنا، و ينقذنا مما نحن فيه.

لقد حاصروا المؤمنين من كل جانب و تكالبت الأحزاب و الأعداء شرقيهم و غربيهم، و الجار و البعيد، و اتفقوا على مهاجمة الدولة الإسلامية؛ فقال المؤمنون:

هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فنحن لم نفاجأ و لا نعجب من هذا؛ لأن الله ورسوله قد

ص: 310

1- من كلمة ألقاها في 27 شعبان 1425 هـ. ق 1383/7/22 هـ. ش - طهران.

2- سورة محمد: 7.

3- سورة الأحزاب: 22.

4- سورة البقرة: 10.

5- سورة الأحزاب: 12.

وعدانا به. كما أن الله ورسوله وعدانا أيضا: الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ (1)؛ فأنتم المؤمنون تقاتلون في سبيل الله، و أما الذين لا- يمتون إلى الله بحبل فيقاتلون في سبيل الطاغوت. أجل، اولئك أيضا يقاتلون، ولكن فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا (2) فإذا قاتلتم وصبرتم ولم تفقدوا ثباتكم فأنتم المنتصرون، و أما إذا وهنتم ويستم و نكصتم، فلا غرو حينذاك لو هاجمكم أعداؤكم: هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (3).

النصر يستتبع كيد الأعداء

نستخلص مما أسلفنا قوله إن وعد الله مسلّم به؛ أي إذا صبر المرء وثبت عند القتال، يكتب له النصر، وإذا أخلص وصدق النية يتكالب عليه الأعداء.

لاحظوا كم من بلد في العالم يدّعي لنفسه صفة حمل رسالة الإسلام، بيد أننا لم نسمع قط أن دعايات الاستكبار العالمي و الامبراطورية الإعلامية العالمية قد توجهت بسهام الاحتجاج والاستكبار لأي منها بسبب صفتها الإسلامية؛ بينما تعرضت إيران الإسلامية منذ اليوم الأول لانتصار ثورتها لمختلف الهجمات والتهمة والافتراءات والشتائم من قبل الأبواق الدعائية كافة بسبب حملها لراية الإسلام. فإذا كنتم صادقين في مسيرتكم لا بدّ وأن يجلب عليكم هذا الصدق كيد أعدائكم، ولكنكم إذا صبرتم فالنصر لكم قطعا.

وهذا كله وعد الله (4).

ص: 311

1- سورة النساء: 76.

2- سورة النساء: 76.

3- سورة الأحزاب: 22.

4- من كلمة ألقاها في: 6 رمضان 1419 هـ ق - طهران.

ففي عهد الحكم الفرعوني الظالم المستبد عند ما أنجبت أم موسى عليها السلام طفلها وكانت على يقين من أنه سيقتل، ظلت حائرة؛ فلو كان الوليد بنتا لكانت مرتاحة البال؛ كان قلبها طافحا بمحبة طفلها ولكنها بقيت حائرة لا تدري ما تصنع. وهنا جاءها الوحي الإلهي: وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ (1) أي جاءها الوحي أن لا تخافي، ولكن إذا ازداد الخطر وخفت أن يقع الطفل بيد الأعداء، لا تدعيهم يأخذوه منك، بل ألقيه في البحر.

ذكر الله تعالى هذه القصة في مواضع عديدة من القرآن، وعرضها في كل موضع بأسلوب لطيف ومعبر.

ومرّت بهذه الأم ظروف أشعرتها بدنو الخطر على طفلها؛ إذ داهم جنود فرعون دار هذه الأسرة الكريمة من بني إسرائيل لقتل هذا الصبي، و أدركت أم موسى أنها ستفقدته على نحو أو آخر، فاضطرت هناك لإلقائه في النيل. ورد التعبير القرآني أنها ألقته «في اليم»، بيد أن القرائن تشير إلى أنه المراد هو نهر النيل نفسه، إنه موقف مرير؛ إذ كيف يتأتى لأم أن تضع وليدها في صندوق وتلقيه في نهر مائج؟! غير أن الوحي الإلهي أكد لها: إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (2).

هنا وعد الله هذه الأم أولاً: بإعادة طفلها إليها، وثانياً: جعله من المرسلين. وبعد أن سار الموج حاملاً الطفل، قالت أم موسى لأخته أن تتبعه: وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ، لترى إلى أين سينتهي به المطاف، كانت في قلق عليه لأنه مولود ورضيع، ولم يكن عمره قد تجاوز عدّة أيام...

ص: 312

1- سورة القصص: 7.

2- سورة القصص: 7.

إلى أن أخذه الماء قريبا من قصر فرعون فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ وَ ألقى الله في قلوبهم أن يحفظوه. وقررت امرأة فرعون الاحتفاظ به لأنفسهم قائلة: فُرْتُ عَيْنِي لِي وَ لَكَ كَانَ جَانِعًا وَيَطْلُبُ الرضاع، ولكن بعد ما جاؤوه بالمرضعات لم يرضع ثدي أي منهن وَ حَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ، و عندها تقدمت إليه أخت موسى قائلة: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ؟؛ انظروا إنَّ الله حينما يريد استجابة الدعاء و تحقيق وعده كيف يهيئ الظروف و الأسباب؛ فهو هنا يلقي في قلب هذه الفتاة الإلهام و الشجاعة لتأتي آل فرعون و تعرض عليهم ذلك الرأي، و بعد ما وافقوا على عرضها ذهبت و أحضرت أم موسى و أخبرتهم بأنها مرضعة، فناولوها موسى عليه السّلام الذي شمّ ريح أمه و رضع لبنها.

هنا لم تراود آل فرعون الشكوك و لم يدر في خلداهم أن هذه المرأة هي أمه؛ لأنّ الباري تعالى أراد هنا إنجاز وعده: فَردَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ قد رأت بعينها ذلك الوعد.

أما الوعد الآخر: وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فقد أنبأ منذ ذلك الوقت عن بعثة موسى عليه السّلام التي حصلت بعد سنوات طويلة، و كان بمثابة بشرى لبني إسرائيل ليعلموا أن هذا الطفل سيكون رسولا و يبعث لينجيهم من آل فرعون، و هذا هو ما حصل بعد ذلك.

من الطبيعي أنه منذ أن ألقى الله تعالى في قلب أم موسى وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ و حتى اليوم الذي تلقى فيه موسى مقام النبوة و الرسالة و أمر بإتقاد بني إسرائيل، مرت فترة أمدها ثلاثون أو أربعون سنة. و على الرغم مما تشير إليه الروايات، إلا أنّ أسانيد هذه الروايات لا تبعث على اليقين كثيرا، و الذي يستشف من القرائن هو مضي ثلاثين سنة على أدنى تقدير(1).

ص: 313

إنّ الأدعية الماثورة الواردة عن الأئمة عليهم السلام، هي من أفضل الأدعية؛ لأن المطالب التي فيها مطالب واسعة لا يمكن أن تخطر على أذهاننا، ولا يمكن أن تجري إلاّ على لسان الأئمة عليهم السلام، فمن خلال دعاء أبي حمزة الثمالي ودعاء عرفة يستطيع الإنسان أن يدعو بأرقى المطالب ويحصل على أفضل الحاجات ويجعلها ذخرا له إذا ما أراد ذلك، هذا أولا.

وثانيا: إنّ هذه الأدعية هي منبع الخشوع والتضرع لله تعالى، ومطالبها نظمت بلغة وأسلوب وبيان يجعل القلب خاشعا وذليلا.

وتوجد في هذه الأدعية المعاني العالية والبليغة التي تجعل الإنسان يموج في بحر من الحب والشوق والهيام لله تعالى.

على الإنسان أن يعرف أهمية هذه الأدعية وكيفية الاستفادة منها وفهم معانيها(1).

ص: 314

الدعاء ليس مقصوراً على أوقات الضيق، بل ينبغي أن تدعو دائماً.

البعض يظن أنّ الدعاء مقصور على أوقات الضيق و البلاء، كلا، على الإنسان أن يدعو حتى في الحالات الطبيعية للحياة، و يحافظ على علاقته بالله تعالى.

بتعبير إحدى الروايات عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا دعا العبد في البلاء و لم يدع في الرخاء حجبت الملائكة صوته و قالوا: هذا صوت غريب، أين كنت قبل اليوم!»(1)...

البعض يؤجلون العبادة و الدعاء و التوبة الى سنّ الشيخوخة، إنّ هذا خطأ كبير.

يقولون لنا توبوا، نقول لهم لدينا متسع من الوقت.

أولاً: ليس من المتيقّن أنه سيكتب لنا عمر طويل من أجل التوبة لكي نتوب، فلا يدري الإنسان متى يموت.

و ثانياً: لو فرضنا أننا واثقون من بقائنا الى سنّ الشيخوخة - كأن نفترض أن الإنسان يستطيع أن يقضي فترة شبابه غافلاً و غارقاً بالشهوات، و عند سنّ الشيخوخة يتوب و هو مرتاح البال - فإن هذا خطأ كبير(2).

ص: 315

1- بحار الأنوار: 382/90 ح 10.

2- من كلمة ألقاها في 1 /شهر رمضان المبارك/ 1426 هـ - طهران.

قال تعالى: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ؛ هذه الليلة التي عرفت باسم ليلة القدر، وهي تتردد بين عدة ليالي، على الإنسان المؤمن أن يستفيد أكثر ما يمكن من هذه الليلة المباركة، وأفضل الأعمال في الليلة المباركة الدعاء، وإن أهم الأعمال في إحياء ليلة القدر هو الدعاء والتوسل والذكر، والصلاة - التي هي أحد المستحبات في ليلة القدر - هي مظهر من مظاهر الدعاء والذكر.

إنّ الدعاء كما ورد في الرواية هو (مخّ العبادة)، أو بالمصطلح العام هو (روح العبادة)⁽¹⁾.

ص: 316

1- من كلمة ألقاها في 1 /شهر رمضان المبارك/ 1426 هـ - طهران.

النوع الأول: ظلم النفس

- و ذكر ذلك في آيات و أحاديث كثيرة - وهو الذنب الذي يرتكبه الشخص ولا يضر به إلا نفسه، ويشمل الذنوب الفردية العادية المتعارفة.

النوع الثاني: الذنوب التي يرتكبها الشخص، و يلحق من خلالها الضرر المباشر بالآخرين،

و هذا الذنب يعتبر أشد من ظلم النفس، مع أنه يعتبر ظلما للنفس أيضا؛ إلا أنه بسبب كون الإعتداء و التجاوز على الآخرين الذي يتم من خلاله، فإن بشاعة الذنب تكون فيه أكثر و علاجه يكون أصعب؛ من قبيل الظلم، و الغصب، و هضم حقوق الآخرين، و هضم حقوق الإنسانية.

إن الحكومات هي المسؤولة عن هذه الحقوق، و إن هضمها هو ذنب المسؤولين و السياسيين و الشخصيات العالمية.

إن هذه هي ذنوب الذين تستطيع كلمة منهم أو توقيع، أو عزل أو نصب، أن تؤثر على عوائل، و أحيانا على شعوب بأكملها.

و كالمعتاد فإن الناس العاديين لا يقعون في مثل هذه الذنوب، و حتى لو وقعوا فيها فإن نطاقها سوف يكون محدودا، كأن يمشي أحدهم و يقوم بضرب أحد الأشخاص في رجله متعمدا.

أما أنا وأنت إذا ما قدّر لنا أن نبتلي بمثل هذا الذنب فسوف تكون دائرته أوسع، وكما ذكرت سابقاً فإنّ توقيعا أو حكما أو كلمة أو قضاء أو حركة تصدر منّا في مكان إتخاذ القرار يمكن أن يؤثر تأثيرا مباشرا على اناس كثيرين.

إنّ لمثل هذا الذنب إستغفارا يناسبه، إذ أنّ الإستغفار الذي يناسب النوع الأول من الذنوب هو أن يطلب الإنسان المغفرة من الله تعالى بقلب صادق.

أما النوع الثاني من الذنوب فلا يكفي فيه الإستغفار فقط، بل لا بد للإنسان من جبره وإصلاحه.

حيث تأتي هنا مرحلة الإصلاح و تصحيح الأخطاء(1).

الإصلاح و التوبة من الذنوب

لقد جاءت كلمة (التوبة) في كثير من آيات القرآن الكريم مقرونة بكلمة (الإصلاح)، قال تعالى: **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا (2)** وقال تعالى: **مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا (3)**.

وفي مكان آخر ذكر مصداق هذا الإصلاح أيضا كما في قوله تعالى: **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا (4)**، في مقابل الأشخاص الذين يكتبون الحقائق كما قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ (5)**، أو قوله تعالى **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا**

ص: 318

1- من كلمة ألقاها في: 1384/8/8 هـ. ق الموافق: 26 /رمضان المبارك/ 1426 هـ الموافق: 10/30 / 2005 هـ - طهران.

2- سورة النساء: 146.

3- سورة مريم: 60.

4- سورة البقرة: 60.

5- سورة البقرة: الآية 159.

وَ أَصْلَحُوا وَ اِعْتَصَمُوا بِاللّٰهِ وَ اَخْلَصُوا دِيْنَهُمْ لِلّٰهِ (1) اِنَّ الطَّرِيْقَ لِلتَّوْبَةِ، وَ اِصْلَاحَ النُّفُوسِ مَقْرُونٌ بِتَطْهِيْرِ وَ تَنْقِيَةِ الْقُلُوبِ، وَ جَعَلَهَا خَالِصَةً لِلّٰهِ تَعَالَى.

و بناء على ذلك فإنّ الإصلاح يعتبر من لوازم التوبة(2).

إن بعض السلوكيات يمكن للمرء أن يتوب منها، كما أن بعضها يستعصي على التوبة لأن إصلاحها مستحيل؛ فالقرآن الكريم يردف في موارد متعددة إلاّ الَّذِينَ تَابُوا وَ اَصَّ لِحُوا (3) قوله تعالى وَ اَصَّ لِحُوا، لأن التوبة تكون أحيانا مختصة بالتصرفات الفردية و السلوكيات الشخصية، فتوجه إلى الله تعالى بالدعاء مقرّين بخطئنا، فيمحو الله سبحانه آثامنا.

ولكن الأمر يختلف عند ما يكون الفعل مؤثرا على النطاق الاجتماعي، فيأتي معه بواقع جديد أو يزيل واقعا ما من المجتمع، و هنا لا تكون التوبة مقبولة إلاّ بإعادة إصلاح هذا العمل. فهل هذا ممّا يمكن إصلاحه دائما؟! و هل يمكن دائما إعادة المياه إلى مجاريها؟! و لهذا فلا بد من الدقة التامة(4).

النوع الثالث: الذنوب التي ترتكبها الشعوب.

فالذنوب ليست متوقفة على أن يرتكب أحدهم ذنبا و يتضرر منه جماعة، بل أحيانا يتلى أحد الشعوب أو مجموعة من الأفراد المؤثرة على شعب آخر بالذنوب.

و هذا الذنب له إستغفار يناسبه أيضا.

تجد أحيانا شعبا ما يسكت على المنكر و الظلم لسنوات عديدة و لا يبدي أي رد

ص: 319

1- سورة النساء: 146.

2- من كلمة ألقاها في: 1384/8/8 هـ. ق الموافق: 26 / رمضان المبارك/ 1426 هـ الموافق: 10/30 / 2005 هـ - طهران.

3- سورة البقرة: 160.

4- من كلمة ألقاها في: 15 ربيع الأول 1421 هـ - طهران.

فعل تجاه ذلك، وهذا أحد الذنوب أيضا، ولعله أعظمها، وبيّن ذلك قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ (1)**.

إنّ هذا الذنب هو الذي يزيل النعم الكبرى، وهو الذي يوقع البلايا العظيمة على الأفراد والشعوب العاصية.

لقد تحمّل الشعب الإيراني أعباء فعلته بعد خمسين عاما - حيث تمّ في مدينة طهران تشكيل المجلس التشريعي و صودق هناك على إنتقال السلطة و الدولة الى رضا شاه - بسبب وقوفه موقف المتفرج و هو يرى المجتهد الكبير الشيخ فضل الله نوري يعدم وسط مدينة طهران دون أن ينبس ببنت شفة، و يرى كيف عدّوه مخالفا للحركة الدستورية - و لا يزال بعض الكتاب و المؤلفين يرددون هذا الكلام الكاذب، و الفارغ من المحتوى و المضمون - لأنّه كان يعارض أفكار البريطانيين و الموالين للغرب في هذه المسألة - مع أنّ الشيخ فضل الله نوري كان من مؤسسي و قادة الحركة الدستورية -

فلم يكن هذا ذنب مجموعة خاصة من الناس، بل كان ذنبا شعبيا عاما و شاملا و **إِتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً (2)**.

في بعض الأحيان تكون العقوبة جماعية - رغم أنّ مرتكبي المعصية هم فئة خاصة، و لم يكن الجميع قد شاركوا بارتكاب المعصية بصورة مباشرة - لكون الفعل هو فعل جماعي، و على أثره أصبحت العقوبة عامة و شاملة.

إذا فللنوع الثالث من الذنوب إستغفار يتناسب مع طبيعته أيضا **(3)**.

ص: 320

1- سورة الرعد: 11.

2- سورة الأنفال: 25.

3- من كلمة ألقاها في: 1384/8/8 هـ. ق الموافق: 26 /رمضان المبارك/ 1426 هـ الموافق: 10/30 / 2005 هـ - طهران.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أربعة أسرع عقوبة: رجل أحسنت إليه و يكافيك بالإحسان إليه إساءة، و رجل لا تبغي عليه و هو يبغي عليك، و رجل عاهدته على أمر فمن أمرك الوفاء له و من أمره الغدر بك، و رجل يصل قرابته و يقطعونه» (1).

إن الذنوب و المعاصي كلها مضافا الى العقاب الأخرى عليها يترتب عليها آثار و عقوبات دنيوية أيضا، و لكن هذه الصفات الأربع المذكورة في الرواية عقوبتها المترتبة عليها أسرع من سائر العقوبات. و هي:

1 - الشخص الذي تحسن إليه و لكنه بدلا من أن يكافيك بالإحسان ورد الجميل، يبادلك بالإساءة و يجيب الإحسان إليه بالإساءة إليك.

2 - الشخص الذي لا تظلمه و لا تتعدى عليه و لا تتجاوز حقوقه، و لكنه يبادلك بالظلم و التعدي و التجاوز.

3 - الشخص الذي إذا عاهدته على أمر وفيت له بعهدك و لكنه يغدر بك و لا يفي بما عاهدته عليه بل ينقض العهد و يحث به.

4 - الشخص الذي يصل أقرباه و لكنهم يبادلونه بقطيعته.

و هذه الأمور الأربعة ترجع الى أمر واحد عام و هو أن المعاملة الإجتماعية و العلاقات و الروابط بين الأشخاص تكون من أحد الطرفين مبتنية على الإحسان و العدل و الإنصاف بينما تكون من الطرف الآخر مبتنية على الظلم و الغدر و نقض

ص: 321

العهد وعدم المروءة، ففي هكذا موارد سوف يرى الشخص الظالم والغادر والقاطع لرحمه عواقب أعماله عاجلا وسريعا. (1)

وقت الإعتراف بالذنب

وقد رأيت في رواية أنّ عرفات سمّيت عرفات لأنّ هذا المكان و هذا اليوم هما فرصة للإنسان كي يعترف بذنوبه بين يدي الباري عزّ وجلّ .

فالإسلام لا- يجيز للإنسان الاعتراف بالذنوب والخطايا أمام الآخرين، أمّا بين يدي الله سبحانه وفي خلواتنا مع أنفسنا فلا بدّ لنا من الاعتراف بقصورنا وتقصيرنا وأخطائنا وذنوبنا التي تكبّلنا وتعوّقنا من التحرك وتكون سببا لاسوداد وجوهنا أمام الله.

وإذا ما أراد الإنسان أن يسير في طريق الخير والصلاح فلا بدّ له من الاعتراف - بينه وبين ربّه - بذنوبه وعيوبه.

أمّا الذين يتصوّرون أنّهم مبرّون من كلّ عيب ونقص فلن يتمكنوا من السير في هذا الطريق أبدا.

و هذا الأمر لا يقتصر على الفرد فقط بل ينطبق على المجتمع أيضا. فإذا أراد المجتمع أن يسير في طريق الرشاد لا بدّ له من معرفة مواضع أخطائه وإنحرافاتة، ومعرفة ما هي تلك الأخطاء التي ارتكبتها؟ ويعترف بذنوبه بين يدي الله. ولذا يجب على الأمة الإسلامية اليوم أن تعترف بتهاونها في أداء مسؤولياتها تجاه الإسلام العظيم، وعلى المسلمين في العالم أن يعترفوا بأنّ متابعة القوى المعادية للإسلام والقبول بالثقافة الغربية الفاسدة والمبتذلة هو إنحراف عن الطريق السوي. وإذا ما اعترفت الشعوب الإسلامية بهذه الامور فإن الطريق سيفتح أمامها وتكون قادرة على

ص: 322

فالإعلام العالمي يريد أن يشغل الشعوب؛ حتى لا تستطيع أن تميّز بين الخطأ والصواب. وهذا ما تشاهدونه في وسائل الإعلام العالمية من صحف وإذاعات وفي مختلف المجالات السياسية والإقتصادية وفي مجال الاستهلاك وغيرها من المجالات.

نموذج للإعتراف بالذنب

أمّا السرّ الأساسي الذي حدا بالشعب الإيراني المسلم أن يقوم بهذه الثورة العملاقة - التي أيقظت الشعوب من نومها وأوجدت هذا التحول العميق - فهو رجوعه عن الطريق الخاطئ الذي سار عليه مدّة من الزمن. فقد عرف هذا الشعب أنّ متابعة السلاطين والظلمة و السكوت عمّا يرتكبونه من ظلم وإجحاف هو سلوك خاطئ لا بدّ من تغييره، فأبدل هذا الطريق المنحرف بآخر سليم، الأمر الذي جعله ينال الموقّية والسعادة.

وقد فتح الشعب الإيراني بموقفه هذا طريقاً أمام الشعوب المستضعفة في العالم، حتى أنّنا نرى أنّ كلّ المثقّفين المسلمين وأصحاب الضمائر الحيّة في العالم الإسلامي يتابعون نفس الطريق الذي سار عليه هذا الشعب؛ لأنّه هو طريق السعادة والموقّية، طريق النجاح والانعقاد من سيطرة القوى الإستكبارية.

وإنّنا نأسف لأنّ بعض الشعوب الإسلامية لم توفّق لحّد الآن من السير في هذا الطريق؛ لأنّ الحكّام الفاسدين والخونة لم يسمحوا لها أن تجد طريقها الصحيح(1).

قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام: «يا هشام، إن المسيح عليه السلام قال للحواريين: بحق أقول لكم، إن من ليس عليه دين من الناس أروح وأقلّ همًّا ممنّ عليه الدين وإن أحسن القضاء، وكذلك من لم يعمل الخطيئة أروح همًّا ممن عمل الخطيئة وإن أخلص التوبة و أناب»(1).

يقول النبي عيسى عليه السلام في وعظه ونصيحته لخواص أصحابه المعروفين بالحواريين:

إن الشخص الذي عليه دين للناس يعيش حالة الهمّ وعدم الراحة بخلاف الشخص الذي ليس للناس في عهده شيء فإنه يعيش أفضل راحة من ذلك حتى وإن كان سوف يقضي دينه في موعده إلا أن نفس كونه مدينا يدخل الهمّ على قلبه.

وهكذا حال الإنسان المخطيء المذنب فإنّ ذنبه يجعله مهموما حتى وإن تاب و أناب إلى الله تعالى بخلاف الشخص الذي لم يذنب و لم يخطيء فإنه يعيش مرتاح البال.

وهذا القلق و تشويش الذهن و البال الناشيء من ارتكاب الذنب إنّما يحصل للإنسان فيما إذا تذكّر ذنوبه و أخطائه، و لذلك كان نسيان الذنوب و الأخطاء أعظم آفة تجعل الإنسان غافلا عن علاج نفسه و إصلاحها.

و من هنا فإنّ تذكّر الذنب و الخطيئة و الإقرار بهما لنفسه و ليس للآخرين (لأن الإعتراف بالذنب أمام الآخرين غير جائز) من الأمور التي أوصى بها الإسلام و أكد عليها(2).

ص: 324

1- تحف العقول، صفحة: 392.

2- كلمات مضبئة: 179.

إنّ الإستغفار إذا كان حقيقيا وصادقا، يذلل الصعاب أمام الإنسان. نفترض أنّ أحدكم لديه مشكلة كأن يكون أحد أعزائه مريضا، و طرق كل الأبواب المتعارفة و لم يحصل له على علاج يشفيه، و لم يبق أمامه إلاّ التوسل إلى الله و دعاؤه، يا ترى كيف يدعو الله في مثل هذا الموقف ؟

يجب أن يكون استغفار الذنوب على هذه الشاكلة أيضا، أي أن تستغفروا الله عن صدق و تقرروا عدم اقتراف هذا الذنب ثانية.

بطبيعة الحال قد يقرر الإنسان عدم العودة إلى مثل ذلك الذنب، لكنه قد ينزلق و يرتكبه مرة اخرى، عليه أيضا أن يتوب ثانية.

و حتى إن تاب مائة مرة و لم يلتزم و عاود ارتكاب الذنب يبقى باب التوبة مفتوحا أمامه للمرة الواحدة بعد المائة.

لكن من يتوب و يستغفر يجب أن لا يضمّر في قرارة نفسه أنه يستغفر الآن و بعدها يعاود ارتكاب الذنب، فهذه لا تسمى توبة (1).

ص: 325

روي عن الأئمة الأطهار عليهم السّلام حديثاً جاء فيه: «من استغفر بلسانه ولم يندم بقلبه فقد استهزء بنفسه»(1).

أيّ استغفار هذا؟! هذا لا يعد استغفارا. الإستغفار معناه أن يطلب الإنسان من ربّه بجد أن يعفو عما ارتكبه من خطأ، فكيف يبيح لنفسه العزم على ارتكاب ذلك الذنب مرّة اخرى؟ وهل يتجرأ على طلب الغفران من ربّه؟ وأي استغفار هذا؟

هذا الاستغفار لا جدوى منه. لا بدّ أن يكون الاستغفار حقيقيا و جديا(2).

فوائد الإستغفار

قال الله الحكيم في كتابه الكريم: بسم الله الرحمن الرحيم * وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غُفُوراً رَحِيماً(3).

جاء في دعاء أيام شهر رمضان المبارك: «و هذا شهر التوبة و هذا شهر الإنابة و هذا شهر العتق من النار»(4).

الإستغفار يعني طلب المغفرة الإلهية للذنوب، و لو أداها العبد بشكل صحيح لفتحت عليه باب البركات الإلهية. فالذنوب التي نرتكبها تغلق على الفرد و المجتمع كل ما يحتاجه من الألفاظ الإلهية، من فضل الله، و رحمته، و نوره، و هدايته، و توفيقه، و إعانتة في أعماله، و مؤازرته بالنصر في مختلف الميادين، الذنوب تسدل

ص: 326

1- بحار الأنوار: 356/75 ح 11.

2- من كلمة ألقاها في: 28 جمادى الثانية 1422 هـ - طهران.

3- سورة النساء: 110.

4- الصحيفة السجادية: 235.

حجابا بيننا وبين رحمة الله وفضله، والاستغفار يزيل هذا الحجاب ويفتح علينا باب فضل الله ورحمته. وهذه هي فائدة الاستغفار.

لهذا يذكر القرآن للاستغفار - في عدة مواضع - فوائد دنيوية وكذا يذكر فوائد اخروية، كقوله تعالى: **وَ يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (1)** وأمثالها ويفهم من الآيات كلها أنّ الفضل الإلهي يجد طريقه إلى قلب الإنسان وجسده وإلى المجتمع الإنساني ببركة الاستغفار. وهذا يعني أنّ الاستغفار أمر مهم.

الاستغفار بذاته يمثل في الواقع جزءاً من التوبة، والتوبة معناها العودة إلى الله.

وعلى هذا فأحد أركان التوبة، الاستغفار؛ أي طلب المغفرة من الله تعالى، وهذا من النعم الإلهية الكبرى.

أي أنّ الله تعالى فتح باب التوبة لعباده ليتسنى لهم طي مدارج الكمال، ولكي لا يكون الذنب سبباً في انشدادهم إلى الأرض؛ لأن الذنب يسقط الإنسان من ذروة علاه الإنساني. وكل ذنب يلحق ضرراً بروح الإنسان ونقائه ومعنويته واعتزازه الروحي، ويقضي على شفافية روح الإنسان فتتراكم عليها الرسوبات.

أثر الذنب على الإنسان

الذنب يجرد الإنسان من ذلك البعد المعنوي الذي يميز الإنسان عن سائر موجودات هذا العالم المادي، ويقضي على روحانيته ويقربه إلى الحيوانات والجمادات.

وفضلاً عن الضرر المعنوي الذي تلحقه الذنوب بحياة الإنسان، فهي تجلب عليه الكثير من الإخفاقات، فالكثير من ميادين الحياة الإنسانية يفشل فيها الإنسان بسبب

ص: 327

ما يرتكبه من ذنوب. نعم، لفشل الإنسان وإخفاقه تفسير علمي ونفسي وفلسفي أيضا، وليس ذلك بالتعبد الصرف أو بيان ألفاظ.

كيف يتأتى للذنب أن يصيب الإنسان بالإحباط؟ في معركة أحد مثلا أدى تهاون مجموعة من المسلمين إلى تحويل النصر الابتدائي إلى هزيمة، أي أن الغلبة كانت للمسلمين في الوهلة الأولى إلا أن الأشخاص الذين أوكلت إليهم مهمة المراقبة في مضيق الجبل لصد أي تسلل للعدو من خلف الجبهة، تركوا مواضعهم وهرعوا إلى ساحة القتال طمعا في نيل الغنائم، فالتفت عليهم العدو من الخلف وباغتهم بهجوم مفاجئ، فدمرهم.

وهذا هو السبب في هزيمة احد، هذا أثر من آثار الذنوب.

وردت في سورة آل عمران عشر آيات أو اثنتا عشرة آية أو أكثر بشأن هذه القضية.

فبما أن المسلمين كانوا يعيشون حالة من الاضطراب النفسي لذلك كان وطء هذه الهزيمة ثقيلًا عليهم. فنزلت الآيات القرآنية لطمأنتهم وهدايتهم ولتبيين لهم العوامل التي انتهت بهم إلى الهزيمة، والظروف التي أدت بهم إلى ذلك، وتسلسل الآيات حتى قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا (1)** أي أن الذي حصل من ترك مجموعة من المقاتلين لمهمتها حتى انتصر العدو لم يكن أمرا اتفاقيًا، بل كانت أرضية نفوسهم قد استعدت لذلك بسبب ذنوبهم. أي إنهم كان فيهم خلل داخلي وقد استعان الشيطان بما كانوا قد ارتكبوه سابقا من أعمال، ودفعهم إلى الانحراف.

أي أن الذنوب السابقة يظهر أثرها في الجبهة؛ في الجبهة العسكرية وفي الجبهة السياسية وفي جبهة مواجهة العدو، وفي جهاد البناء، وفي مجال التربية والتعليم، وفي كل حقل يستلزم الاستقامة، ويستلزم الفهم والاستيعاب الدقيق، وفي المواضيع

ص: 328

1- سورة آل عمران: 155.

التي ينبغي للإنسان يكون فيها صلدا كالحديد يقطع كل ما يعترض سبيله من الموانع، و يسير قدما.

المقصود طبعا الذنوب التي لم يستغفر منها الإنسان و لم يتب منها توبة نصوحا.

في هذه السورة ذاتها ثمة آية اخرى وردت بنمط آخر لكتتها تعكس نفس هذا المعنى.

فالقرآن يريد القول: لا عجب في انكساركم في جبهة المعركة فأمثال هذه الوقائع قد تحصل، و قد حصلت من قبل فقال عز من قائل: وَكَأَيُّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَل مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا (1) أي أن أمثال هذه الحوادث قد حصلت للأنبياء السابقين في ساحة القتال، ثم يقول تعالى بعد هذا:

وَمَا كُنَّا قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا (2) أي أن أصحاب الأنبياء عليهم السلام عند ما تعرضوا لمثل هذه الحوادث في المعارك أو حينما يتعرضون لمصائب اخرى في مختلف الميادين، كانوا يتوجهون إلى الله بالاستغفار قائلين:

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وهذا يدل في الواقع على أن الحادثة و المصيبة التي تقع لكم إنما تنشأ بسبب ما ارتكبتموه أنتم من ذنوب. هذا هو تأثير الذنوب.

الأثر المعنوي و المادي للذنوب

إذن فانظروا إلى هذه الذنوب التي يقترفها الإنسان، و هذه المخالفات، و الأعمال الناجمة عن الانسياق وراء الشهوات و حب الدنيا و الطمع و الحرص على مال الدنيا و التعلق بالمناصب الدنيوية، و بخل المرء بما في يده من الأموال، إضافة إلى صفات

ص: 329

1- سورة آل عمران: 146.

2- سورة آل عمران: 147.

الحسد والغضب، تلاحظون أنها تترك على الإنسان أثرين حتما؛ أحدهما: تأثير معنوي يسقط من الروح صفاءها ونقاءها، و يطفى فيها وهج النور، فيخرب في الإنسان ذلك البعد المعنوي، و ينغلق بوجهه سبيل الرحمة الإلهية.

التأثير الآخر يبرز في ميدان النشاط الإجتماعي حيث تتطلب حركة الحياة الجهد و الحزم و صلابة الإرادة؛ هناك تكون الذنوب عائقا أمام المرء. و إذا افتقد العناصر الأخرى التي تعوض عن هذا الضعف، يكتب له الفشل.

بطبيعة الحال قد تكون لدى الإنسان عوامل أخرى أحيانا تعوّض عن ذلك كالسجّية الحسنة و العمل الصالح، إلا أنها ليست موضع بحثنا. أما الذنب بذاته فهذه تأثيراته.

نعمة المغفرة من الذنب

في مثل هذه الحالة يمنح الله الإنسان نعمة كبرى و هي نعمة المغفرة، و يقول له:

إنك إذا ندمت على الذنب الذي اقترفته - و هو ما ينبغي أن يبقى أثره السيئ - فذاك باب التوبة و الاستغفار مفتوح. فكأنك بارتكابك للذنب قد أنزلت بيدك جرحا و أدخلت إليه مكروبا، فالمرض واقع بك لا شك.

و إذا شئت إزالة أثر هذا الجرح و هذا المرض من جسدك، فإن الله تعالى قد فتح لك بابا و سمّاه باب التوبة و الاستغفار و الإنابة و العودة إلى الله. فإذا تبتم فسيعوض الله عليكم. هذه نعمة كبرى منحها الله إيانا.

جاء في دعاء وداع شهر رمضان و هو الدعاء الخامس و الأربعون من الصحيفة السجادية، كلام للإمام السجاد (ع) يدعوربه قائلا -: «أنت الذي فتحت لعبادك بابا إلى عفوك سمّيته التوبة، و جعلت على ذلك الباب دليلا من وحيك لئلا يضلوا عنه». و يقول بعد بضع كلمات: «فما عذر من أغفل دخول ذلك المنزل بعد فتح

الباب لإقامة الدليل»(1). فاطلبوا المغفرة من الله.

وفي حديث عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول: فيه: «إن الله تعالى يغفر للمذنبين إلا من لا يريد أن يغفر له، فقيل: يا رسول الله من الذي يريد أن لا يغفر له؟ قال: من لا يستغفر»(2).

فالاستغفار مفتاح باب التوبة والمغفرة وبه تنال الرحمة الإلهية(3).

موانع الإستغفار

إشارة

إننا إذا شئنا الإستغفار واستجلاب هذه النعمة الإلهية يتعين علينا تنزيه ذواتنا من خصلتين: إحداهما الغفلة، و الاخرى الغرور.

1 - الغفلة:

إشارة

الغفلة تعني أن لا يكون الإنسان متنبها و ملتفتا بشكل تام إلى أنه يقترب ذنبا، كما هو الحال بالنسبة لبعض الناس، لا أقول الكثير من الناس - فلا تهمني الكثرة والقلة - فقد يكون في بعض المجتمعات أقل. على كل حال، هذا النمط من الناس موجود و يرتكب الذنب غفلة و بدون أن يشعر بصدور المخالفة منه، فقد يكذب، و يداهن، و يغتاب، و يضر الآخرين، و يصدر منه الشر، و يخرب، و يقتل، و يخلق المشاكل للناس الأبرياء، و بنظرة أوسع و بمستوى أعلى، يخطط بشكل مروع للإيقاع بالشعوب، و يضلل الناس، من دون أن يشعر أساسا أنه يمارس أعمالا منكرة. و لو قال له قائل إنك تقترب ذنبا، قد يضحك منه مستهزئا و يقول: و أي ذنب هذا؟!!

ص: 331

1- الصحيفة السجادية: 222.

2- ميزان الحكمة 3/2274 ح 3083.

3- من كلمة ألقاها في: 17 رمضان 1418 هـ - جامعة طهران.

بعض هؤلاء الناس غافل، أو قد لا يعتقد أساساً بمبدأ الثواب والعقاب، والبعض الآخر يعتقد بالثواب والعقاب لكنه تائه في غمار الغفلة غير ملتفت لما يعمل، ولو تأملنا في حياتنا اليومية لرأينا بعض تصرفاتنا شبيهة بتصرفات الغافلين، الغفلة أمر عجيب وذات خطر بليغ.

وقد لا يوجد عدو أشد، ولا خطر أكبر منها على الإنسان، نعم بعض الناس هم من هذا الطراز.

الغافل لا يفكر بالاستغفار بتاتا، بل ولا يخطر بباله أنه يرتكب ذنبا. وهو غارق على الدوام بالذنوب، ومنغمس سكران غاط بنومه، وهو أشبه ما يكون بمن يؤدي بعض الحركات وهو نائم. ولهذا اطلق أهل السلوك الأخلاقي - في بيانهم لمنازل السالكين في طريق تهذيب النفس وتحصيل الأخلاق - على المنزل الذي يروم المرء فيه الخروج من الغفلة، اسم منزل اليقظة.

أثر الغفلة

أما في المصطلح القرآني فيطلق على الحالة المقابلة للغفلة، اسم التقوى. التقوى تعني التنبه واليقظة الدائمة والمواظبة. قد تصدر عن الغافل عشرات الذنوب وهو لا يشعر أساساً أنه ارتكب ذنبا. والإنسان المتقي في الحالة المقابلة له تماما؛ فلا يكاد يرتكب ذنبا حتى ينتبه إلى أنه ارتكب ذنبا، فيبادر إلى إصلاحه: **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (1)**.

يا أعزائي، ويا اخواني وأخواتي، أيا من تكونوا، انتبهوا هذا الكلام غير موجه لفئة معينة فنقول مثلا على غير المثقفين أو على قليلي المعرفة أو الشبان أو الصغار أن ينتبهوا، كلا، بل على الجميع أن ينتبهوا؛ من العلماء والأكابر والشخصيات المعروفة

ص: 332

و الأغنياء و الفقراء و الكبار و الصغار لكي لا يغمسوا في الغفلة فتصدر منهم أخطاء قد لا يكونون ملتفتين لها. هذا شيء عظيم.

الذنب الذي نترفه أنا و أنت قد لا نلتفت إليه و لا نتوب منه و لا نستغفر، لأننا لا نعلم أننا قد أذنبنا.

و في يوم القيامة حين يكشف عن أبصارنا نعي حينها كم في سجل أعمالنا من أشياء عجيبة، يندهش الإنسان في ذلك الموقف و يتساءل عن زمن ارتكابه لهذه الأعمال لأنه لا يتذكرها أصلا. هذا هو ذنب الغفلة، و هذه سلبياته. إذن فأحد موانع الاستغفار هو الغفلة (1).

2 - الغرور يمنع الإستغفار:

المانع الآخر عن التقوى و التهذيب هو الغرور، الإنسان قد يغتر لأدنى عمل يؤدّيه.

يَتَأَكَّمُ أَنْ تَعْتَرُوا وَ تَقُولُوا إِنَّا لَمْ نَذَنْبْ. كلا، بل إننا غرقى في القصور و في التقصير «و ما قدر أعمالنا في جنب نعمك» (2). و ما هو قدر عمل الخير الذي تتصوّر أننا قد فعلناه، و ما هي أهميته و ما نسبته إلى جانب نعم الله و في مقابل حق الشكر لله، فنحن غير قادرين على أداء حق شكره، «لا الذي أحسن استغنى عن عونك» (3).

و هل بإمكان الإنسان الاستغناء عن فضل الله و لطفه في آن من آثائه؟ نحن على الدوام بحاجة للطف الله، و لطفه تعالى يأتينا على الدوام «خيرك إلينا نازل» (4) و نحن عاجزون عن شكره، و هذا قصور أو تقصير يستدعي في كل الأحوال طلب

ص: 333

1- من كلمة ألقاها في: 17 رمضان 1418 هـ - جامعة طهران.

2- البحار: 85/95.

3- البحار: 39/95.

4- البحار: 85/95.

وردت في الأدعية و الروايات كلمة «الاعتذار بالله». جاءت في الدعاء السادس و الأربعين من الصحيفة السجادية - الذي يقرأ في أيام الجمعة - عبارة مثيرة و هي:

«و الشقاء الأشقى لمن اغتر بك، ما أكثر تصرفه في عذابك و ما أطول تردده في عقابك و ما أبعد غايته من الفرج و ما أقنطه من سهولة المخرج»(2). فالمغرور كما تصفه هذه الرواية هو من يغتر بالله تعالى.

فهو يغتر لأدنى عمل يؤديه. فإذا صلى ركعتين مثلاً، أو قدم خدمة للناس، أو تصدق بمبلغ من المال، أو قام بعمل في سبيل الله، يصاب من فوره بالغرور و يحسب أنه أصلح ذاته بين يدي الله تعالى، و حسن حاله عنده و لا حاجة له في شيء آخر! إنه لا يتلفظ بهذا الكلام، لكنه يفكر هكذا في نفسه.

ص: 334

1- من كلمة ألقاها في: 17 رمضان 1418 هـ - جامعة طهران.

2- الصحيفة السجادية: 241.

إنتبهوا إلى أنّ الله تعالى حينما يفتح باب التوبة ويغفر الذنوب، لا يعني هذا أنّ الذنب شيء بسيط أو أمر قليل الأهمية. كلا، فقد تؤدي الذنوب أحيانا إلى هلاك الوجود الحقيقي للإنسان، وتستنزله من مكانته السامية في الحياة الإنسانية إلى حيوان مفترس وقذر ولا يعرف للقيم أي معنى، نعم هكذا هي الذنوب. فلا تظنوا الذنب أمرا يسيرا، فهذا الكذب، وهذه الغيبة، وعدم المبالاة بكرامة الناس، وهذا الظلم ولو بكلمة واحدة هي ذنوب غير طفيفة وغير يسيرة.

الشعور بالذنب لا يستلزم أن يكون المرء غارقا في الذنوب لسنوات متتالية، لا أبدا، حتى الذنب الواحد لا ينبغي الاستخفاف به، جاء في الروايات الشريفة باب اسمه «استحقاق الذنوب»⁽¹⁾، وفيه مذمة لمن يستهين بالذنوب.

أما السبب الذي جعل الباري تعالى يغفر الذنب فهو أن الأوبة إلى الله تحظى بأهمية كبيرة، لا بمعنى أنّ الذنب صغير ويسير.

إنّ الذنب أمر خطير لكن العودة إلى الله و الرجوع إليه له من الأهمية بحيث إنّ المرء إذا قام به عن صدق وإخلاص، يشفى من ذلك المرض المزمن.

وعلى هذا فالإغترار بالعمل الصالح - وهو حسب تصوّرنا عمل صالح، وقد لا يكون صالحا أو لا يحظى بأهمية معينة - يدفع بالمرء إلى ترك الاستغفار.

يقول الإمام السجاد عليه السلام في دعاء آخر: «فأما أنت يا إلهي فأهل أن لا يغتر بك

ص: 335

لا-حظوا ما يتضمنه هذا الدعاء من بيان و من معرفة، فلو لا- الغفلة لما كان الا-غترار بالله و لما كان العجب، و لأقبل المرء على الإستغفار(2).

خطر إستصغار الذنوب

قال الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام لهشام: «يا هشام، إنّ المسيح عليه السّلام قال للحواريين: وإنّ صغار الذنوب و محقراتها من مكائد إبليس، يحقرها لكم و يصغرّها في أعينكم فتجتمع و تكثر فتحيط بكم»(3).

يقول النبي عيسى عليه السّلام في وعظه و نصيحته لخواص أصحابه المعروفين بالحواريين:

إنّ الذنوب الصغيرة و الحقيرة جزء من مكائد و حيل إبليس، فهو الذي يجعلنا نعدّها صغيرة و حقيرة لأنّه يصغرّها و يحقرّها في أعيننا و أنّها ليست بذلك الشيء المهم. و لكن في النتيجة حينما تقدم عليها و نرتكبها شيئاً فشيئاً و بالتدريج سوف تتجمّع و تكثر و في نهاية المطاف سوف تحيط بنا و تؤدّي بنا إلى الهلاك، لأنّ البلاء الذي سيحصل لنا هو نفسه الذي يقع فيه من غرق في دوامة الذنوب الكبيرة.

على أنّ بعض الذنوب الكبيرة كالغيبة و نتيجة تكرارها مرارا تصبح بنظر الإنسان صغيرة فيقدم عليها بجرأة و لا مبالاة. و من هنا يجب علينا التوجه و الإلتفات و المراقبة الشديدة(4).

و عن أبي جعفر عليه السّلام: «من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل: يا ليتني لا أوأخذ

ص: 336

1- الصحيفة السجادية: 190-194.

2- من كلمة ألقاها في: 7 رمضان 1417 هـ - جامعة طهران.

3- تحف العقول، صفحة: 392.

4- كلمات مضيئة: 177.

واحدة من الذنوب التي لا يغفرها الله هي أن يرتكب الإنسان ذنبا ما ولكنه يستصغره ولا يراه ذلك الذنب المهم ويقول في نفسه يا ليت لا يؤاخذني الله يوم القيامة إلا بهذا الذنب فقط.

فإن هذا القول يعتبر استحقارا واستخفافا بالذنب، ولذلك إذا لم يتب الإنسان من هذا الذنب فلن يغفر له.

وهذا النوع من الروايات الغرض منه هو أن يدقق الإنسان أكثر في عيوب نفسه، ويخلع عن عينيه نظارة العجب بنفسه، ولا يرى أن ذنوبه صغيرة بينما ذنوب الآخرين كبيرة(2).

الإستغفار عن الذنب الأخلاقي

الاستغفار إما أن يكون عن ذنب ارتكبه، وإما أن يكون عن ذنب أخلاقي. لو فرضنا أن شخصا لم يرتكب ذنبا، لا من كذب ولا من غيبة، ولا من ظلم، ولا من خلاف، أو شهوة، أو إهانة لأحد، أو تطاول على مال الناس - ومن الطبيعي أن أمثال هؤلاء الناس نادر جدا - إلا أن الكثير من هؤلاء الناس إذا لم تكن لهم ذنوب بالجوارح، فهم بلا شك يقعون في ذنوب الجوانح، وهي ذنوب أخلاقية. فلو أن مثل هذا الشخص الذي لم يرتكب أي ذنب كان يسير بين الناس ويفكر مع نفسه قائلا:

مساكين هؤلاء الناس منغمسون في الذنوب، والحمد لله إنني صنت نفسي وهدبتها ولا أرتكب مثل هذه الذنوب. أي أنه في مثل هذه الحالة أعتبر نفسه خيرا منهم، وهذا بحد ذاته ذنب وسقوط وانحدار يستوجب الاستغفار.

ص: 337

1- الخصال، باب الواحد، ح: 83.

2- كلمات مضيئة: 177.

إن احتقار الناس، واعتبار الذات أفضل من الآخرين، والنظر إلى عمله وكأنه أكثر قيمة من عمل غيره، و ما شابه ذلك من صفات الحسد و الطمع و العجب، كلها تستوجب الاستغفار.

ولو فرضنا أنّ شخصا سلم من كل هذه الذنوب لكنه لم يتعمق في باب علم التوحيد و معرفة الله - و هو باب غير محدود و غير مغلق و لا نهاية له - و كان جميع الأنبياء عليهم السلام و الأولياء يتعمقون فيه من أجل تكامل النفس و نيل مزيد من المعرفة بشأن الباري جل شأنه، و لسبر أغوار صفاته الكمالية، فإذا لم يحرز الإنسان تقدما في هذا السبيل، يعتبر ذلك قصورا منه و تخلفا و عجزا معنويا يوجب الاستغفار(1).

معنى استغفار أهل البيت عليهم السلام

الاستغفار لا يختص بفئة معينة من الناس حتى يقال على الذين أسرفوا في ارتكاب الذنوب أن يستغفروا، كلا، بل يجب الاستغفار على جميع الناس و حتى على من هو في حد النبي صلى الله عليه و آله ليَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ (2) أي حتى الرسول الأعظم صلوات الله عليه و آله يجب أن يستغفر أيضا(3).

فالاستغفار مطلوب من الجميع. تلاحظون مدى اللوعة و الحرقة التي تتسم بها أدعية الأئمة عليهم السلام.

يتصور البعض أنّ هذه اللوعة و الحرقة التي يبديها الإمام السجاد عليه السلام مثلا في الأدعية الغرض منها تعليم الآخرين. أجل تعليم الآخرين موجود أيضا في الشكل و في المضمون، و لكن ليس هذا أصل القضية، بل أصلها هو الحالة الذاتية لهذا العبد

ص: 338

1- من كلمة ألقاها في: 7 رمضان 1417 هـ - جامعة طهران.

2- سورة الفتح: 3.

3- من كلمة ألقاها في: 28 جمادى الثانية 1422 هـ - طهران.

الصالح والإنسان العظيم، هذا الشغف واللوعة متعلّقة به ذاتا، وهذا الخوف من عذاب الله و الرغبة الجامحة في التقرب إليه و نيل رضاه، منبثق من ذاته، وهذا الاستغفار والتضرع إلى الله نابع حقا من ذاته.

قد يكون - مثلا - الإقبال على اللذائذ المباحة والأعمال المباحة في الحياة نوعا من الانحطاط والسقوط في نظر إنسان على تلك الدرجة من العلو والرفعة، فهو يتطلع مثلا إلى عدم الاهتمام بالضرورات المادية والجسمية، وعدم النظر إلى المباح والقضايا العادية في الحياة بل تحدوه الرغبة في أن يحث السير في هذا الوادي اللامتناهي صوب رضوان الله و جنة المعرفة الإلهية، فإذا لم يتحقق له هذا تراه يستغفر. إذن فالاستغفار مطلوب من الجميع.

يجب على الجميع أن يستغفروا سواء الذين يكثرون من العبادة، أم من هم في حد متوسط منها، أم الذين يكتفون منها بأدنى الواجبات، أم من لا يؤدي - لا سمح الله - قسما من الفرائض، عليهم أن يدركوا جميعا بأن هذه الصلة بينهم وبين الله لها أثرها الإيجابي.

استغفروا ربكم و اطلبوا منه العفو، و اسألوه رفع هذا الحجاب المتراكم من الذنوب، وإزالة هذه السحب المانعة لشمس لطفه و فضله، ليشرق نور لطفه على هذه الأفئدة و على هذه النفوس، فتلاحظون عندها ظهور التعالي و السمو في ذات الإنسان(1).

فالاستغفار كما تقدم طلب المغفرة من الله و العودة إليه، التوبة معناها الأوبة إلى الله. فحيثما كان الإنسان و في أية مرحلة من الكمال و حتى إذا كان في درجة أمير المؤمنين عليه السلام يبقى أيضا بحاجة إلى الاستغفار، فقد خاطب الله عزّ و جلّ رسوله

ص: 339

الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْقَوْلِ: **وَاسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ (1)**، وَفَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ (2).

وَالْيَوْمَ فَإِنَّ بِلِسْمِ الْأَلَامِ الْمَزْمُونَةِ الَّتِي يَقَاسِيهَا الْعَالَمُ وَالْجِرَاحِ الَّتِي تَتَنَّى مِنْهَا الْبَشَرِيَّةُ إِنَّمَا يَكْمُنُ فِي الْأُوبَةِ إِلَى اللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ (3)؛ فَعَلَى الْبَشَرِيَّةِ الْعُودَةُ إِلَى اللَّهِ وَ أَنْ تَعِيشَ حَالَةَ وِفَاقٍ مَعَهُ وَ مَعَ الْإِيْمَانِ وَ الْمَعْنَوِيَّاتِ، فَهَذِهِ عَاقِبَةُ مَا اقْتَرَفَهُ الَّذِينَ عَمَدُوا لِإِبْعَادِ الْبَشَرِ عَنِ الْمَعْنَوِيَّاتِ وَ الْإِيْمَانِ وَ عَنِ التَّوْجُهِ إِلَى اللَّهِ؛ وَ الْبَشَرِيَّةُ إِذْ تَتَعَرَّضُ لِأَحْدَاثِ يَوْمٍ هُنَا وَ يَوْمٍ هُنَاكَ، فَمَا عَلَيْهَا إِلَّا الْرُجُوعُ إِلَى اللَّهِ وَ الْمَعْنَوِيَّاتِ.

فَعِلَاجُ الْأَلَامِ الَّتِي تَتَنَّى مِنْهَا هُوَ التَّوْجُهِ إِلَى اللَّهِ وَ الْعُودَةُ إِلَى الْإِيْمَانِ، وَ هَذَا فِرَاقٌ تَتَحَسَّسُهُ الضَّمَانُ الطَّاهِرَةُ عَلَى امْتِدَادِ الْمَعْمُورَةِ (4).

سبب إستغفار النبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

أَمَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ رَسُولَهُ الْأَعْظَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً بِالِاسْتِغْفَارِ، مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ الْأَعْظَمَ مَعْصُومٌ؛ لَا يَذْنُبُ وَلَا يَعْصِي أَمْرَ اللَّهِ، وَ لَكِنَّهُ مَعَ هَذَا يَأْمُرُهُ بِالِاسْتِغْفَارِ.

وَ لَكِنْ مِمَّ يَسْتَغْفِرُ الْأَوْلِيَاءُ وَ الْأَكْبَابُ؟ هَذَا بَحْدُ ذَاتِهِ مَوْضُوعٌ جَدِيدٌ أَنْ يَبْحَثَ عَلَى حِدَةٍ.

فَاسْتَغْفَرَهُمْ مِنْ أَشْيَاءَ لَيْسَتْ كَذُنُوبِنَا؛ لِأَنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الذُّنُوبِ لَا تَصْدُرُ عَنْهُمْ.

فَالْمَقَامُ الرَّفِيعُ وَ الْقُرْبُ الْإِلَهِيُّ قَدْ لَا يَلِيقُ بِهِ أَحْيَانًا مَا هُوَ مَبَاحٌ أَوْ حَتَّى مَا هُوَ مُسْتَحَبٌّ بِالنِّسْبَةِ لَنَا، لِذَلِكَ فَهُوَ يَسْتَغْفِرُ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ اسْتَغْفَارًا جَادًّا، لَا مَجْرَدَ اسْتَغْفَارٍ شَكْلِيٍّ.

لَا حِظُّوا كَيْفَ يَبْدَأُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَاءَ كَمِيلٍ - الَّذِي تَقِيدُ الرُّوَايَاتُ بِأَنَّهُ صَدَرَ عَنْهُ إِِنْشَاءً - بَعْدَ أَنْ يَقْسِمَ عَلَى اللَّهِ بِاسْمِهِ وَ بِقُدْرَتِهِ وَ بِعَظَمَتِهِ وَ بِصِفَاتِ جَلَالِهِ وَ جَمَالِهِ،

ص: 340

1- سورة غافر: 55.

2- سورة النصر: 3.

3- سورة الذاريات: 50.

4- من كلمة ألقاها في: 28 جمادى الثانية 1422 هـ - طهران.

ثم يقول: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم...»(1) وإلى آخر الدعاء.

وهكذا أيضا في دعاء ابي حمزة الثمالي، و الأدعية الاخرى. إذا كان هذا شأن الناس الكبار، فما أحوجنا أنا و أنتم للإستغفار(2).

فرص الإستغفار

ليلة القدر: فرصة سانحة للإستغفار و طلب العفو من الله تعالى، فهو طالما قد فتح المجال أمامي و أمامكم لنعود إليه و نطلب منه العفو و المغفرة، فلنعمل و نرجع إلى الله و إلا فسيأتي يوم يقول فيه عزّ و جلّ للمجرمين: لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (3) لا يأذن لنا - لا سمح الله - يوم القيامة بالاعتذار، و لا يؤذن للمجرمين بالتفوّه بكلمة واحدة للاعتذار، فليس هناك مجال للاعتذار. و ما دام باب العفو مفتوحا هنا، و ما دام الاستغفار يرفع الإنسان درجة و يغسل الذنوب و يضيفي على الإنسان نورا فليستغفر و ليعتذر إليه تعالى، و طالما كانت الفرصة سانحة لاسترحام و طلب الرأفة منه بنا و العطف علينا فعلينا بالمسارعة إلى مثل هذا العمل، فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ (4) أي في نفس اللحظة التي يتوجه فيها القلب إلى الله و يستحضر ذكره، يتفضل هو عليكم بلطفه و رحمته و بركته، و يمدّ لكم يده بالبذل و العطاء. علينا أن نفعل ما يؤهلنا لأن نكون مذكورين عند الله تعالى و لا يأتي الخطاب الإلهي إِنَّا نَسِينَاكُمْ (5) هكذا يكون موقف يوم القيامة.

فلنغتتم هذه الفرصة التي حباها الله اياها للتضرع و البكاء و التوسل إليه، و ذرف

ص: 341

1- فقرة من دعاء كميل، أنظر إقبال الأعمال: 332/3.

2- من كلمة ألقاها في: 17 رمضان 1418 هـ - جامعة طهران.

3- سورة المرسلات: 36.

4- سورة البقرة: 152.

5- سورة السجدة: 14.

دموع الطهارة والمحبة من قلوبنا الدافئة على خدودنا، وإلا فسيحل يوم يقول فيه الله تعالى شأنه للمجرمين: لَا تَجَاوَزُوا الْيَوْمَ إِنَّا كُنَّا بِهَذَا قَوْمًا شَاكِرِينَ (1) هذه الفرصة هي فرصة الحياة. وهي اليوم متاحة أمامنا للعودة إلى الله تعالى.

ومن أفضل الفرص على مدار السنة هي جملة أيام، منها أيام شهر رمضان المبارك، وفي شهر رمضان ليلة القدر التي هي واحدة من ليالٍ ثلاثة كما جاء في الرواية التي نقلها المحدث القمي بأنهم سألوا الإمام عن الليلة التي يرجى فيها ما يرجى، قال: إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، قال: فإن لم أقو على كليهما؟ قال: ما أيسر ليلتين في ما تطلب (2).

كان البعض ينظر إلى شهر رمضان من أوله إلى آخره على أنه ليلة القدر و يؤدون فيه أعمال ليلة القدر. فلنعرف قدر هذا.

إن ما ينزل على الشعوب من المآسي إنما يأتيها من أيديها فبما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ (3) أي من الغفلة والذنوب والمفاسد التي يقتربونها بأيديهم. ومن يلوذ بالله يقترب خطوة من العصمة و يدنو نحو صيانة نفسه من المعاصي.

فعلينا أن نعتصم بالله و نستعين به و نعمل لأجله و نسير في سبيله، و نفوض نفوسنا إليه، و نجلي قلوبنا بذكره.

و حينما تصفو القلوب و تحرر من حبّ الدنيا و التعلق بها و النوازع الماديّة و لا تكون القلوب رهينة لها، يصبح المجتمع حينذاك مجتمعاً نورانياً و نقياً و طاهراً. و مثل هذا المجتمع يعمل أفرادُه بجد و نشاط و يعمّرون دنياهم.

طبعاً عدم التعلق بالدنيا لا يعني عدم إعمارها؛ إعمار الدنيا إذا كان في سبيل الله يدخل ضمن الأعمال الأخروية؛ إن ما ينتهي إلى بناء الحياة المادية هو ما أمرنا به الله

ص: 342

1- سورة المؤمنون: 65.

2- أنظر الكافي: 156/4 ح 2.

3- سورة الشورى: 30.

و هو عمل أخروي أيضا، و حتى هذه الأعمال أكملها و أفضلها و أحلاها هو ما يقترن بذكر الله تعالى.

إعرفوا أهمية ليالي القدر. القرآن الكريم يصرح خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (1)، هذه قيمة كبيرة، و هي الليلة التي تنزل فيها الملائكة و كذلك الروح، و هي الليلة التي وصفها الله بأنها السّلام و التحية الإلهية للإنسان، و بمعنى السلم و الأمن و الصفاء بين الناس و بين القلوب و الأرواح و الأجساد و المجتمعات.

اعرفوا أهمية هذه الليلة من الناحية المعنوية، و ادعوا في ليلة القدر لما فيه صالح الإسلام و صالح أنفسكم و لما فيه خير المسلمين و البلدان الإسلامية، و اطلبوا من الله الحل لمشكلات المسلمين، و ادعوا لهداية جميع الناس و لأنفسكم، و ادعوا لمسؤوليكم و لبلدكم و لأسلافكم، ادعوا الله لما تريدون. اعرفوا قدر هذه الساعات و هذه اللحظات. كما و إنني أسألكم الدعاء في ليالي القدر المباركة (2).

الاستغفار و التوبة

إنّ الله تعالى يأمرنا دائما - في القرآن الكريم كما مرّ في الآية المتقدمة - بالاستغفار و التوبة.

و التوبة تعني: الإنابة الى الله تعالى، و إنّ هذه الإنابة تتحقق على صعيد الإيمان و على صعيد العمل و السلوك، و إنّنا غير معصومين من الذنوب و علينا إصلاح أنفسنا بالدرجة الأولى.

قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم. الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا

ص: 343

1- سورة القدر: 3.

2- من كلمة ألقاها في: 17 رمضان 1418 هـ - جامعة طهران.

إِلَيْهِ ... (1). أي أنّ القرآن الكريم بعد أن يذكر التوحيد - باعتباره أهم الأهداف من خلق الإنسان - يذكر بعد ذلك مباشرة الأمر بالإنباء إلى الله تعالى و طلب المغفرة منه.

إنّ مسألة التوبة و الإستغفار تشمل جميع طبقات البشر، من أعلى مستوى - المتمثل بالرسول محمد صلّى الله عليه وآله - إلى أدنى المستويات؛ إلاّ أنّ الإستغفار من الذنوب عندنا شيء، و عند الأبرار و المقربين شيئاً آخر، - لا تقس عمل المطهرين مع عملك -

فكما نحن محتاجون للإستغفار، فهم محتاجون إليه أيضاً؛ لأنّ الجميع يقع في دائرة الإمكان - (إنّ الذنوب لا تفارق الموجودات الممكنة في كلا- النشأتين، و الله أعلم) - فالمقرّبون و الأبرار محتاجون للإستغفار و الإنابة بالمقدار الذي يناسبهم، من أجل جبران النقص و التقصير النسبي الذي تعرّضوا له.

أما نحن فقد اثقلت كواهلنا بالخطايا و الذنوب، و ليس بخطأ أو خطئين و علينا الإستغفار من ذلك.

لقد جاء في إحدى الروايات: «ادفعوا أبواب البلياء بالإستغفار» (2)؛ و جاء في الآية المتقدمة قوله تعالى: يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعاً حَسَنًا... (3) و شروط تحقق ذلك إنّما يكون بالإستغفار و التوبة و طلب العفو من الله تعالى.

و جاء في رواية أخرى: «خير الدعاء الإستغفار» (4) و جاء في المناجاة الشعبانية:

«إلهي ما أظنك تردّني في حاجة قد أفنيت عمري في طلبها منك» (5)، فما هي هذه الحاجة التي أفنيت عمري في طلبها منك؟ هي طلب المغفرة و العفو الإلهي (6).

ص: 344

- 1- سورة هود: 1-3.
- 2- ميزان الحكمة: 2274/3 باب الاستغفار ح 3083.
- 3- سورة هود: 3.
- 4- مستدرک الوسائل: 321/5 ح 23 باب استحباب الاستغفار.
- 5- إقبال الأعمال: 297/3.
- 6- من كلمة ألقاها في: 26 / رمضان المبارك/ 1426 هـ الموافق: 2005/10/30 هـ - طهران.

1 - علينا أن نستغفر و نتوب بسبب ما نثيره من خلافات؛ لأنّ الخلافات تضرّنا.

إنّ الخلافات تحدث أحيانا من خلال إثارة الشعور القومي و المذهبي و المحلي و السياسي، و أحيانا تحدث من خلال إيصال الخلافات الفكرية الى مرحلة الصراع.

لا إشكال فيما لو وجدت خلافات فكرية، إلاّ أنه لا ينبغي أن يصل هذا الخلاف الى حالة الصراع، و هذا هو سبب اعتراضنا على بعض الأشخاص الذين يطلقون العنان لأقلامهم الشيطانية بالكتابة ضد معتقدات الناس، و ضد الحقائق الموجودة في المجتمع، و ضد التاريخ الحقيقي، و إلا فليس لدينا أي اعتراض على مسألة حرية التعبير، فإنني معتقد بمسألة حرية التعبير بكل ما لهذه الكلمة من أبعاد و معاني.

كل ما في الأمر هو ملاحظة ما يطرح في المحافل العامة، إذ أنّ هناك أمورا يجب طرحها فقط في الأوساط و المحافل التي تطرح فيها البحوث التخصصية.

نعم، لا بأس من أن يجلس مجموعة من الفقهاء و الحقوقيين و الفلاسفة و علماء الاجتماع و يتباحثون فيما بينهم بما يتعلق بالمسائل المهمة و الضرورية، فيقبل أحدهم و يرد الآخر و يستدل الثالث، ثم تنشر بحوثهم ليقراها الناس، إلاّ أنّ ذلك ينبغي أن يبحث في الأوساط التخصصية.

و هكذا بالنسبة لدلائل الثورة، و بالنسبة للقضايا الأساسية لنظام الجمهورية

الإسلامية، ينبغي أن تبحث في الأوساط التخصصية، وهذا هو السبب لما طرحناه بالنسبة الى الحركة الفكرية المتحررة.

لقد تحركت الجامعات و الحوزات العلمية حركة جيدة وأبدت تجاوبها، إلا أنّ ذلك لم يتحقق على أرض الواقع.

فعلى الأوساط العلمية أن تفتح أبوابها وتشجع بكتابة البحوث، لا أن يقوم شخص ما ببيان مسألة - من المفروض أنّها توضع على طاولة البحث و الاستدلال في الحوزات التخصصية - لعامة الناس بصورة مبتذلة، وإنّ مثل هذا الأمر لا يعد من مصاديق حرية الرأي.

لقد سعى الأعداء لسنوات طويلة من أجل إثارة الخلافات الفكرية و السياسية و تعميق الخلافات بين مسؤولي الدولة.

و من الواضح أن الصراع بين المسؤولين في البلد، و التنازع و الخلاف بينهم، و عدم قبول أحدهم الآخر و تربّص أحدهم للإيقاع بالآخر، يؤدي الى وقف عجلة التقدّم في العمل.

لا ضير من الإنتقاد، إلاّ أنّه يجب أن يكون إنتقاداً منصفاً، أي مبني على أساس معرفة قدرة و قابلية الأشخاص، و مقدار عزمهم و أهدافهم.

إنّ الإنتقاد من أجل الإصلاح و المطالبة بقضاء حوائج الناس، أمر حسن.

إلا أن تتبع العيوب بلا مورد، و تعظيم الأمور، و توجيه التهم، و الإفتراء، و بث الإشاعات التي ليس لها أساس من الصحة، أمر قبيح.

فلا بد من التمييز بين الأمرين. علينا الإستغفار، و عدم الإستمرار بالغفلة عن كلّ الأمور التي قصّرنا فيها على هذا الصعيد سابقاً.

2 - حبّ الأنا، بكل ما تمتلك هذه العبارة من معنى.

فإذا ما وجد حبّ الأنا في نفوسنا فعلينا الإستغفار من ذلك؛ لأنّ حبّ الأنا يتعارض مع حبّ الله تعالى، فإنّ قلب الأناي بقدر ما يحمل من حبّ الذات وعبادتها، يكون بعيدا عن حبّ الله وعبادته.

إنّ حبّ الذات بمعناه الواسع، يتضمن الدفاع الغير منطقي و التعصبي و المشوب بالحميّة من قبل الإنسان عن الحزب أو التيار الذي ينتمي إليه، أو عن أقربائه و من ينضوي تحت لوائه أو أصدقائه الخلّص، و بما أن كثيرا من الخلافات السياسية التي يبتلى بها المجتمع من جرّاء ذلك، فإنّ هذا الأمر يعتبر خطأ كبير.

فلا تفسحوا المجال لمثل هذه الخلافات، و لا تجعلوا حبّ الأنا يترسّخ في أذهانكم و تترتب على ذلك الآثار السيئة(1).

ص: 347

1- من كلمة ألقاها في: 1384/8/8 هـ. ق الموافق: 26 / رمضان المبارك/ 1426 هـ الموافق: 2005 / 10/30 هـ - طهران.

أبرز غرائز الإنحراف حب الإنسان نفسه، وهذه الغريزة - بطبيعة الحال - ملازمة لوجود الإنسان، فحب الذات هو الذي يدفع الإنسان نحو الحركة التكاملية لتسلك قمم العروج الإنساني، ولكن إن لم يتم ترشيد حب النفس سيخلف إنحرافات كبرى؛ فاكتمال الثروة وحب السلطة والشهوات وطمع الإنسان وطمع غيانه والإنحرافات الكبرى التي يشهدها التأريخ البشري وما وقع ويقع من ظلم فظيع إنما تعود بأجمعها إلى غريزة حب النفس التي أطلق البعض عنانها وبسببها ارتكبوا الأخطاء والممارسات الخيانية والكوارث المريعة.

إن حب النفس من الغرائز التي إن لم تخضع للرقابة والمحاسبة فإن حالات الطغيان التي تفرزها ستأتي على القيم الإنسانية والسموية الراقية وتسحقها وتطيح بكافة الحقوق ليسحقها الإنسان الطائش المنحرف بظلمه وطمعانه وتمرده؛ وهنالك عوامل متعددة من شأنها أن تكفل هذه الهداية في أعماقنا بيد أن أهمها جميعاً تقوانا، فعلى أن نراقب أنفسنا ونحوظها ولا نغفل عن عيوبنا، فحب النفس يجعل الإنسان يرى في نفسه الكثير من العيوب التي يراها في غيره ويغضب لها، لكنه يغض الطرف عنها، إذ أن الكثير من الأخطاء التي نستهجنها من الآخرين ونجاهر بالتحامل عليها أحياناً؛ إذا ما حصلت فينا فإننا ننظر إليها بعين التغافل وهذا نتيجة فقدان الرقابة، أي إننا نمر مروراً سطحياً على خطايانا والعيوب والإشكالات الكامنة فينا، وهذه المعايير إنما تطراً متى ما فقدت العين الثاقبة للرقاب الذي يتحرى العيوب ويدفع الإنسان

لمراقبة نفسه مراقبة دائمية، بناء على هذا فإن التقوى على هذا القدر من الأهمية(1).

الإستغفار من الغفلة

3 - ينبغي الإستغفار عن غفلة الإنسان عن واجباته وقد تقدم في مطلع البحث تفصيل كون الغفلة مانعا عن ذلك.

الإستغفار من المذلة

4 - التغافل عن مبادئ الإقتدار الوطني والعوامل الباعثة على تحقيق قواعده الأساسية.

إنّ الشعب الذي يريد الوصول الى السعادة المعنوية والحرية والرفق العلمي، لا بد أن يكون قويا ومقتدرا غير ذليل - مع أنّ هذه الأمور هي من بواعث الإقتدار أيضا -

إنّ الشعب الضعيف المهان الخاضع للدول المستكبرة، الذي يطمح الى أيدي وأفواه الآخرين والذي لا يمتلك إقتدارا وطنيا، لا يستطيع أن يصل الى أهدافه العليا.

كيف يتحقق الإقتدار الوطني؟ يتحقق بالعلم والأخلاق.

لقد تحدثنا كثيرا في مجال العلم(2)، وهنا نتحدث عن الأخلاق.

علينا أن نتحلى بدرجة عالية من الأخلاق؛ لأنّ رسولنا صلّى الله عليه وآله هو معلم الأخلاق، وهو الذي رفع راية التهذيب وكمال الأخلاق، ودعا إليها من خلال رسالته، فعلينا أن لا نتخلّف عن ركب قافلة الأخلاق.

إنّ أحد القواعد الأساسية للإقتدار الوطني هو أن يعتقد المسؤولون وأفراد الشعب

ص: 349

1- من كلمة ألقاها في: 5 رمضان 1423 هـ - طهران.

2- كما فصلناه في كتاب حاكمية الإسلام.

أنهم قادرون على طي الطريق و تحقيق الأهداف، وأن لا يشعروا أنفسهم عاجزون و مكبلوا الأيدي و الأرجل في طريق مسدودة، و علينا أن نبين ذلك للشعب، فإنّ هذه هي إحدى وظائفنا، و هو جزء من عمل الحكومة(1).

ص: 350

1- من كلمة ألقاها في: 1384/8/8 هـ. ق الموافق: 26 /رمضان المبارك/ 1426 هـ الموافق: 2005 / 10/30 هـ - طهران.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أربع من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم: من كانت عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله.

و من إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

و من إذا أصاب خيرا قال: الحمد لله رب العالمين.

و من إذا أصاب خطيئة قال: أستغفر الله و أتوب إليه»(1).

هناك أربعة أمور إذا وجدت في شخص كان في نور الله الأعظم.

و المراد من نور الله هو نور الهداية الإلهية الذي يشرق و يشع على قلب المؤمن و يصلح له أموره الدنيوية و الأخروية معا. و هذه الأربع هي:

1 - من يكون عصمة أمره أي الملجأ و الحصن الذي يتحصن به في أموره كلها و الأساس المتين الذي يبني عليه حياته كلها هو شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا صلى الله عليه و آله رسول الله.

2 - الذي إذا أصابته مصيبة سواء كانت على نفسه أم على من يرتبط به كالأولاد و الأموال و نحوهما، يقول: إنا لله و إنا إليه راجعون. طبعا ليس المراد الذكر اللساني

ص: 351

فقط بل المقصود الذكر القلبي والروحي فيتوجه بقلبه وروحه الى الله تعالى ثم يجري على لسانه هذا الذكر.

3 - الشخص الذي حصل على النعم الإلهية سواء كانت نعمة العلم أم الثروة أو المال أم المقام أو المنصب أو السلطة أم نعمة الصحة والعافية والسلامة، يقول: الحمد لله رب العالمين. أي يشكر الله على نعمه ويعتقد أنها من الله تعالى وليس هو الذي اكتسبها وحصل عليها بعلمه وعمله كما صنع قارون حيث قال: أُوتِيْتُهُ عَلَيَّ عَلِيمٌ عِنْدِي (1).

4 - الشخص الذي إذا ابتلي بالمعاصي وارتكب الذنوب يقول: أستغفر الله وأتوب إليه.

أي أنه يلجأ الى الله ويتعوذ به من العودة الى الذنب مجددا ويطلب منه المغفرة.

وذلك لأن بعض الناس يغفلون عن ذلك، فإن الغفلة عن الاستغفار تجعل الذنوب متراكمة وكثيرة حتى تصير حجبا على القلب فلا يهتدي أبدا. ولذلك يجب الاستغفار من المعصية بعد ارتكابها فورا، لأن الاستغفار والتوبة يغسلان القلب من صدا المعصية. (2)

لو أراد أحد حصر أبعاد البعثة النبوية لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله بما لدينا من عقول ناقصة، لألحق ظلما فاحشا بهذه البعثة وبحقيقتها، وبحقيقة هذه الرسالة؛ فلا يجوز تقييد مضامين بعثة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بما نحمله من فهم ناقص ورؤية قاصرة، ولكن إذا أردنا عرض تعريف إجمالي مقتضب للبعثة وآفاقها - وإن كانت غير متناهية - لقلنا إنَّ البعثة للإنسان وفي سبيل الإنسان؛ والإنسان أيضا بطبيعته كائن غير متناه، وذو أبعاد شاسعة ولا ينحصر في إطار الجسم والمادة ولا في نطاق الأيام المحدودة التي يعيشها

ص: 352

1- سورة القصص: 78.

2- كلمات مضيئة: 68.

في الحياة الدنيا، وليس محدودا في الجوانب المعنوية فحسب، ولا- بمقطع زمني معين من التاريخ، والإنسان - في كل الظروف و الأحوال وعلى الدوام - إنسان وأبعاده الوجودية لا متناهية ومجهولة، ولا زال الإنسان حتى الآن كائننا مجهولا، وقد جاءت البعثة من أجل هذا الإنسان ومن أجل مصيره و هدايته.

من الطبيعي أن كل فرد وكل جماعة تغترف في كل عصر وفي كل زمان من معين البعثة النبوية على قدر طاقتها واستعدادها وكما استطاع مسلمو صدر الإسلام اقتباس شيء من نور البعثة ونشره في أرجاء العالم يومذاك، فكان سببا لهداية الكثير من الناس نحو الصراط القويم واستمالتهم نحو حقيقة العبودية، تمكنوا بعدها من إقامة حضارة وإيجاد علوم في برهة من التاريخ لا زال بريقها يخلب الأبصار حتى من وراء أسوار التاريخ العالية وبعد كل هذه الفواصل الزمنية الطويلة، فتتعم العالم على أثر ذلك بنعيم ذلك التقدم العلمي والصناعي والفكري والمدني. وفي كل عصر من العصور أخذ المسلمون نصيبهم المناسب من الإسلام، سعدوا. وكل من اخذ من هذا الدين على قدر استعدادة فقد كتب لنفسه السعادة(1).

سير العالم نحو الهداية

إن الإسلام يرى أن العالم يسير نحو الصلاح لا محالة، فإن كافة الأنبياء عليهم السلام والأولياء قد جاؤوا ليقودوا الناس إلى هذا الطريق الرحب الذي لو وضعوا أقدامهم عليه لتفتحت طاقاتهم تلقائيا، وإن الأنبياء عليهم السلام والأولياء قد أرشدوا الناس إلى هذا الطريق الأصلي بعد إنقاذهم من سبل الضلال ودروبه وديانه وصحاريه وغاباته، ولكن البشرية لم تخط الخطوة الأولى بعد على هذا الطريق المستقيم ولم تصل إلى نقطة البداية، فهذا ما سوف يحدث في زمن ولي العصر (أرواحنا فداء)، وإن كانت

ص: 353

كافة هذه المساعي والجهود قد بنيت على أساس أن نهاية هذا العالم هي نهاية غلبة الصلاح، و لربما كان ذلك عاجلا أو آجلا، ولكنه حادث لا محالة. وكما سيقهر الصلاح الفساد، فإن قوى الخير ستقهر قوى الشر. وهذه رؤية إسلامية لا ريب فيها(1).

قال الإمام الصادق عليه السلام: «يا ابن جندب، لا تقل في المذنبين من أهل دعوتكم إلا خيرا، واستكينوا إلى الله في توفيقهم، وسلوا التوبة لهم، فكل من قصدنا والانا ولم يوال عدونا وقال ما يعلم وسكت عما لا يعلم أو أشكل عليه فهو في الجنة»(2).

يمكن تقسيم المجتمعات البشريّة من نظرة أخرى إلى نوعين من المسافرين:

الأول: المسافرون الذين ركبوا السفينة و تحركوا نحو المقصد المعين، وهؤلاء قد يتأخرون أحيانا أثناء مسيرهم أو يختلفون فيما بينهم بعض الاختلافات الجزئية أو يقومون بأعمال خارجة عن الأدب والأخلاق، ولكن حيث إنهم تحركوا نحو المقصد فسوف يصلون إليه على كل حال.

الثاني: المسافرون الذين ركبوا السفينة اشتباها و تحركوا إلى غير مقصدهم، فهؤلاء وإن كانوا سريعين في مسيرهم أو كانوا على أدب و أخلاق ولكنهم لن يصلوا إلى مقصدهم أبدا لأنهم أخطأوا في ذلك من أول الأمر.

وفي المجتمع الإسلامي يعتبر الأئمة الطاهرون عليهم السلام رافعي لواء الإسلام الحقيقي والمدافعين عن سنّة النبي صلى الله عليه وآله. وقد اجتمع حولهم أناس كثيرون وانتهجوا مسلكهم واقتدوا بهم، ولكن في بعض الأحيان إذا صدر الخطأ والمعصية منهم والذنب مطلقا قبيح إلا أن الإمام عليه السلام مع ذلك يقول بحقهم:

إنه يجب علينا أن نتعامل معهم بالحسنة ولا نقول لهم إلا الخير و ندعوا لهم الله

ص: 354

1- من كلمة ألقاها في: 5 رمضان 1421 هـ - طهران.

2- تحف العقول، صفحة: 302.

تعالى ليوفقهم للتوبة، وذلك لأنّ حركتهم في المسير الصحيح(1).

الإسلام مشعل هداية

يجب فهم الإسلام فهما إنسانيا صحيحا مثلما ورد في مصادره الأصيلة و الانتفاع منه بالهداية القرآنية.

القرآن نفسه: تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ (2)، فهو نهج و بيان و مسار، على العكس مما يلقي الى أصحاب الفكر و الرأي في المجتمعات الإسلامية - وهذا التلقين جاء نتيجة للتسلط الفكري و الثقافي الغربي الذي يخشى سيادة الفكر الإسلامي - من وجوب فهم الإسلام في ضوء الأدوات و المعارف الغربية.

من الطبيعي أنّ المعارف كلها توعّي الإنسان و تعينه على استحصال فهم أفضل، بيد أنّ الإسلام يجب استقاؤه من الإسلام ذاته؛ الحقائق الإسلامية ينبغي استخلاصها من النصوص الإسلامية و يجب فهمها و تطبيقها في ضوء المصطلحات الإسلامية.

الإسلام ذاته مشعل هداية ينير الأفكار و العقول و يهدي الناس، و القرآن كتاب هداية و كتاب نور، و من يرجع الى القرآن و يتدبّر معانيه و يوجد الأرضية و الاستعداد اللازمين في ذاته لاكتساب نصيب أكبر من معارف القرآن، بإمكانه الاستفادة من القرآن. و نحن يجب أن لا نكثر بمدى الوقع الذي يتركه فهمنا للإسلام على من لا صلة لهم به و لا يستسيغونه و ينظرون إليه كمصدر إزعاج لهم - سواء في المجال الإقتصادي أم في المجال السياسي - و هل يتقبلون فهمنا هذا أو يستنكرونه.

لقد جاء الإسلام هاديا للبشرية و اتخذ له حيزا في عقول الناس في وقت تعالت ضده صيحات التكذيب و الإنكار. و حتى رسول الإسلام صلى الله عليه و آله كالوا له أنواع التهم،

ص: 355

1- كلمات مضيئة: 72.

2- سورة يوسف: 111.

و القرآن طافح بالتعابير التي كان أعداء الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يستخدمونها ضده⁽¹⁾، وهي تعابير لو أنها استخدمت ضد إنسان ضعيف لدمّرتة و لحطّمت إرادته و لأزالت جرأته على الافصاح بما يريد، إلاّ أنّ الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يكثر لكل ذلك، و بيّن كلمة الله التي كانت قد جرت على لسانه، و ألهم بها في قلبه، و فعلت نورانية الكلام الإلهي فعلها.

و هكذا الحال في عصرنا الراهن؛ فإمامنا الكبير الخميني - الذي استفاد من سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - حينما نزل إلى الساحة، و أدرك العالم كله حينها أنّ هذا الإنسان عازم على العمل وفقا للإسلام و إقامة حكومة إسلامية، انقلبت ضده حتى الأجهزة الإعلامية التي كانت في ما سبق تشيد به، و أخذت تكيل تعابير الإهانة و الاستخفاف له و لرسالته و للمجتمع الإسلامي و لأصل النظام الإسلامي، غير أنه لم يأبه بها، و سار شعبنا و شبابنا و علماؤنا و مفكرونا و مسؤولونا على هذا الطريق بكل جرأة و شجاعة، و كان النجاح حليفهم.

إنّ النظام الإسلامي و الدولة الإسلامية اليوم من أكثر دول العالم عزّة، و المنطقة التي نعيش فيها من أبرز المناطق السياسية فيه. فشعبنا عزيز و شامخ و دولتنا دولة عزّة و مجد، و الأمور تجري فيها على نحو صحيح لا تشوبه شائبة و لا تعتريه أية معضلة كبرى، و هذه الأمور على جانب كبير من الأهمية، و قد تحققت بفضل وجود الإسلام و هدايته، و لم تؤثر أساليب الضغط و التهم و الاستخفاف، و الرمي بالتعصب و التطرف، و واصل شعبنا سيره قدما، و هكذا هو الحال اليوم أيضا.

لا أعتقد أنّ باستطاعة أي شخص اعتبار فهم الإسلام حكرا عليه دون غيره، بل إنّ فهم الإسلام و استيعاب القرآن يستلزم كأي استنباط و فهم آخر لجملة مقدمات،

ص: 356

1- نحو قوله تعالى في سورة البقرة (104) حكاية عنهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا زَاعِنًا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا. و انظر تفسير القمي: 58/1.

و يحتاج إلى عمل جاد و استعداد، و هذا ما لا ينسجم أبدا مع التحجّر و التعصّب و قصر النظر، كما إنه لا ينسجم مع اللامبالاة و التحلل، إلا أنّ القضية المهمة تتلخص في أنّ ما يفهم من الإسلام، و ما يرتضيه الإسلام و ما يعرض لنا بصفته هداية إسلامية يجب أن يؤخذ به بكل إقتدار و شجاعة و إيمان و أمل و رؤية مشرقة(1).

هداية الأمة باتجاه الفضائل الأخلاقية

أمّا ميزة النظام الإسلامي فهي أن الأحكام الإلهية المقدسة و قوانين القرآن و نور الهداية الإلهية الذي يشع على قلوب أبناء الشعب و أعمالهم و عقولهم و يهديهم هي التي تمثل هذا الإطار؛ فهداية الأمة واحدة من تلك القضايا ذات الأهمية القصوى التي طواها الإهمال في الأنظمة السياسية الشائعة في العالم و لا سيما الأنظمة الغربية.

و هداية الأمة تعني العمل على أن تتخذ إرادة الأمة سيرها باتجاه الفضائل الأخلاقية و إقصاء الأهواء المفسدة - التي تطرح أحيانا تحت يافطة آراء الشعب و إرادته - عن آفاق الإنتخاب الشعبي، و ذلك إثر التعليم و التربية الصحيحين و إرشاد الأمة نحو مناهل الفضيلة.

إنكم تشاهدون اليوم في الكثير من الديمقراطيات الغربية إتخاذ أقيح الإنحرافات - الإنحرافات الجنسية و ما شابهها - طابعا قانونيا و رسميا على أنها رغبة شعبية و تتم الإعانة عليها، و هذا ما يدل على غياب العنصر المعنوي و الهداية الإيمانية.

و في النظام الإسلامي - أي حاكمية الشعب الدينية - فإن الشعب هو الذي ينتخب و هو صاحب القرار و هو الذي يمسك بمقدرات البلد و إرادته عن طريق منتخبيه، بيد أن رغبته و إنتخابه و إرادته إنّما تستظل بظل الهداية الإلهية، و لا يحيد بها عن جادة الصلاح و الفلاح و لا يخرج عن الصراط المستقيم أبدا، و هذا هو البعد الجوهري في

ص: 357

حاكمية الشعب الدينية؛ وهذه هي هدية الثورة الإسلامية للشعوب، إنها تجربة حديثة وفتية لكنها جديرة بالتأمل واقتفاء أثرها وتقليدها من قبل الذين تهفو قلوبهم نحو الفضائل ونحو مجتمع إنساني طاهر صالح؛ ويعانون الأمرين من الجرائم والردائل الأخلاقية وتفشي القبائح الخلقية بين البشر(1).

ص: 358

1- من كلمة ألقاها في: 12 جمادى الأولى 1422 هـ - طهران.

طريق القرآن هو طريق التقوى

علينا أن نقلل من ابتعادنا عن القرآن لكي نعزّز وتقوى ونغنى ونغدو علماء. وأنتم أيّها الشباب الأعزاء لئن عكفتكم على الدراسة وجعلتم من الطهارة والعفة والتقوى شعارا لكم؛ ولئن نبضت قلوبكم من أجل القيم الإسلامية، ولئن تطلعتم لأن تبلغ الأمة الإسلامية أوج عزتها و تأهّبتم لخوض الجهاد من أجل هذه المهنة فاعلموا أنكم سائرون في طريق القرآن؛ فطريق القرآن هو طريق العلم والجهاد والتقوى والرأفة بالناس والرحمة بهم(1).

كل ما لدينا بفضل الإسلام و القرآن

لقد بدأنا مسيرتنا بفضل الإسلام، وتقدّمنا بفضل الإسلام، وصنعنا لأنفسنا افق مستقبل مشرق بفضل الإسلام، وزرعنا اليأس في قلوب العدى بفضل الإسلام، وكشفنا عن الكثير من أحيائهم بفضل الإسلام، وقطعنا شوطا بعيدا على طريق إعمار هذا البلد ماديا ومعنويا بفضل الإسلام، ولا زلنا على هذا النهج سائرين، وقدمنا في مسيرتنا هذه إنجازات جمّة(2).

إن القرآن هو القادر على هداية الإنسان والبلوغ به من مستوى الإنسان الذي لَفِي خُسْرٍ(3) إلى الإنسان الذين وصف بقوله تعالى: إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ(4)

ص: 359

1- من كلمة ألقاها في: 1 شعبان 1423 هـ - طهران.

2- من كلمة ألقاها في: 27 رجب 1419 هـ - طهران.

3- سورة العصر: 2.

4- سورة الإنشقاق عصر: 6.

فيسير نحو الله ويصير إليه ويلقاه...، ومن هذا القرآن انبثق الإيمان الخالص الذي تحلى به المؤمنون عبر التاريخ الإسلامي، وهذا ما ينبغي عرفان قدره(1).

فكل ما لدينا من الإسلام وكل ما لدينا من القرآن، وكل ما لدينا جاء بفضل إرشادات ذلك القائد الكبير، ونحن على ثقة بأن مواصلة السير على هذا الطريق ستقود هذا الشعب إلى السعادة وستروي ظمأه المادي والمعنوي، وستحلّ جميع مشاكلنا بفضل التمسك بالإسلام والسير على هذا الطريق باستقلالية؛ وجميع المسؤولين يواصلون العمل الدؤوب وبذل الجهود، وهم على إعتقاد تام بهذه الحقيقة لأن الإسلام مشعل هداية.

كلما اقترب مسلمو العالم نحو الإسلام أكثر، تذوّقوا طعم هذا الدين أكثر فأكثر، وكلّما ازدادوا تلاحماً جنوا فوائد من الإسلام أكثر. والمسلمون مطالبون اليوم بتجاوز اختلافاتهم الفرعية والطائفية والتاريخية والمذهبية، ومدّ يد الإتحاد بعضهم إلى بعض. وستجتاز هذه الأمة الكبرى في جميع البلدان الإسلامية كل العقبات الكبرى التي تعترض طريقها، وسيكون مستقبل الأمة الإسلامية - يا ذن الله - أفضل من ماضيها بكثير.

نأمل - يا ذن الله - أن تستقي كل الشعوب الإسلامية من فيض الإسلام والقرآن، وينالوا عناية بقية الله (أرواحنا فداءه)، وينزل عليهم الباري تعالى لطفه ورحمته وبركته.(2)

ص: 360

1- من كلمة ألقاها في: 11 ذي القعدة 1423 هـ - طهران.

2- من كلمة ألقاها في: 27 رجب 1419 هـ - طهران.

إن تلاوة القرآن التي تركّز عليها روايات أهل البيت عليهم السّلام إلى هذا الحد، هي بمثابة الخطوة الأولى. القرآن الكريم يصف ذاته على أنحاء شتى؛ منها: أنه يقول: **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ (1)**؛ أي أنّ القرآن يهدي الإنسان فردا و جماعة إلى أفضل السبل وأفضل الأساليب وإلى أفضل نظام وأفضل أخلاق وأفضل عمل.

بنو الإنسان كلهم اليوم بحاجة إلى القرآن، و لكننا - نحن المسلمين - إذا لم نعمل بالقرآن يلحقنا من الضرر أكثر مما يلحق بغيرنا؛ لأننا نملك هذه الوصفة الطبيّة وهذه التعليمات، كما أننا نملك التجربة التاريخية الخاصّة بهما.

لقد بلغت الإنسانية ذروة التألّق في الصدر الأول للإسلام بفضل إلتزامها بالقرآن علما وعملا وأخلاقا وفي شتى ميادين التقدم المادي والمعنوي، القرآن نابض بالحياة على الدوام، وهو يهتم بمتطلبات الإنسان، و بإمكانه أن يكون أفضل وصفة لسعادة الإنسانية.

لقد أصبحت المجتمعات البشرية اليوم في أقصى أرجاء العالم، و بسبب ابتعادها عن الشؤون المعنوية و عن حقيقة الإنسان و عن الله و عن الأخلاق، غير قادرة على إستشعار السعادة على الرغم مما أحرزته من تقدم مادي هائل. و لكن لماذا أصبح الإنسان في مثل هذا الوضع؟ أ ليس الإنسان اليوم أكثر ثراء و علما من أي وقت مضى؟ ألم يتمتع اليوم بالمستلزمات التي تذلل له مصاعب الحياة؟ إذن فلماذا الحياة على هذه الدرجة من المرارة؟ و لماذا كل هذه الصراعات في العالم؟ و لماذا كل هذه الحروب؟ و لماذا كل هذا الجور؟ و لماذا لا يشعر شبان أغنى بلدان العالم بالسعادة؟ و هل تتطلب سعادة الإنسان شيئا غير متوفّر بين يديه؟

ص: 361

يمكن الإجابة عن كل هذه التساؤلات بكلمة واحدة، وهي أنّ الإنسان تنقصه رسالة الأنبياء عليهم السّلام، ولا تتوفر لديه وصفة الأنبياء التي تجلب له الراحة والأمان، أو أنها متوفرة لديه ولكنه لا يعمل بها، وهذا هو ممكن تعاسته، والقرآن يقدّم له أكمل وصفة وأكثرها قدرة على العلاج.

لقد نجحنا - نحن أبناء الشعب الإيراني - بتطبيق قسم من هذا الكتاب المقدّس، إذ ليس بإمكان أحد أن يزعم أننا طبّقنا الإسلام بحذافيره، فكانت نتيجة تمسّكنا بجانب من جوانب الإسلام أننا تخلصنا من ذل التبعية للإستكبار.

تلاحظون اليوم أنّ الرأي الأول والأخير في قضايا العالم المهمة بيد أمريكا ومن هم على شاكلتها، سواء في الشرق الأوسط أم في أفغانستان أم في أوروبا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا، وسواء في مجال الإقتصاد أم في مجال النفط أم ما شابه ذلك؛ وكثير من الدول والشعوب مضطّرة للإنقياد لهذه الأوامر الصادرة عن منطلق القوة.

أما نحن أتباع القرآن فلا نعترف برأي المستكبرين المتطفلين ولا نأخذ به، لا في ما يخص قضايانا الداخلية، ولا في ما يخص حكومتنا أو إقتصادنا أو سياستنا الخارجية أو ما يتعلق بمواقفنا أزاء قضايا الشرق الأوسط، ولا في ما يتعلق باختيار الصديق من العدو.

الحياة والعزة والنشاط في العمل بالقرآن:

لقد جاء كل هذا العز الذي أحرزناه بفضل هذه الخطوة التي خطوناها مع القرآن، إذ بعثت فينا الحياة والعزة والنشاط، وهذا كله جاء بفضل القرآن وبفضل الإسلام واتباع تعاليمهما.

إن كل خطوة تخطونها في سبيل الله، يعينكم تعالى عليها ويهديكم، ويفتح لكم مغالِق الأمور، إذ أنه قال عزّ من قائل: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (1)، وقال أيضا: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (2).

إن كل خطوة تخطونها في سبيل الله، يعينكم تعالى عليها ويهديكم، ويفتح لكم مغالق الأمور، إذ أنه قال عزّ من قائل: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (1)، وقال أيضا: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (2).

وورد في دعاء سيد الساجدين عليه السلام: «وإن الراحل إليك قريب المسافة، وإني لا تحتجب عن خلقك» (3).

الخطوات اللازمة لاتباعها للعمل الكامل بالقرآن

للعمل الكامل بالقرآن ينبغي معرفة معاني نصوص القرآن. في العهد الطاغوتي المباد لم يكن أبناء شعبنا على معرفة بالقرآن، وقليل من الناس كانت لديهم قدرة على قراءة القرآن - وبشكل لا يخلو من الخطأ - ولم يكن لدى الشباب و من نشأوا في مدارس العهد البهلوي أية معرفة بالقرآن؛ وإذا كان لأحدهم أب مؤمن أو أم مؤمنة كانا يعلمانه القرآن بشكل أو آخر. ولم تكن المدارس آنذاك تتكفل بمسؤولية التربية القرآنية، وكان القرآن غريبا في أجواء المجتمع، وكان من النادر جدا أن تقام للقرآن دورات بمدينة طهران الكبيرة هذه و يشارك فيها عدة أشخاص و يتعلمون التجويد أو القراءة على يد استاذ، وهكذا الحال بالنسبة لسائر المدن الاخرى.

حينما يدخل القرآن أجواء مجتمع ما، تتذوق القلوب حلاوته، و ظاهرة القرآن سائدة اليوم في بلدنا، و الخطوة الأولى على هذا الطريق هي تعلم معاني القرآن، لذا يجب أن يزداد هذا الأمر يوما بعد يوم. وإذا شئنا أن يتعلم جميع الناس القرآن، فلا بدّ وأن يكون البعض في القمة - شأنهم في ذلك شأن أي قطاع آخر - فإذا شئنا مثلا تعميم ممارسة الرياضة، فلا بدّ من وضع عدة أبطال نصب أعين الناس.

و إذا أردنا أن يتبوأ القرآن مكائته اللاتمة به في البيت، بين الصغار و بين الكبار

ص: 363

1- سورة الطلاق: 2-3.

2- سورة الطلاق: 3.

3- ميزان الحكمة 1907/3 ح 2637.

ولدى الرجال والنساء، فيجب علينا تكريم الأبطال القرآنيين، وهذا هو السبب الذي يدعونا إلى احترامهم وتقديرهم؛ هؤلاء هم حملة القرآن وهم أعزّة لدينا، وألستهم عزيزة وشفاهم وقلوبهم عزيزة لدينا لأنها تأنس بالقرآن وتشجع على قراءته، وأرواحنا فداء للقرآن.

إن القضية لا تنتهي عند هذا الحد، بل يلزم أيضا حفظ القرآن واستيعاب معانيه ومفاهيمه، و ترجمته على نحو دقيق لمن لا يجيدون اللغة العربية. وإذا فهمت كلمات القرآن يجب حينذاك التدبّر في معانيها؛ وحتى الذي يجيد اللغة العربية إذا لم يتدبّر لا ينال إلا نصيبا قليلا من القرآن؛ والتدبّر معناه التفكير في مفاهيم القرآن لأنه كلام ذو مغزى عميق وعظيم، ويجب التدبّر فيه.

القرآن صادر عن الباري تعالى بألفاظه ومفاهيمه، وهذا ما يوجب التأمل الدقيق فيه واستيعاب معانيه، والغور في أعماقه؛ ولا يتأتى هذا إلا عبر الأنس به.

ربّوا أولادكم على القرآن أكثر مما هم عليه حاليا. و اعرّفوا أيها الشباب الأعرّاء قدر معرفتكم بالقرآن وأنس قلوبكم الطاهرة النورانية به. و الذين وقّفوا لحفظ القرآن عليهم أن يقدرّوا هذه النعمة حق قدرها، فهي نعمة عزيزة و ثمينة، لأن معرفة قدر هذه النعمة تقود إلى مواصلة هذا العمل. و لن تنتهي عند ذلك الغاية من السير نحو مصدر نور القرآن، و سيتسنى للأمة الإسلامية أن تتبوّأ - بفضل القرآن - مكانتها اللانقطة بها.

اللهم نقسم عليك بمحمد وآل محمد أن تعجل حلول ذلك اليوم على الأمة الإسلامية جمعاء(1).

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إنما أتخوّف على أمتي من بعدي ثلاث خصال: أن يتأولوا القرآن على غير تأويله، أو يتبعوا زلّة العالم، أو يظهر فيهم المال حتى يطغوا و يبظروا.

ص: 364

1- من كلمة ألقاها في: 2 شعبان 1419 هـ - طهران.

وسأنبئكم المخرج من ذلك:

أما القرآن فاعملوا بمحكمه و آمنوا بمتشابهه.

و أما العالم فانظروا فينته و لا تتبعوا زلته.

و أما المال فإن المخرج منه شكر النعمة و أداء حقه».(1)

هناك ثلاثة أمور يتخوفها النبي صلى الله عليه و آله على أمته بعد موته، و هي:

1 - تأويل القرآن في غير الآيات المتشابهات ممنوع مطلقا، و أما الآيات المتشابهات فهذه علمها عند الله و ما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم (2).

و لكن آيات القرآن لها ظاهر و باطن، و إرجاعها الى الباطن يعني تأويلها و لكن يجب أن يكون ذلك بدقة و تدبر. و التأويل على نحوين: أحدهما: تأويل بحق.

و الآخر تأويل بالباطل، و هو أن يتخذ القرآن وسيلة لإثبات و تثبيت الأفكار الباطلة من قبيل ما صنعه الخوارج حيث فسروا و أولوا قوله تعالى إن الحكم إلا لله (3) بتفسير باطل، و هذا يؤدي الى أمور خطيرة جدا.

2 - تتبع زلة العالم، أي البحث و التفتيش عن أخطائه أو إتباع العلماء في الموارد التي زلوا فيها و السير على نهجها.

و لكن الظاهر أن المعنى الثاني هو المقصود هنا.

3 - جمع المال و إدخاره بنحو يؤدي الى طغيان الإنسان و غروره و بطره.

نعم لا إشكال في تأمين الثروات العامة و صرفها و إنفاقها في تطور و تقدم العلوم و الصناعات أو التسليح العسكري مقابل الأعداء. فمقصود الرواية من جمع المال هو جمعه لأجل الشراء الشخصي و بناء القصور و تهيئة الوسائل و الكماليات و التجملات.

ص: 365

1- الخصال/باب الثلاثة/ح 216.

2- سورة آل عمران: 7.

3- سورة:.

وأما طريق النجاة و الخلاص من هذه المهالك الثلاث فهو:

أما بالنسبة للعالم فهو انتظار رجوعه عن زلاته و أخطائه و عدم اتباعه في هذه الأخطاء و الزلات.

وأما بالنسبة للمال فهو الشكر و أداء الحقوق المتعلقة بهذا المال سواء كانت حقوق الله أم حقوق الناس.

وأما بالنسبة للقرآن فهو أن يعمل بآياته المحكمة و إرجاع الآيات المتشابهة الى أهلها(1).

ص: 366

1- كلمات مضيئة: 67.

و من وصايا الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام: «يا هشام، إنَّ لله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة و حجّة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل و الأنبياء و الأئمة، و أما الباطنة فالعقول»(1).

الحجّة الإلهية هي ذلك الأمر الذي يحتجّ به الله تعالى على الناس يوم القيامة.

فالله عزّ و جلّ له على الناس حجّتان عظيمتان يحاسب الناس على أساسهما، و إذا ساروا في طريق الخطأ و الإنحراف يكونون مغلوبين و مقهورين للحجّة الإلهية:

إحداها: الحجّة الظاهرة يعني الأنبياء عليهم السلام الذين يحدّرون و يندرون الناس من طريق الضلالة و الإنحراف و يهدونهم و يسوقونهم إلى صراط الهداية العظيم.

و الأخرى: الحجّة الباطنة يعني العقل فإنّ الإنسان ملزم باتّباع و إطاعة العقل أيضا.

فبعض الناس لا يستخدمون قواهم العقلية و لا يسترشدون بهدى العقل في حياتهم بل يسقطون في وادي الضلال، نظير من أضلّ طريقه في الصحراء و لا يسأل أحدا عن الطريق الصحيح.

و بعض الناس - مع أنّ هداية العقل و إطاعته واضحة عندهم - لا يعملون على طبق ذلك.

نظير الشخص التائه في الصحراء فيرى العلامات المرشدة إلاّ أنّه لا يتحرّك نحوها.

فهؤلاء أيضا لا يهتدون و لا يستفيدون من نور سراج العقل، و الله تعالى سوف

ص: 367

يؤاخذ ويحاسب كلا الطائفتين المذكورتين.

طبعاً ليس المقصود أنّ العقل دائماً يهتدي إلى الصواب وأنّه لا يخطيء أبداً بل أحياناً يقع العقل في الإشتباه، ولكن في كل مورد لم يكن فيه حكم شرعي على خلاف ما أدركه العقل فحكم العقل صحيح وإن كان واقعا مشتبهاً(1).

وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام: «يا هشام، إن كل الناس يبصر النجوم ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف مجاريها و منازلها. وكذلك أنتم، تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدي بها منكم إلا من عمل بها»(2).

إحدى خواص النجوم الهداية، بمعنى أنّ الصحراء لا تدل إلا على الطريق المضلّ المتحيّر التائه بخلاف النجوم فإنها تهتدي وترشد إلى الطريق الصحيح.

ولكن هذا الدليل لا يهتدي به إلا من يعرف منازل و مجاري و أماكن طلوع و غروب النجوم.

و الإنسان كذلك فإنّ حصول الهداية له في مختلف مراحل حياته كمن يهتدي بالنجوم بمعنى أن كل الناس تتعلم الحكمة و المعرفة و لكن الذين يستفيدون و يهتدون من ذلك في حياتهم بحيث تكون الحكمة نورهم و سراجهم هم الذين يعملون بها.

و من وجهة نظر المعارف الإسلامية فإن العلم و الحكمة ليس دائماً هما مفتاح الحلول، بل الذي يكون مفتاحاً للحلول هو الاستفادة و العمل بالأرصدة و المدخرات العلمية.

فإنّ النورانيّة و النجاة من الزوايا المظلمة في الحياة يكون بالعمل و العلم، و كل من

ص: 368

1- كلمات مضيئة: 66.

2- تحف العقول، صفحة: 392.

يكون علمه أكثر فمن الطبيعي أن يكون عمله أكثر(1).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئا.

و من علم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزاره شيئا»(2).

كل شخص يفتح للمجتمع باب هداية فبمقدار الأشخاص الذين يهتدون به و ينتفعون بهدايته و يعملون بها يكتب لهذا الشخص الذي فتح هذا الباب من الثواب و الأجر، من دون أن ينتقص من ثواب أولئك العاملين.

و كذلك الحال بالنسبة للضلال فكل من يفتح بابا للضلال في المجتمع فبعدد الذين أساءوا الاستفادة و النفع و ارتكبوا المعاصي و الفسق، يكتب لهذا الشخص الذي أوجد هذا الباب من الضلال من الذنوب بعددهم، من دون أن ينتقص من ذنوبهم شيئا.

و هذه المسألة ليست محصورة بالأمر و المسائل الفقهية و الشرعية، بل تجري في هذه الأمور السياسية و الإجتماعية أيضا، فمثلا إذا استخدم شخص كلمة الحرية و طرحها في المجتمع و هي تحمل معنيين من دون أن يبين المعنى الصحيح منها و كانت النتيجة أن البعض قام بالفسق و الفجور استنادا إلى كلامه، فحينئذ فكل الذنوب التي تسجل عليهم سوف تكتب عليه أيضا.

إذن يجب التدقيق كثيرا في الخطابات و الكتابات، لأن الصراط الإلهي دقيق جدا و متزلزل و خطير(3).

ص: 369

1- كلمات مضيئة: 67.

2- تحف العقول، صفحة: 297.

3- كلمات مضيئة: 70.

و من حكم أبي عبد الله عليه السلام: «لا يتكلم أحد بكلمة هدى فيؤخذ بها إلا كان له مثل أجر من أخذ بها، ولا يتكلم بكلمة ضلالة فيؤخذ بها إلا كان عليه مثل وزر من أخذ بها»(1).

التبليغ وإرشاد الناس وتبيين الحق بنظر الإسلام عمل خطير وقيم، ويجب على من يتصدى للتبليغ والتبيين أن يتكلم بعد البحث والتحقيق والمطالعة والإحساس بالمسؤولية، ولا يؤثر فيه ميل ورغبة وسليقة المستمع في التراجع عن قول الحق أو اللجوء إلى قول الباطل.

وطبقا للمعارف الإسلامية إذا خرج من فم المتكلم كلمة حكمة أو هداية فبعدد الأشخاص الذين اهتدوا في حياتهم بكلامه و عملوا به سوف يكتب لهذا المبلغ والمتكلم من الحسنات والثواب.

وعلى العكس من ذلك فإن كل شخص تكلم بكلام باطل ومضلل فبعدد الذين استمعوا لكلامه و ضلوا عن الطريق المستقيم به سوف يكتب له من الوزر والعقاب(2).

وقال عليه السلام: «أنه قال: يقول الله عزّ وجلّ: من استنقذ حيرانا من حيرته سمّيته حميدا، وأسكنته جنتي»(3).

كل إنسان ينقذ شخصا متحيرا تائها - سواء كان متحيرا في الأمور الدينية أم في الأمور الدنيوية أم في المسائل الشخصية - من حيرته هذه و يهديه من الضلال - كان عند الله ممدوحا و محمودا و أسماء «حميدا»، وأسكنه في أعلى جنانه.

و كلما كانت الحيرة أشدّ و أخطر كان ثواب و أجر إنقاذه منها أكثر(4).

ص: 370

1- تحف العقول، صفحة: 375.

2- كلمات مضيئة: 70.

3- تحف العقول صفحة: 382.

4- كلمات مضيئة: 71.

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «صنّفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي، وإذا فسدوا فسدت أمتي».

قيل: يا رسول الله و من هما؟

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الفقهاء و الأمراء»(1).

إنّ صلاح الأمة الاسلاميّة مرتبط بصلاح طائفتين من الناس هما:

علماء الدّين و الأمراء.

فأمّا علماء الدّين فهم المرجع لرجوع النّاس إليهم في مختلف الأمور، و كلامهم نافذ لدى عامّة النّاس، و النّاس تأخذ معالم دينها من أقوالهم و أفعالهم، و هم في الحقيقة حجّة و علم و راية للإسلام.

فإذا ابتلوا بالفساد - و العياذ بالله - سواء كان فسادا عمليًا أم عقائديًا أم أخلاقيًا، و صاروا من أهل التّجمل و حبّ الدّنيا و المؤامرات، فسوف يلحق بالمجتمع الإسلاميّ ضرران و مفسدتان:

1 - أحدهما مرتبط بالنّاس المتوسّطين، حيث إنهم سيظنون أنّ الدّين هو هذا، لذلك سوف يسلكون طريق الفساد.

2 - و الآخر مرتبط بالنّاس الكبار، حيث إنهم سيقولون أنّ الدّين إذا كان هذا هو حاله، و إنّ هذه الأمور من تعاليم الدّين فنحن لا نريده إذن.

و على هذا فالفقهاء بمقدار ما يصلحون أخلاقهم - أي إيجاد الصّفات الحميدة و الكريمة في نفوسهم - و بمقدار ما يصلحون أعمالهم، أي العمل بالأحكام الدّينيّة، و بمقدار ما يصلحون تصرفاتهم، أي المعاملة الحسنة للنّاس، سوف يهيئون الارضيّة، للتأثير في صلاح الامّة.

و أحد الأسباب و العلل المؤثّرة في انتصار الثّورة الاسلاميّة، هو شأن و اعتبار

ص: 371

1- الخصال/باب الإثنين/ح 12.

و مكانة العلماء العظام الذين أورثوها للأجيال اللاحقة نسلا فنسلا، ونحن مكلفون بحفظ هذه الدخيرة.

كما أنه يجب علينا الالتفات الى مقدار الخسارة الكبيرة التي تلحق المجتمع من خلال استجابتنا لبعض الأمور الشخصية المحببة للنفس.

وأما الأمراء فحيث إن تدبير وإدارة شؤون الناس الاجتماعية والسياسية بيدهم، وبما أن اقتصاد الناس و مصيرهم بيد الأمراء أيضا، فلذلك فإن لهم دورا مهمًا جدًا و بناء في صلاح المجتمع وفساده(1).

ص: 372

1- كلمات مضنية: 71.

مقدمة 5

وصية القائد بالكتاب

الكتاب وإصلاح ثقافة المجتمع 7

باب مكارم الأخلاق

المكرمة الأولى

بناء الذات 9

أولياء الله قدوة في السلوك 10

أخلاق النبي وأهل بيته عليهم السلام

أخلاق النبي الشخصية 13

طلاقة وجه النبي صلى الله عليه وآله 14

الأخلاق الحكومية للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله 15

أهل البيت عليهم السلام منبع الأخلاق 18

ص: 373

مكارم الأخلاق

السير نحو مكارم الأخلاق 19

الحاجة للأخلاق: 19

أهمية الأخلاق العامة في المجتمع 22

تشويه الأخلاق 23

أثر مجالسة علماء الأخلاق 24

أثر أولياء الله في الأرض 26

جملة من مكارم الأخلاق 30

الخلق الحسن

تعريف حسن الخلق 39

أهمية الخلق الحسن 40

التخلق بالأخلاق الحسنة 42

محاسن الأخلاق 44

واجبنا تجاه نشر الأخلاق 45

سبب المعاناة الإنسانية 47

كيفية تجسيد المعنويات و الأخلاق 49

الإمام الخميني (ره) معلم الأخلاق 51

ضرورة معرفة الأخلاق الإسلامية 53

الأخلاق الحسنة توصل الى المقامات الإنسانية العالية 54

محاسن الأخلاق و تزكية النفس 55

ترسيخ الأخلاق في المجتمع 56

البعد الأخلاقي للثقافة العامة

الثقافة و الأخلاقيات العامة 57

الأطر القانونية للأخلاق 58

الإنضباط الإجتماعي 58

أثر الثقافة على شخصيَّة الأفراد 60

أثر الثقافة على أخلاق المجتمع 61

أثر فصل العدالة الإجتماعية عن الأخلاق 65

كيف نصلح الثقافة العامة 66

دور الثقافة و الأخلاق في تقرير مصير الشعوب 68

تحريف الثقافة تحريف للإنسانية 69

الرؤية المادية للعقيدة و الأخلاق 70

العقيدة و الأخلاق في الرؤية الإسلامية 72

الفرق بين الإقتدار المعنوي و المادي 75

حتمية زوال الحضارة الغربية لأنها علم بلا أخلاق 76

الأخلاق الإجتماعية

الأخلاق شرط الحياة السعيدة 79

الإصلاح الإجتماعي الأخلاقي 81

الاستغفار و الإصلاح الاجتماعي 82

التلازم بين السلطة و الأخلاق في الإسلام 84

دور الأخلاق في كافة الشؤون 85

القيم الأخلاقية لا تشكل حاجزا أمام الحرية 86

العمل الإجتماعي الهادف 90

إفتقاد الأنظمة للهداية الإلهية 93

ص: 375

العلم والأخلاق

البعد الإنساني والأخلاقي والقيمي للمعلم والعامل 95

أهمية العلم والأخلاق 97

أثر تجرد العلم عن الأخلاق 98

عدم تقليد الغرب 101

لا عار في أخذ العلم من الغرب 101

أخذ العلم من الغرب لا يعني ترك استثمار الطاقات 102

أثر المعنوية والأخلاق على العالم 103

التقوى خير الزاد

آيات التقوى 105

معنى التقوى 109

أهمية التقوى 110

الوصية بالتقوى 114

وصية أمير المؤمنين عليه السلام بالتقوى 114

التقوى في كلام أمير المؤمنين عليه السلام 117

أقسام التقوى 118

فوائد التقوى 120

ترك فوائد التقوى يؤدي للسقوط 121

من فوائد التقوى النجاح بالامتحان الإلهي 122

نموذج في قصة نوح عليه السلام 122

عود على بدء 126

الطريق الوحيد للنجاة هو التزوّد بالتقوي 127

ص: 376

أسباب الحاجة للتقوى

الغفلة أسوأ أمراض المجتمع 128

يجب المحافظة على نظام الإسلام بالتقوى 130

التوفيق مشروط بالتقوى 132

التقوى ضمان تطبيق الإسلام 133

آثار التقوى

1 - الفرقان و الوضوح: 135

2 - الرزق: 135

3 - إستشعار حلاوة الحياة: 139

4 - التقوى تمنع الفساد: 140

كيف نكافح الفساد 142

5 - معرفة المساوىء: 143

6 - العزّة: 145

7 - العدالة: 146

متى تنعم الدنيا بالعدالة و التقوى ؟ 147

8 - إصلاح الأعمال: 148

9 - التقوى ضمانة من الإنحراف و الزلل: 149

10 - المغفرة و الهداية: 149

التقوى مصدر الهداية 150

11 - إزالة الشدائد و النواقص: 151

12 - التكامل الإنساني: 153

الإسلام يجمع بين التكامل المادي و المعنوي 156

تأثير التقوى على جميع شؤون الحياة 159

ص: 377

- التقوى في الإدارة 161
- أثر التقوى على الأمور الإدارية 162
- حاجة المسؤول للموعظة 163
- كل منا يخطيء 164
- وسائل الإجتناى من الإنحراف و المعاصي 165
- قصد القربى و هدفية العمل 168
- أثر الكماليات على التقوى في الإدارة 171
- التقوى وسيلة و أسلوب للعلاج 172
- التساهل نقيض التقوى 173
- أثر التخلي عن التقوى 174
- سبب الإنحرافات ترك التقوى 174
- مشاكل العالم ناجمة عن ضعف التقوى 177
- أثر مجالسة أهل التقوى 179
- شعارنا سيادة التقوى و القيم المعنوية 180
- تجسيد صورة التقوى 181
- التقوى طريق الله تعالى 183
- التقوى غاية الصوم 184
- شهر رمضان يقربنا من التقوى 185
- ثمرة شهر رمضان هي التقوى 186
- أثر شهر رمضان على القلوب 186
- بعض الأعمال المؤدية للتقوى 188

الصيام 188

قراءة القرآن 189

تجسد اللذة الظاهرية عذابا 189

ص: 378

تهذيب النفس

النفس العدو الأكبر 191

أهمية تهذيب النفس 192

تنقية النفس 197

أثر الإتصال بالله تعالى على تهذيب النفس 200

أثر الإبتلاءات على تهذيب النفس 203

الإبتلاء سلّم لتقدم الإنسان 204

إن جميع مصائب الدنيا سلّم لتقدم الإنسان و الأمة 205

أثر الجوع و مقاومة الأهواء على تهذيب النفس 207

أثر المسجد على تهذيب النفس 208

أثر الصلاة في تهذيب النفس 211

أثر الصلاة على العلاقة المعنوية مع الرب 214

مقامات و مراتب الصلاة 217

الصلاة المقبولة 218

محاسبة النفس

أهمية محاسبة النفس 221

المراقبة و المحاسبة 225

أثر محاسبة النفس 228

يجب على المرء مراقبة ذاته 228

أثر مراقبة النفس 231

أهمية مجاهدة النفس 233

السير و السلوك و أثرهما

الكل يسير نحو الله تعالى 235

الإنسان الكامل و السير نحو الله تعالى 237

ضرورة إرساء العدالة و السلوك الأخلاقي 241

الإخلاص في السلوك الديني 242

كيف نبلغ درجة الكمال و السلوك المعنوي 245

التربية و التزكية و أثرهما

أهمية التربية 247

التربية في مرحلة الشباب 248

التربية و العروج المعنوي 252

التربية الروحية و التربية الفكرية 254

التربية أمر مستمر 259

التزكية و الطهارة 260

التزكية و التربية 263

التزكية و العلم 263

الدعاء

تعريف الدعاء 265

أهمية الدعاء 266

الحاجة للدعاء 269

الدعاء تحدّث الى الله تعالى 269

الدعاء علة ضمن قانون العلية 271

الدعاء بحر من المعارف 274

الدعاء هدف لا وسيلة 275

أثر الإرتباط بالله تعالى 275

الدعاء ارتباط بمركز القدرة 277

معطيات وفوائد الدعاء

1 - الطلب و التضرع من الله تعالى لا إلى غيره 279

دور الدعاء الإعجازي 281

2 - الدعاء هو لتوفير الأسباب المادية 282

3 - إحياء ذكر الله تعالى في القلوب: 284

4 - تقوية و ترسيخ الإيمان في قلب الإنسان 285

5 - نفث روح الإخلاص في النفس 285

6 - ترسيخ و تنمية الفضائل الأخلاقية في النفس 286

7 - إيجاد المحبة لله تعالى 286

8 - بث روح الأمل في وجود الإنسان 286

9 - قضاء الحوائج 287

10 - تعميق العلاقة مع الله تعالى 288

أهداف الدعاء

الهدف من الدعاء 289

لماذا نسأل الحاجات الصغيرة 291

نموذج قرآني لحب الأنا 291

المعارف الإلهية في الدعاء 294

هدف الدعاء إظهار الخشوع و التذلل أمام الله 297

شروط إستجابة الدعاء

1 - طهارة القلب 299

2 - الدعاء مع المعرفة 300

3 - الإجتناب عن المعاصي و التوبة منها 300

4 - حضور القلب و عدم الغفلة 301

5 - عدم طلب المستحيل 303

إستجابة الدعاء مقيدة بالقوانين الطبيعية 304

الوعد الإلهي باستجابة الدعاء 305

نموذج قرآني للوعد الإلهي 306

شروط الوعد الإلهي 307

و عود إلهية أخرى 308

إقتران الوعد الإلهي بالعمل 308

الوعد مشروط بالثبات و الصبر 309

النصر يستتبع كيد الأعداء 311

قصة و عبرة من الوعد الإلهي 312

أدعية الأئمة عليهم السلام أفضل الأدعية 314

أوقات الدعاء 315

الدعاء في ليلة القدر 316

الذنوب و آثارها

أنواع الذنوب 317

الإصلاح و التوبة من الذنوب 318

أشد الذنوب 321

وقت الإعتراف بالذنب 322

نموذج للإعتراف بالذنب 323

أثر الذنوب 324

الإستغفار

أهمية الإستغفار 325

الإستغفار عن ندم 326

فوائد الإستغفار 326

أثر الذنب على الإنسان 327

الأثر المعنوي و المادي للذنوب 329

نعمة المغفرة من الذنب 330

موانع الإستغفار

1 - الغفلة: 331

أثر الغفلة 332

2 - الغرور يمنع الإستغفار 333

غفران الذنب لا يعني سهولته 335

خطر إستصغار الذنوب 336

الإستغفار عن الذنب الأخلاقي 337

معنى استغفار أهل البيت عليهم السلام 338

سبب إستغفار النبي الأعظم صلى الله عليه وآله 340

فرص الإستغفار 341

الإستغفار و التوبة 343

أنواع الإستغفارات

الإستغفار من الخلافات 345

الإستغفار من حب الأنا 347

خطر حبّ الذات 348

الإستغفار من الغفلة 349

الإستغفار من المذلة 349

الهداية الإلهية

هداية الإنسان و سعادته 351

سير العالم نحو الهداية 353

الإسلام مشعل هداية 355

هداية الأمة باتجاه الفضائل الأخلاقية 357

طريق القرآن هو طريق التقوى 359

كل ما لدينا بفضل الإسلام و القرآن 359

القرآن الهادي الحقيقي لسعادة الإنسان 361

الخطوات اللازم اتباعها للعمل الكامل بالقرآن 363

الهداية و الضلال 367

فهرس الموضوعات 373

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

